سلسلة
القصص القرآني

دكتور
حمزة النشرتي
عبد الحفيظ فرغلي د. عبد الحميد مصطفى د. محمد شعلان

المجلد الرابع

سلسلة القصص القرآنى

دكتور
حمزة النشرتى

عبد الحفيظ فرغلى
د. عبد الحميد مصطفى

المجلد الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم

سليمان عليه السلام

في بيت النبوة والملك.
سليمان في القرآن الكريم.
نجابة المولود........
قضاء داود وسليمان...
الاجتهاد في الأحكام..
سليمان يرث داود..
ثورة في بيت النبوة..
سليمان على كرسي الملك..
وصية داود لسليمان..
تسخير الريح له...
تسخير الجن له..
إسالة عين القطر..
سليمان والنملة...
سليمان والهدهد..
سليمان وبلقيس..
سليمان والصافنات الجياد.
كرسي سليمان...
فتنة سليمان....
فضائل سليمان...
وفاة سليمان...
عبر وعظات من القصة.

سليمان ـ عليه السلام ـ

نشأته

ولد سليمان عليه السلام فى بيت نبوة وملك فجمع بين طرفى السعادة التى يتوق اليها البشر ، سعادة الدنيا والآخرة . .

أما سعادة الدنيا فكانت ممثلة فى أبهة الملك ورفعة الجاه وسعة المال ورغد العيش . .

وسعادة الآخرة ممثلة فى معرفة الله وحسن العلاقة به والعمل من أجل رضاه ، وبذل متاع الدنيا المتاح فى سبيل متاع الآخرة الباقى الذى لا يحول ولا يزول . .

لقد ولد سليمان وفى فمه ملعقة من ذهب ـ كما يقول المثل السائر ـ ولكن هذه الملعقة الذهبية لم تعم عينيه عن طريق الحق ، ولم تصرف همته عن طلب الآخرة ، ولم تضع على قلبه غشاوة تحجبه عن اليقين والصدق ، وتصده عن معرفة ما يجب عليه نحو واهب النعم ومفيض الخير ورب الأرباب .

وقد أبدع أحد الأدباء فى تصوير فتنة المال حين صور الانسان الذى يعيش فى كفاف بأنه ينظر إلى غيره من خلال زجاج صاف فيرى الناس ويعرف أحوالهم ويشاركهم فى سرائهم وضرائهم ، فإذا ما كثر ماله وضع هذا المال غشاء زئبقياً فوق الزجاج فحوله إلى مرآة فأصبح الناظر فيها لا يرى إلا نفسه . . لقد غفل عن الآخرين وتحول إلى إنسان أنانى أطغته النعمة وغرته الثروة . .

ولكن سليمان ـ عليه السلام ـ لم يكن كذلك ، فما زادته النعمة إلا قرباً من الله ، ومأأعطاه الثراء إلا قوة فى العقيدة . . هذه هى تربية النبوة . .

استمع إليه يقول فى تسابيحه لله عز وجل :

« توكل على الله بكل قوتك ، وعلى فهمك لا تعتمد ، فى كل طرقك اعرفه وهو يُقَوِّم سبلك .

.. طوبى للإنسان الذى يجد الحكمة ، وللرجل الذى ينال الفهم ، لأن تجارتها خير من تجارة الفضة ، وربحها خير من الذهب الخالص ، هى أثمن من اللآلىء ، وكل جواهرك لا تساويها .. فى يمينها الخير وفى يسارها الغنى والمجد ، طرقها طرق نعم وكل مسالكها سلام ، هى شجرة الحياة لممسكيها والمتمسك بها مغبوط ..

.. الله بالحكمة أسس الأرض وأثبت السموات ، بعلمه انشقت اللجج وتقطر السحاب ندى ..

.. الحكماء يرثون مجداً ، والحمقى يحملون هواناً .. »[1]

هذا هو سليمان الحكيم وهذه شذرات من حكمته ..

وهذه هى قصته ..

نســـبه

هو سليمان بن داود بن زكريا بن بشوى من سبط يهوذا بن يعقوب ـ عليه السلام ـ

وقال وهب بن منبه : هو سليمان بن داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون [2]

وابن جرير الطبرى يقول : هو سليمان بن داود بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب [3]

---

(١) العهد القديم ـ أمثال ـ الاصحاح الثالث

(٢) البداية والنهاية لابن كثير جـ٢ ص ١٨

(٣) تاريخ الأمم والملوك جـ١ ص ٢٤٧

أما أمه فهى تشايع بنت صورى . . (١)

سليمان فى القرآن الكريم

وقد ورد ذكر سليمان فى القرآن الكريم فى سبعة عشر موضعاً موزعة على ست سور هى : البقرة ، والأنعام ، والأنبياء ، والنمل ، وسبأ ، وص .

وسترد هذه الآيات فى خلال عرض القصة .

نجابة المولود

وقد كانت ولادة سليمان ـ عليه السلام ـ هبة من الله ـ عز وجل ـ لداود ـ عليه السلام ـ وقد أخبر الله عن ذلك بقوله : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ (٢)

وقد شاع وصف سليمان بالحكيم حتى صار لقباً لازماً له ، وقد أشارت الآية المتقدمة إلى أن سليمان كان منحة عظيمة لوالده ، ومكافأة سخية له ، فقد وصف الله داود عقب هذه الهبة بأنه نعم العبد لأنه يثوب الى الله دائماً ، ويرجع اليه فى كل أموره ،وقد يكون هذا الوصف لسليمان أيضاً .

وفى ذلك تكريم لكليهما ، فنجابة الابن من أعظم النعم التى يمنحها الله للعبد ، وما أصدق قول الشاعر الحكيم :

نعم الاله على العباد عظيمة وأجلهن نجابة الأولاد

ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من ابتلى بفقدها . . أو من فَطَّنه الله بقدرها فشكره عليها . .

وداود ـ عليه السلام ـ أدرك نعمة الولد ـ وابتلى بعقوق بعضهم ـ كما سنعرف فيما بعد ـ وَأُكْرِمَ بفطانة بعضهم وحكمتهم ، وفى مقدمة هؤلاء من أبنائه سليمان ـ عليه السلام ـ .

---

(١) روى ذلك ابن جرير عن قتادة . . تاريخ الطبرى حـ ١ صـ ٢٥٠ ، وبدائع الزهور لابن اياس ص ١٤٢٠

(٢) سورة ص آية ٣٠

لقد كان سليمان على حظ وافر من الفطنة وقدر كبير من الذكاء ، منحه الله إصابة الحكم وبعد النظر وحسن التقدير ..

وأعطاه الحكمة «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً» ..

مثل من حكمته

ويدل على حكمته قصة الحرث الذى نفشت فيه الغنم ، وقد قصها القرآن الكريم فى قوله :

«وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾» (١)

وقصة ذلك كما رواها المفسرون : أن زرعاً أكلته غنم لأناس غير أصحابه على غفلة منهم ، فتنازعوا ، واحتكموا إلى داود - عليه السلام - ورفعوا إليه قضيتهم ، فنظر داود فى الأمر ، ثم قضى بأن يأخذ أصحاب الزرع الغنم عوضاً لهم عن زرعهم الذى أتلفته الغنم التى رعته ليلاً .

ونظر سليمان فى الحكم فرأى فيه رأياً آخر .. فقال : لو حُكِّمْتُ لحَكَمْت بما هو أرفق بالطرفين ..

وسمع داود ما قاله سليمان ، فناداه ، وقال له : بماذا كنت تقضى ؟

فقال : أقضى بأن تسلم الأرض لأصحاب الغنم يصلحونها ويزرعونها ويأخذ أصحاب الأرض الغنم ينتفعون بألبانها وأصوافها حتى يعود الزرع الى ما كان عليه يوم رعته الغنم ، ثم يترادان ، فيأخذ أصحاب الغنم غنمهم ، ويأخذ أصحاب الحرث أرضهم .

فوافق داود على هذا الحكم ، وقال لسليمان : القضاء ما قضيت .. وأمضى حكم سليمان ..

---

(١) الأنبياء ٧٩

لقد سر داود بفهم ولده وقال له : وفقك الله يابنى لايقطع الله فهمك . .
وكان عمر سليمان حين حكم فى القضية إحدى عشرة سنة ، وكان أبوه يدربه وهو فى هذه السن المبكرة على مجلس الحكم والقضاء . .

وكان فهم سليمان من علم النبوة المبكر الذى آتاه الله سليمان ليقر به عين أبيه ، ويسعده به فى حياته ويطمئنه عليه قبل مماته . .

ولا ينبغى لأحد أن يتجرأ فى هذه المسألة فيقول : لقد أصاب سليمان وأخطأ داود ، لأن الله ـ تعالى ـ يقول : « وكلا آتينا حكماً وعلماً »

لقد اجتهد كلاهما . . فنظر داود إلى أن قيمة الغنم وما تلف من الزرع سواء . . فحكم بما رأى . .

ونظر سليمان إلى المستقبل فحكم بما رأى . . وأدرك بفطنته أن ماسيأخذه أصحاب الزرع من نتاج الغنم فى مدة إصلاح الحرث تساوى قيمة ما تلف !.
وكان ذلك إلهاماً من الله . . يظهر من قوله ـ تعالى ـ « ففهمناها سليمان » . .

تعليق العلماء على اختلاف الحكم

وقد ذكر بعض العلماء أن داود ـ عليه السلام ـ حكم بوحى ،وأن سليمان ـ عليه السلام ـ حكم بوحى نسخ الله به حكم داود ، وعليه فيكون التفهيم تفهيماً بطريق الوحى . .

وجمهور العلماء يرون أن كلا منهما قد حكم باجتهاد .

واجتهاد الأنبياء فى الأحكام التى لا نص فيها كثير ومعروف .

وقد اختلف أهل العلم فى حكم المجتهدين ، وهل يعتبر كل مجتهد مصيباً ؟ أو الحق مع واحد منهم فقط ؟

وقد استدل بعضهم بقوله ـ تعالى ـ « وكلا آتينا حكماً وعلماً » على أن كل مجتهد مصيب . .

والصواب أن من اجتهد فأخطأ فلا إثم عليه ، أما إعتباره مصيباً فلا تدل عليه هذه الآية ولا غيرها وفى الحديث الشريف : « **اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر** » فسماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مخطئاً

فكيف يقال : إنه مصيب لحكم الله موافق له ؟

إن حكم الله ـ تعالى ـ واحد لا يختلف باختلاف المجتهدين ، وإلا لزم توقف حكمه ـ تعالى ـ على اجتهادات المجتهدين ، واللازم باطل فالملزوم مثله .

كما يستلزم ذلك أن يكون الأمر الذى اختلف اجتهاد المجتهدين فيه بالحل والحرمة حلالاً وحراماً فى حكم الله ـ عز وجل ـ وهذا باطل بالاجماع .

وأيضاً يلزم عليه أن حكم الله ـ تعالى ـ لايزال يتجدد عند وجود كل مجتهد له اجتهاد فى تلك الحادثة ، ولا ينقطع مايريده الله ـ تعالى ـ إلا بانقطاع المجتهدين ، واللازم باطل فالملزوم مثله[1]

حكم الاسلام فى مثل هذه القضية

أما حكم هذه القضية فى الشريعة الاسلامية فقد ثبت عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه شرع لأمته أن أهل الماشية عليهم حفظها بالليل ، وعلى أهل الزرع حفظها بالنهار ، وأن ما أفسدت المواشى بالليل مضمون على أهلها ، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عينا أو قيمة .

وقد اتفق الأئمة الثلاثة « مالك والشافعى وأحمد » على أنه لا ضمان على أرباب البهائم فيما أتلفته نهاراً ، اذا لم يكن معها صاحبها ، أما ما أتلفته ليلاً فضمانه عليهم .

وقال الامام أبو حنيفة : لا يضمن إلا أن يكون معها راكباً أو قائداً أو سائقاً ، أو يكون قد أرسلها إلى الشيء ، سواء أكان ليلاً أو نهاراً .

متى يكون الاجتهاد ؟

ومن المعروف أن الاجتهاد فى الاسلام محصور فى الأمور التى لم يرد فيها نص من كتاب أو سنة أو إجماع من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى استنباط الأحكام من تلك النصوص الواردة فى الكتاب والسنة .

هل يجوز للمجتهد أن يرجع عن رأيه ؟

---

(١) أنظر فتح القدير للشوكانى جـ٣ ص ٤١٨

إذا تبدل اجتهاد المرء فى مسألة أو حكم وتبين له وجه الصواب فعليه أن يرجع عن رأيه الأول ، ويلتزم الحكم الذى وصل إليه أخيراً ، دون أن يؤثر ذلك على ما اتصل بالحكم الأول من حقوق .

وهذا ما انتهى إليه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قولاً وعملاً .

فأما قولاً ففى رسالته إلى أبى موسى الأشعرى التى قال فيها : « **لا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك ، فهديت فيه لرشدك أن ترجع فيه لأن الحق قديم لا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل** » .

وأما عملاً فقد رجع عن قضاء قضاه فى ميراث بعد أن تبين له أن الصواب فى غيره .

الاجتهاد فى حياة الرسول

وقد تعددت وقائع اجتهاد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى حضرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

من ذلك أن جماعة من أصحابه كانوا فى سفر ، وفيهم عمر ومعاذ ـ رضى الله عنهما ـ فأصبح كلاهما فى حاجة إلى الغسل ولا ماء معهما ، فاجتهد كلاهما . فأما معاذ فقاس الطهارة الترابية على الطهارة المائية وتمرغ فى التراب وصلى .

وأما عمر فقد أخر الصلاة حتى وجد الماء . .

فلما رجعا إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بين لهما وجه الصواب .

وأشار إلى أن قياس معاذ فاسد ، لأنه فى مقابلة النص قال تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾ (١)

---

(١) آية ٤٣ سورة النساء

ولذا قال له الرسول ﷺ : يكفيك أن تفعل هكذا ، مشيراً إلى كيفية التيمم .

وأفهم عمر أن التيمم كما يرفع الحدث الأصغر يرفع الحدث الأكبر . .

وهكذا كانت اجتهادات الصحابة ترجع إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقرهم على ما أصابوا فيه ويعرفهم وجه الصواب فيما أخطأوا فيه .

وكان اجتهاده ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإذنه لأصحابه فى الاجتهاد لكى يعلمهم طريقة الاستنباط وكيفية أخذ الأحكام من الأدلة والنصوص .

وكثيراً ما كانت تعرض عليه الخصومة فيطلب من بعض أصحابه أن يفصل فيها أمامه .

وقد روى أنه قال يوماً لعمرو بن العاص : احكم فى هذه القضية . قال عمرو : أجتهد وأنت حاضر يارسول الله ؟

قال : نعم ، إن أصبت فلك أجران وإن أخطأت فلك أجر .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن اجتهاد داود ـ عليه السلام ـ قد رجع إلى الوحى فى النهاية ، وأبان لهما الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن حكم سليمان هو الأصوب فى هذه القضية .

وقد استطردنا بعض الشيء فى هذا الموقف من القصة لحاجة المسلمين فى حاضرهم إلى الاجتهاد الذى يوضح لهم رأى الدين فى كثير من القضايا والمشكلات التى جدت فى حياتهم . والتى يجب على علمائنا الأجلاء توضيح وجه الصواب فيها حتى لا يختلف الناس ويضطرب فهمهم ، ويأخذون العلم من غير أهله .

سليمان يرث داود

قال ـ تعالى ـ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ (١)

---

(١) النمل ١٦

وقد قال سليمان ـ عليه السلام ـ ذلك تحدثاً بما أنعم الله عليه ، وشكراً للنعمة التى اختصه الله بها . .

وقدَّم فى حديثه عن النعم نعمة معرفة لغة الطير ، لأنها نعمة خاصة به ، لا يشاركه فيها غيره .

وقد ذكر المفسرون أن سيلمان ـ عليه السلام ـ تعلم منطق جميع الحيوانات والطيور ، وفهم ما تقوله من ذكر وتسبيح وحديث عام أو خاص .

وخص الطير بالذكر لأنها جند من جنوده تسير معه حيثما يسير ، تظلله من الشمس وتخفف عنه برفرفتها حرارة الجو . .

ومن الطرائف الواردة فى ذلك ما يقصه الثعلبى :

باضت قبرة فى طريق سليمان ـ عليه السلام ـ فقال الذكر للأنثى : ألم أنهك عن أن تبيضى فى طريق سليمان الملك ؟ لو ركب إلينا لحطم بيضنا .

فقالت الأنثى : ويحك ، إن نبى الله أرحم بنا من ذلك . .

فسمع سليمان قولها ، فبعث جنياً حين أراد أن يركب وقال له : اجعل بيضها بين رجليك وإياك أن تصيبه بأذى .

فلما مر سليمان فى موكبه ، وجاوزهما ، قالت الأنثى : ألم أقل لك : إن نبى الله أرحم بنا من ذلك ؟

فقال الذكر للأنثى : عندى للملك هدية . .

قالت : وما عندك ؟

قال : عندى جرادة ادخرتها لولدى

فقالت الأنثى : عندى تمرة ادخرتها لولدى

قال : فأخذا التمرة والجرادة ، ثم طارا حتى وقفا بين يدى سليمان وهو على سريره فى مجلسه . فوضعاهما بين يديه ثم سجدا له ، فدعا لهما ومسح بيده على رأسيهما ، فيرى أن هذه القشرة التى على رأس القبر من مسح سليمان ـ عليه السلام ـ

قال : ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت : سبحان الله العظيم ، ما أعظم ما أوتي آل داود .

فتبسم سليمان من قولها ، وفسر قولها لجنوده ، ثم قال : ألا أنبئكم بخبر هو أعجب من قولها هذا ؟

قالوا : بلى

قال : إنها تقول : اتقوا الله فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الغضب والرضا .[1]

نبينا صلى الله عليه وسلم علمه الله لغة الطير

ما من معجزة آتاها الله نبياً من الأنبياء السابقين إلا وأعطاها الله نبينا محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعرف لغة الطير والحيوان ، وقد وردت أخبار صحيحة تؤيد ذلك .

ذكر القاضي عياض فى كتاب الشفا : أن اعرابياً جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال له : لا أومن بك حتى يؤمن هذا الضب ، وطرحه بين يدى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فقال النبى للضب : ياضب ، من تعبد ؟

قال : أعبد الذى فى السماء عرشه ، وفى الأرض سلطانه ، وفى البحر سبيله ، وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه .

قال : فمن أنا ؟

قال : رسول رب العالمين وخاتم النبيين ،وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك .

قال : الضب ذلك بلسان عربى فصيح سمعه وفهمه كل من كان موجوداً

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبى ص ٢٩٩

فأسلم الاعرابي (١)

قال : وعن أم سلمة أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ نادته في أثناء سيره ظبية ، وقالت له : صادني هذا الاعرابي ، ولي ولدان في ذلك الجبل ، فأطلقني لأرضعهما وأرجع .

فأطلقها فذهبت ورجعت ، فقال النبي للأعرابي : أطلق هذه الظبية ولا تحبسها . فأطلقها (٢)

وروى الثعلبي قال : إن حمامة اشتكت إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فَقْدَ فرخيها . فقال : من فجع هذه الحمامة بفرخيها ؟

فقال بعضهم : نحن يا رسول الله . فقال : ردوهما الى موضعهما (٣)

ليس غريباً أن يتعلم الأنبياء لغة الطير . . والمعروف أنها أمم تتخاطب فيما بينها بلغة ألهمها الله إياها ، وأفهمها الله لمن شاء من عباده . . قال تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٤)

ومما يروى في فهم سليمان لغة الطير أنه مر ببلبل يصوت ويترقص . فقال سليمان : إنه يقول : إذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء .

وصاحت فاختة ، فقال : إنها تقول • ليت الخلق لم يخلقوا

فلعل صوت البلبل كان عن شبع وفراغ بال ، وصياح الفاختة كان عن مقاساة وشدة ألم .

والذين يعايشون الحيوانات والطيور ويراقبون أفعالها وحركاتها وأصواتها يرون أن تلك الأصوات تتكيف بتكيفات مختلفة حسب حاجة تلك الحيوانات ، ومطالب تلك الطيور .

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ ١ ص ٢٠٤

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٧

(٣) قصص الأنبياء للثعلبي ص ٢٩٩

(٤) الأنعام ٣٨

فصوت الهرة المحبوسة يختلف عن صوتها اذا كانت فى حاجة إلى الطعام أو الماء ، وعن صوتها حين ترى صاحبها فتهش له .

فلكل صوت نبرات وكيفيات ليست فى الصوت الآخر .

والطيور تنادى بعضها اذا عثرت على الطعام ، وهى تحذر بعضها اذا أحست بخطر .

وعلى كل فإدراك كل صوت من الطير وما يقصد به هو هبة من الله ، اختص الله بها سليمان ـ عليه السلام ـ بالإضافة الى غيرها من الهبات الأخرى . .

المقصود بالوراثة

المقصود بالوراثة فى قوله تعالى « وورث سليمان داود » وراثة العلم والنبوة ، وهذا أشرف شيء يرثه الانسان . .

المال عند الأنبياء لا يورث . . وقد قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **« نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »**

وقال : العلماء ورثة الأنبياء . . والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ولكنهم ورثوا الحكمة والعلم . .

فكان ميراث سليمان من أبيه العلم والحكمة . .

وقد قال العلماء : كان لداود ـ عليه السلام ـ تسعة عشر ولداً ذكراً . . ورث سليمان من بينهم جميعاً النبوة والحكمة .

ولو كان المراد وراثة المال لما خص الله سليمان بالذكر ، لأن جميع أولاده فى ذلك سواء . .

كما وورث الحكم أيضاً . . ووراثة الحكم لا تعنى التسلط . .

فقد أغنى الله الأنبياء عن ذلك ، لقد أعطاهم الملك الى جانب النبوة ليضعوا القدوة الطيبة فى الحكم أمام السلاطين والملوك ، وليقيموا الحجة عليهم اذا مالوا عن الحق أو حكموا بين الناس بالهوى .

ولذلك كان الله يحاسب كلا من داود وسليمان أولاً بأول إذا ما حدث منهما

أى ميل عن الخط الذى رسمته الشريعة الغراء لهما .

لقد كانت وراثة النبوة شائعة فى بنى اسرائيل لأن الله قد جعل فى ذرية إبراهيم النبوة بقوله ـ تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (١) كما جعلها فى ذرية نوح وإبراهيم ـ عليهما السلام ـ بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٢)

أما قول سليمان « وأوتينا من كل شىء » فهو إشارة الى كثرة ماأفاء الله من نعم عليهم ، وفى ذلك اعتراف بفضل الله . وهذا الاعتراف بفضل الله هو الشكر بعينه . . والشكر هو مفتاح الاحتفاظ بالنعمة وكان سليمان ـ عليه السلام ـ يدعو الله قائلاً : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ (٣)

ولكن وراثة سليمان للملك لم تكن سهلة بين أخوة هو أصغرهم سناً . .

وهؤلاء الأخوة وإن كانوا أبناء نبى إلا أن ذلك لم يخل نفوسهم مما يعتورها من عوامل الرغبة والأثرة والطمع والتطلع ، والملك له سحره وإن كانت له تبعاته .

ولم يكن اختيار سليمان لوراثة الملك من قبل داود ، ولكنه تكليف إلهى أشارت إليه بعض المصادر ، وذكروا فى ذلك خبراً تنسبوه إلى أبى هريرة ـ رضى الله

---

(١) العنكبوت ٢٧

(٢) الحديد ٢٦

(٣) ١٩ سورة النمل

عنه ـ قال : نزل كتاب من السماء إلى داود ـ عليه السلام ـ مختوماً بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسألة ، فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه أن سل عنها ابنك سليمان ، فإن هو أجاب عنها فهو الخليفة بعدك .

فدعا داود الأحبار والعلماء وأجلس سليمان بين أيديهم وطرح عليه الأسئلة التى نزلت فى الكتاب وهى :

ماآنس الأشياء وما أوحشها ؟ وما أحسن الأشياء وما أقبحها ؟ وما أقرب الأشياء وماأبعدها ؟ وما أقل الأشياء وما أكثرها ؟ وما القائمان ؟ وما الساعيان ؟ وما المشتركان ؟ وما المتباغضان ؟ وما الأمر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره ؟ وما الأمر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره ؟

فقال سليمان :

أما أقرب الأشياء فالآخرة . . وأما أبعد الأشياء فما فاتك من الدنيا . . وأما آنس الأشياء فجسد فيه روح . . وأما أوحش الأشياء فجسد لا روح فيه . . وأما أحسن الأشياء فالإيمان بعد الكفر . . وأما أقبح الأشياء فالكفر بعد الإيمان . . وأما أقل الأشياء فاليقين . . وأما أكثر الأشياء فالشك . . وأما القائمان فالسماء والأرض . . وأما الساعيان فالشمس والقمر . . وأما المشتركان فالليل والنهار . . وأما المتباغضان فالموت والحياة . . وأما الأمر الذى اذا ركبه المرء حمد آخره فالحلم عند الغضب . . وأما الذى اذا ركبه المرء ذم آخره فالحدة عند الغضب . .

ففكوا الخاتم فإذا جواب المسائل متفق مع ما نزل من السماء . .

قال العلماء والأحبار : ونحن لا نرضى أن يكون خليفتك من بعدك إلا إذا سألناه .

قال سليمان : سلوا وما توفيقى إلا بالله . .

قالوا : ما الشىء الذى اذا صلح صلح كل شىء من الانسان ، وإذا فسد فسد كل شىء منه ؟

قال : هو القلب .

فأعلن داود خلافة سليمان ، فلم يرض ذلك كثير من بنى إسرائيل ، وقالوا : غلام حدث يستخلف علينا ، وفينا من هو أفضل منه ؟

فعلم ذلك داود منهم فجمع رؤساء الأسباط ، وقال : قد بلغنى مقالتكم ، فهاتوا عصيكم أضعها فى بيت وأغلقه عليها ، فأى عصا تثمر يكون له الأمر من بعدى .

فجاء كل منهم بعصاه وكتب عليها اسمه ، وجاء سليمان بعصاه وكتب عليها اسمه ، وأدخل داود هذه العصى فى بيت وأغلق عليها الباب وسده بالأقفال ، وحرسه رؤساء الأسباط بأنفسهم .

فلما أصبحوا ، وصلوا الغداة مع داود ، قام ففتح الباب وأخرج العصى ، فإذا بالعصا التى كتب سليمان اسمه عليها قد أورقت وأثمرت . .

فأيقنوا أن اختيار سليمان ليس أمراً من عند داود ، ولكنه أمر مقضى به من السماء ، فسلموا له الأمر .

ثورة فى بيت النبوة

على الرغم من أن سليمان قد اختارته السماء لتولى الحكم فإن ذلك لم يعجب بعض إخوته الذين كانوا يوطنون أنفسهم لوراثة هذا الملك العريض . .

وذكر العلماء أن « أبشالوم » بن داود غضب من أبيه غضباً شديداً ، واعتبر أن اختيار سليمان دونه ظلم ومجافاة لطبيعة الأشياء .

وكان أبشالوم يتميز بالقوة والعناد ، وقد مر بتجارب كثيرة أكسبته حنكة ودراية بالأمور وسياسة وحسن تقدير ، وهذه كلها من مؤهلات الحكم ومرشحات الخلافة . . فلم لا يكون هو الوارث لعرش إسرائيل ؟ ولم يفتات أبوه عليه فى هذا الحق ؟

إنها الأطماع تحركت فى نفسه ، وغذاها الشيطان ، ولعب فيها قرناؤه دوراً ليس بالهين ، فقد زينوا له أن يشق عصا الطاعة على أبيه وأخيه ، وسوف يجد منهم عوناً له على بلوغ هدفه وتحقيق مآربه . .

لقد أعماه الطمع فى الملك عن إدراك أن اختيار سليمان للعرش ليس من صنع

داود بل هو وحى من السماء ولكن ماله هو واختيار السماء ؟ وما شأن السماء بقضية هى من أهم اختصاصات البشر ؟

أما النبوة فنعم ، فإنه لا إحتيال لأحد فى اكتسابها . ولكن الملك تقدير وتدبير وسياسة وتخطيط . . متى أتقن الانسان هذه الأمور استطاع أن يصل إلى العرش اذا أراد . . هذا ما كان يحدث به أبشالوم نفسه . .

إلا أنه غفل عن أن مالك الملك هو الله . يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . .

وأخذ أبشالوم يخطط لبلوغ هدفه . . ويبدو أن ملازمته لمجلس الحكم ، واقترابه من حاشية الملك أعطته خبرة بالرجال وسياستهم ، ومعرفة بالمسالك التى يدخل منها إلى قلوبهم ويسيطر بها على مشاعرهم .

وأخذ يتودد إلى قومه وإلى رؤساء الأسباط من اليهود ، ويغدق عليهم من عطفه وحبه ، ويسخو لهم بما فى يده ، ويتقرب إليهم ، ويوحد بينهم ويصلح من شئونهم ويقضى بينهم ، ومازال بهم حتى تمكن من قلوبهم فأصبحوا أقرب إليه من بنانه . .

وفى الوقت نفسه حاول صرف الناس عن أبيه ، فكان يقف بباب الحكم يستقبل أصحاب الحاجات والقضايا ، فيقضى لهم حاجاتهم قبل أن يصلوا إلى داود ، وشيئاً فشيئاً نسى بعض الناس داود وتردد اسم أبشالوم على ألسنتهم ، وأصبح قريباً من قلوبهم .

لقد اصطنع له يداً عند كل منهم وأصبح ذا فضل لدى الكثير من أبناء إسرائيل . . ولو كان ذلك لوجه الله لكان أمراً عظيماً ،ولكن الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى . .

لقد كان يريد أن يكون هؤلاء جميعاً طوع إشارته عند الضرورة ، وقد اتفق مع

من أبرم أمره معهم من خاصته على خطته التى حدد لها أجلاً وضرب لها موعداً . .

واستأذن أباه فى أن يخرج إلى بلدة (حبرون) وفاء لنذر كان قد نذره هناك ، وكان قد أرسل جواسيسه من بنى إسرائيل إلى كثير من البلاد المجاورة ليجمعوا له من الأنصار من يستطيعون . . واتفق معهم على أن إشارة الوثوب الى الحكم هى صوت بوق يعلن لهم ، فمتى سمعوه نفروا إليه جميعاً واجتمعوا حوله وأعلنوه ملكاً عليهم . .

وسارت الخطة فى طريقها المرسوم . . ودوى صوت البوق فأسرع الأنصار الذين أغرتهم الوعود وغرتهم النقود وأجلسوا أبشالوم فوق كرسى الحكم ، وقالوا : لا خليفة لداود إلا أبشالوم . .

ووصلت الأخبار إلى داود ، وعلم أن أبشالوم قد نصب نفسه ملكاً على بنى إسرائيل فى حبرون ، وكان عليه أن يتصرف بحكمة ورباطة جأش حتى يحتفظ بوحدة بنى إسرائيل وحتى لا يتبدد شملهم وتتفرق وحدتهم .

إنه نبى وملك أيضاً ، فعنده الوحى والسياسة معاً . .

وسياسته مستمدة من نور النبوة والهامها . . وقد جعله ذلك مطمئن البال واثقاً من أن الحق سوف ينتصر . وأن ما حدث زوبعة لا تلبث أن تزول ، ولن تغير مما أراده الله شيئاً .

وماذا يجدى تخطيط المملوك أمام ما قضاه ملك الملوك ؟

لقد أحكم أبشالوم خطته ودبرها تدبيراً دقيقاً ، واستطاع أن يجعل كثيراً من الناس ينساقون وراءه ، وقد ركبوا رءوسهم واتبعوا هواهم وغرتهم الدنيا وغفلوا عن الآخرة . .

انخدعوا ببريق زائف ووعود كاذبة وعدهم بها أبشالوم ، وغفلوا عن حكمة داود ونبوته . .

ووازنوا بين شيخ فان كثير البكاء وبين شاب قوى نشيط مقبل على الدنيا وهى مقبلة عليه . . وأين ضعف الشيخوخة من قوة الشباب ؟ وأين نغمة التزهيد فى الدنيا من دعوة الاستمتاع بها والاقبال عليها ؟

لقد رجحت كفة أبشالوم فى نظرهم على كفة داود . .

وآثروا بالالتفاف حوله الدنيا على الآخرة . .

رأى داود ـ عليه السلام ذلك ، وأدرك بإلهام النبوة الصادقة خطورة الموقف ، وعرف أن الصدام بين أنصاره وأنصار ابنه ستكون عاقبته وخيمة ، فرأى أن يتفادى ذلك بحكمته . .

فجمع حوله الذى بقوا على ولائهم له ، وأخبرهم أن الخير فى الانسحاب من وجه أبشالوم ومن معه . . ففى الصدام قتل وتدمير وتخريب للعمران وإغراق للبلاد بالدماء . .

وليس الانسحاب فى هذه الحالة جبناً ـ حاشا لله ـ أن يكون داود جباناً وهو الذى كابد الحروب من قبل ، وهو الذى قتل أعتى جبار فى وقته وتحداه بمفرده ، وأرداه بحجر من مقلاعه . . لقد قتل جالوت . . وهو من هو فى قوته . . فلم يكن هروبه من وجه إبنه جبناً ، ولكنه تفاد لحرب أهلية يقتل فيها الاسرائيليون أنفسهم ، ويردى بعضهم بعضاً بأيديهم . . لقد أراد أن يسترد ملكه بأقل خسائر ممكنة ، ولن يكون ذلك إلا إذا هدأت النفوس وذهبت حدة الغليان . . وكان واثقاً أن الله سوف يجعل له مخرجاً من هذه الأزمة الحالكة . .

وأن الله لابد أن يهدى الناس إلى رشدهم ، فتبصر العيون طريقها الصحيح ، وتنفض الجموع من حول أبشالوم لأنها سوف تدرك أنها قبضت على ريح ، وستفتح يدها فلن تجد فيها شيئاً سوى الوعود البراقة التى لا تجدى شيئاً .

فلم يكن انسحاب داود إذن استسلاماً نهائياً . . كلا ولكنه أراد أن ينظم صفوف من بقى معه ، ويعيد النظر فى الأمور ، ويدرس جميع الطرق الممكنة للقضاء على الفتنة ، وهذه كلها أمور تحتاج الى الروية والتأنى ، لا إلى التهور وشدة الانفعال والدخول فى معركة لا تعرف نتائجها .

هذه هى الظروف والملابسات التى جعلت داود ينسحب بمن معه من وجه ابنه أبشالوم . . إن الانسحاب أحياناً يكون انتصاراً . .

وعبر داود ورجاله وأهل بيته نهر الأردن ، وصعد إلى جبل الزيتون حافياً باكياً . . وأخذ يدعو الله ويطلب منه العون والتوفيق . .

ولم يسلم داود ـ عليه السلام ـ بطبيعة الحال من شماتة بعض أتباعه ، فتألب عليه نفر منهم ، وأخذوا يوجهون إليه اللوم ويقرعونه بقوارص الكلام . . وحاول المخلصون من أتباعه أن يشتبكوا مع هؤلاء فى معركة للدفاع عن داود ، ولكن داود ـ عليه السلام ـ حال بينهم وبين ذلك ، وقال فى حسرة وألم : اذا كان ابنى قد خرج علىَّ واستولى على ما ائتمننى الله عليه من سلطان ، وربما لو تمكن من قتلى لقتلنى فلماذا لا تلتمسون العذر لهؤلاء الذين يلوموننى ؟

إنه تقدير للموقف من غير شك . . ثم اتجه داود متضرعاً إلى الله أن ينقذه مما هو فيه ، وأن يكشف عنه الكرب وأن ينجيه من براثن هذه الأزمة الطاحنة ، ويأخذ بيده حتى يخرج منها سالماً . .

وانتهز أبشالوم فرصة خروج أبيه من عاصمة البلاد ، فاستولى عليها ، وأصبح

يسيطر على مقاليد الأمور ، وتمكن من ناصية الحكم ، ودان له الجميع بالطاعة والولاء . .

ولكن داود كان قد أخذ يجمع شمل أتباعه وينفخ فيهم من روحه ، ويعيد الثقة إلى قواده وجنوده وتدارس مع المخلصين الأمر فى هدوء وروية ، وأعدوا العدة لمواجهة أبشالوم الذى أسكره النصر وتوهم أن الأمر كله قد أصبح فى قبضة يده . .

وقسم داود جنوده الى فرق ، وجعل على رأس كل فرقة قائداً محنكاً يثق فيه وفى حكمته وقدرته . . وأوصاهم جميعاً أن يعالجوا الأمور بالحكمة والهدوء وإن يعملوا على حقن الدماء ما أمكن ، وألا يسدوا ثغرة للسلام مادامت مفتوحة ، وألا يلجأوا للقتال إلا دفاعاً عن النفس وعند الضرورة الملحة .

ووصل جنود داود الى العاصمة . . ولم يجدوا الأمر يحتاج إلى القتال ، لقد كفاهم الله شره . . . ذلك أن نفراً من الناس قد وثبوا على أبشالوم فقتلوه ، وبقتله انفض أتباعه وتفرقوا ، لأنه لم يكن هناك هدف يجمعهم ، كان الهدف هو أبشالوم وقد ذهب أبشالوم فماذا بقى ؟

ومن هنا نعلم أن القيمة الحقيقية فى المبادىء لا فى الأشخاص لأن الأشخاص تفنى أما المبادىء فهى باقية حية فى نفوس المحافظين عليها . .

واذا حييت المبادىء حفظت للحياة بهجتها وجمالها . .

وبموت أبشالوم خلص الأمر لسليمان . .

وأصبح سليمان ملكاً على عرش داود . .

وصية داود لسليمان

وأوصى داود ابنه سليمان بوصايا سجلها كتاب العهد القديم[1] ولخصها وهب

بن منبه فى قوله :

يا بنى إياك والمزل فإن نفعه قليل ويهيج العداوة بين الاخوان . .
وإياك والغضب فإن الغضب يستخف بصاحبه . . وعليك بتقوى الله وطاعته
فإنها يغلبان كل شىء

وإياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شىء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس
وإن كانوا برآء . اقطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو الغنى وإياك والطمع فإنه
الفقر الحاضر . وإياك وما يعتذر منه من القول والفعل ، وعود نفسك ولسانك
الصدق ، والزم الاحسان فإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل .

وصل صلاة مودع ، ولا تجالس السفهاء ، ولا ترد على عالم ، ولا تماره فى
الدين .

وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض ، وتحول من مكانك ، وارج رحمة الله
فإنها وسعت كل شىء[1] .

وهى وصايا حكيمة فيها عصمة للحاكم والمحكوم معاً ، وإنها لتلتقى مع
ما أوصى به الله فى كتابه الحكيم ، وجاءت به السنة المشرفة على لسان سيد
المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم . .

ملك سليمان

ورث سليمان داود فى نبوته وملكه ـ كما عرفنا ـ وآتاه الله ملكاً لا ينبغى لأحد
من بعده فقد طلب ـ عليه السلام من ربه ذلك : ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٢)

---

(١) قصص الأنبياء للثعلبى ص ٢٩٥
(٢) آية ٣٥ سورة ص

قال المفسرون : لا ينبغى لأحد من بعدى أى لا يكون لأحد من بعدى ، ولا يصح لأحد من بعدى لعظمته . .

وقيل : لا ينبغى لأحد أن يسلبه منى كما سلب منه قبل ذلك على يد أخيه أبشالوم . .

ولم يكن هذا الطلب مبعثه الفخر والاستعلاء وحب الدنيا وزينتها ، بل الهدف منه تنفيذ أحكام الله واعلاء كلمته ونشر دينه . فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، واذا اجتمع السلطان مع القرآن فقد اكتمل للدولة رونقها وارتفع شأنها وعز جانبها وعلت كلمتها .

وقد استجاب الله لسليمان ، فوهبه ملكاً عظيماً ، وأيده بكل مظاهر القوة المادية والمعنوية ، وسخر له من الجنود المرئية وغير المرئية ما يشتد بهم ساعده وتنفذ كلمته ويعلو شأنه ،وبشره مع ذلك بالجنة وحسن المآب ، وقال الله ـ تعالى ـ فى ذلك :

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا

هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ (١)

تسخير الرياح لسليمان

لقد أعطى الله سليمان من مظاهر القوة الشىء الكثير . .

جعل الرياح طوع أمره ، وأخضع الجن والشياطين له ، وعلمه منطق الطير والحيوان ، ومكنه فى الأرض تمكينا كبيرا ، وأعطاه فوق ذلك النبوة والكتاب .

ويقول المفسرون فى شأن تسخير الريح لسليمان : إن الله ـ تعالى ـ ذلل الريح لسليمان ، وجعلها منقادة لأوامره ، يصرفها كيفما يشاء كما يصرف السيد تابعة والمخدوم خادمه . . لقد اصبحت الريح له كالدابة الذلول المتمكن صاحبها من زمامها ، فيوجهها ناحية اليمين أو الشمال كما يريد . . وبيده أن يجعلها عاصفا أو رخاء أو صبا أو دبورا ، أو نسيما عليلا . .

وتحدث كثير من المؤرخين عن وصف تسخير الريح لسليمان ـ عليه السلام ـ ، فذكر بعضهم أن سليمان كان له بساط من خشب له ألف ركن فى كل ركن ألف باب يكون فيها جند سليمان ، وتحت كل ركن ألف جنى يحملون ذلك البساط حتى يرتفع فى الجو ، وحينئذ تسير به الرياح ، وكان يخرج من القدس فيقيل فى « اصطخر » ثم يبيت فى « خراسان » .

ورووا عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قوله : كان سليمان يوضع له ستمائة الف كرسى ، ثم يجىء اشراف الانس فيجلسون مما يليه ، ثم يجىء اشراف الجن فيجلسون مما يلى الانس ، ثم يدعو الطير فتظلهم ثم يدعو الريح فتحملهم ، تسير مسيرة شهر فى الغداة الواحدة . .

---

(١) ص ٣٦ : ٤٠

قال - تعالى - ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (١)

اى تسيربالغداة مسيرة شهر ، وتسير بالعشى مسيرة شهر ، وكأنها بذلك تسير فى اليوم الواحد مسيرة شهرين . .

وهى سرعة قياسية . . الطاقة المستغلة فيها طاقة الريح ، وهى طاقة لم يستطع الانسان على تقدمه العلمى فى عصرنا الحالى أن يستغلها بالصورة التى وهبها الله لسليمان - عليه السلام .

ولئن أمكن للانسان اليوم أن يستغل الريح فى بعض منافعه فإنه يستغلها فى اتجاهها ، ولايمكنه أن يوجهها إلى وجهة أخرى مضادة لاتجاهها . . أما الريح لسليمان فهى طوع أمره يتحكم أولا فى هبوبها ثم فى توجيهها ثم فى قوتها . . وهذا من جملة الملك الذى لاينبغى لأحد من بعده .

إنها معجزة له . والمعجزات من خصائص الأنبياء .

والواقع أن سليمان أمكنه الله من زمام الريح بصورة تستعصى على الوصف ، ولايمكن الوصول اليها بحال لأنها معجزة من الله عز وجل . . وماجاء حول البساط وطوله وعرضه وأركانه كثير وهى أوصاف بالرغم من عظمها قد تحد من قدرته ، وتفاصيل لاغناء فيها ولافائده منها ، فالله سبحانه له قدرة خارقة مقتدرة ، واذا أراد لسليمان ماهو أعظم مما أعطاه لأعطاه ، وَتَدَخُّل العقول فى هذه القدرة لامجال له .

---

(١) سبأ ١٢

ولو أننا التزمنا بما ذكره القرآن الكريم من أخبار تلك القصص بحيث تفسر الآيات الكريمة التى أشارت إلى ذلك تفسيرا يتفق ومدلول اللفظ وسياق الأحداث ، ولانحمّل الآيات القرآنية مالاتحتمله من معان ، مع التسليم فى النهاية بأن قدرة الله لاحدود لها وبأن فوق كل ذى علم عليم . أقول لو التزمنا بذلك لنجونا من كثير من المآزق والمزالق . .

ومن أجل ذلك نقول : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد جعل الريح مسخرة لسليمان تجرى بأمره رخاء ، فيأمرها بأن تهب فى هذه الناحية أو تلك حسب حاجة الناس للانتفاع بها فى زرعهم ومعايشهم أو فى إزجاء السفن حتى تصل إلى مرافقها سالمة ، أو يأمرها بحمله ومن معه إلى أى مكان بحيث يستطيع التنقل هو وجنوده بواسطتها . . دون الدخول فى تفاصيل حجم البساط الذى كان يحملهم ومدى سعته وعدد جنوده الذين كانوا يركبون فوقه وعدد الذين يرفعونه . فان التعرض لهذه الأمور ضرب من الظن ، ومن الأفضل أن نكل ذلك إلى علم الله ـ تعالى .

هذا وقوله ـ تعالى ـ : (١) فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ لايعارض قوله تعالى ـ : وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ

فالله سبحانه وتعالى ـ قد سخر الريح لسليمان تارة رخاء وتارة عاصفة على

---

(١) سورة ص ٣٦

(٢) الأنبياء ٨١

حسب مايريد ، فإن أرادها لينة جاءت لينة ، وان أرادها سريعة شديدة الهبوب جاءت كذلك . .

وإذا كان سليمان - عليه السلام - نفسه مسخرا فى تنفيذ إرادة الله ومشيئته ونشر دينه وإقرار أحكامه فأنه بلا شك سوف يستخدم تلك الريح فى تحقيق الهدف الذى من أجله جعلها الله مسخرة له . .

وقد تكون كلمة « عاصفة » جاءت فى سياق الاتجاه إلى الأرض المقدسة التى بارك الله فيها ، للاشعار بشدة شوق سليمان إليها وهذا الشوق يستدعى السرعة فى الوصول إليها ، وهذه السرعة تحققها الريح العاصفة لا الرخاء .

تسخير الجن لسليمان

أخبرنا الله - تعالى - فى كتابه الكريم بأنه سخر الجن لسليمان ، وجعلهم جنودا له . قال - تعالى - : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١)

وقال : ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾ (٢)

وقال : ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ (٣)

---

(١) سورة النمل آية ١٧

(٢) سبأ ١٢ - ١٣

(٣) ص ٣٧

فهذه الآيات الكريمة تشير إلى أن الجن كانت مسخرة لسليمان ـ عليه السلام ـ تعمل بين يديه بإذن ربه ، فلم تكن الجن لتعصى له أمرا ، ومن عصاه منهم ورفض أذاقه الله عذاب السعير .

ذكر الرواة أن الله وكل بالجن ملكا بيده سوط من نار ، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة محرقة .

وكانت الجن تعمل كل مايطلبه سليمان ـ عليه السلام ـ منها :
فكانت تبنى له المبانى الضخمة ، والقصور العالية .

وكانت تصور له التماثيل من النحاس والزجاج والرخام ، وكان صنع التماثيل جائزا فى عهد سليمان .

وقد قيل : إن هذه التماثيل كانت صورا للأنبياء والملائكة والعلماء والصالحين ، وكانت توضع فى المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا .

وقيل : إنها تماثيل أشياء ليست من الحيوان ، وقد استدل البعض بذلك على أن التصوير كان مباحا فى شرع سليمان ـ عليه السلام ـ وقد نسخ ذلك بشرع سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وانما حرم الاسلام ذلك للوثنية التى كانت منتشرة ، ولأن الناس كانوا يصنعون الأصنام ـ وهى تماثيل ـ بأيديهم ثم يسجدون لها من دون الله .

وكان الجن يصنعون لسليمان الجفان الكبيرة كالجوابى .

والجفان جمع جفنة وهى القصعة التى تعد للطعام ، والجوابى جمع جابية وهى الحوض الكبير . وفى ذلك تشبيه لاتساع الجفان بالأحواض . وفيه دلالة على اليسر والسعة ، ورغد العيش ودلالة على الكرم الفائق ، الذى يحمل سليمان على إعداد الجفان الواسعة التى تكفى الضيوف الكثيرين .

قيل : كانت القصعة الواحدة يجتمع اليها ألف رجل يأكلون منها . . وكان الجن يصنعون القدور العظيمة من النحاس ، وكانت لعظمتها لاتنتقل من مكانها . ولهذا وصفت بأنها « راسيات » أى لاتتحرك .

وصنعت الجن المحاريب ، جمع محراب . وهو مكان العبادة . . أى المسجد ، وقد بنت الجن بيت المقدس ، ولذلك حديث خاص إن شاء الله ـ تعالى .

وبنت الجن لسليمان بيت الملك ، وسور أورشليم ، ومدينة تدمر ، وكثيرا من القصور العظيمة ، وغير ذلك من المخازن والمدن ، ومازالت بعض آثار تدمر باقية إلى اليوم . .

مدينــة تدمر

تدمر مدينة فى الشمال الشرقى من دمشق بواحة فى الصحراء الكبرى ، واسمها الحالى « تدمر » ـ بضم التاء وسكون الدال وضم الميم ـ وكانت تنطق قديما بفتح التاء . وهى فى العهد القديم (تمر) بدون دال . [1] .

ويقال إن الملكة بلقيس زارت مدينة تدمر مع سليمان وأعجبت بها اعجابا شديدا [1] .

وتعرضت هذه المدينة لعدوان الفرس ثم الرومان ، ومازالت آثار رومانية وكتابات رومانية قائمة بها حتى اليوم . .

ولتدمر تاريخ مثير ، ولملكتها « زنوبيا » أخبار عجيبة تشهد بجمالها وذكائها وقوة تأثيرها على معاصريها . .

ويعتبر البعض أن « زنوبيا » هذه هى « الزباء » التى دارت حولها قصة عربية شعبية ، ورد فى خلالها كثير من الأمثال العربية المشهورة من أمثال : لأمر ماجدع قصير أنفه ـ لايطاع لقصير أمر ـ بيدى لابيد عمرو » .

وحول الرومان بعض أبنية هذه المدينة إلى هياكل لعبادة الكواكب وكتبوا عليها ماكتبوا .

وقد ذكر النابغة الذبيانى تسخير الجن لسليمان فى شعره إذ يقول فى قصيدة يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر ويشير إلى مدينة تدمر :

ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه .·. ولا أحاشى من الأقوام من أحد
الا سليمان اذ قال الاله له .·. قم فى البرية فاحددها عن الفند
وخبر الجن انى قد أذنت لهم .·. يبنون تدمر بالصفاح والعمد

ولقد حملت رغبة النابغة فى عفو النعمان بن المنذر وعطائه على أن شبهه بسليمان عليه السلام ومن يكون النعمان فى جانب سليمان ؟ .

وأين صولة عبد كالنعمان كان كسرى فوقه ، بل عزله وسجنه ، من صولة نبى أتاه الله الملك والحكمة ودان له كل من فى الأرض من انس ووحش وطير وجان ؟ ؟ .

ولكنه كذب الشعر وإفكه ، والشعراء يتبعهم الغاوون إلا من آمن منهم وعمل صالحا . .

وكانت الشياطين تغوص لسليمان البحار لتستخرج منها المعادن النفيسة والجواهر الثمينة .

قال تعالى : وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ (١)

(١) الأنبياء ٨١

والغوص هو النزول تحت الماء ، والغواص هو الذى يغوص فى أعماق البحار بحثا عن اللؤلؤ وغيره .

أما قوله : « وكنا لهم حافظين » فمعناه حافظين لهم من أن يهربوا أو يمتنعوا ، أو حافظين لهم من أن يفسدوا ماعملوا .

وكان دأبهم أن يفسدوا بالليل ماصنعته أيديهم بالنهار .

وكان بعضهم مقيدا بالأغلال ، شدهم سليمان بوثاق شدا محكما ، وهؤلاء هم مردة الشياطين المفسدون الذين تكرر بغيهم واضلالهم وفسادهم فى الأرض .

وسيأتى حديث خاص عن الجن ان شاء الله تعالى .

إسالة عين القطر

القطر ـ بكسر القاف وسكون الطاء ـ هو النحاس الذائب .

وقد تعددت نعم الله على سليمان ـ عليه السلام ـ كما علمنا ـ ومن بين تلك النعم العظيمة أن الله ـ تعالى ـ أسال له عين القطر كما قال ـ تعالى :

﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ (١)

قال المفسرون : أجرى الله له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليها كجرى الماء ـ وانما يعمل الناس اليوم مما اعطى الله سليمان .

واذا كان الله قد ألان لداود الحديد يصنع منه مايشاء بقدرة الله . فقد أعطى ابنه هذه المنحة وهى سيلان النحاس له يستعمله فيما يشاء .

وكان سليمان ـ عليه السلام ـ رجل عمارة وبناء وتشييد ، وفى عهده الزاهر

---

(١) سبأ ١٢

أقيمت البنايات الضخمة والهياكل العظيمة ، وقد كان ذلك فى حاجة إلى النحاس لتوثيق المبانى وشدها وتزيينها ، فأسال الله له النحاس وكان مختلطا بصخور الأرض ، يصهر بقدرة الله تعالى ـ ويقذف من فوهة تلك العين سائلا ، فيأتى عمال سليمان ويأخذون منه مايحتاجون إليه فى عملهم وصناعتهم . .

ويقال) إن سليمان أول من صهر النحاس وأذابه . .

ولكن ذلك لايكون معجزة بالنسبة له . . بل المعجزة تتمثل فى أن يسيل له النحاس من مناجمه كالماء . .

ويصبح العثور عليه ميسورا لايحتاج الى تنقيب ، كما يصبح استعماله ميسورا لايحتاج إلى صهر . .

سليمان والنملة

ذكر أن سليمان ـ عليه السلام ـ ركب يوما فى حشد عظيم من الأنس والجن والطير ، حتى نزل أرضا براحا ، فأتى على وادى النمل . [1] ، فبصرت به نملة على بعد . فارتاعت لذلك الحشد ، وخافت على قومها أن تدوسهم جنود سليمان فتحطمهم .

فنادت النملة فى بنى جنسها : أن ادخلوا مساكنكم حتى لاتفتك بكم الجنود وخيولهم التى يقودها سليمان وتحطمكم تحطيما دون أن يشعروا بكم .

وقد سمع سليمان ـ عليه السلام ـ هذه النملة التى تحذر قومها ، وابتسم ضاحكا من قولها . . كان ضحكه تعجبا من ذكائها وحرصها على حياة قومها وبنى جنسها . . وكان ضحكه سرورا وفرحا بعظيم نعمة الله عليه الذى أسمعه صوت هذه النملة الواهن الضعيف ، وهى لاتكاد ترى .

---

(١) قال الدميرى : وادى النمل بالشام كثير النمل

وأفهمه كلامها وتحذيرها قومها ، وبمعرفة هذه النملة نبوة سليمان وملكه ، وفطنتها إلى أنه لو حطم الجنود قومها لحطموهم دون شعور أو قصد منهم .

وقد قصت آيات القرآن الكريم علينا هذه القصة فى أسلوبها المعجز فقال عز وجل : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١)

هل كان سليمان يعرف لغة الحشرات ؟

قال بعض العلماء : إن سليمان ـ عليه السلام ـ أعطاه الله علم لغات الطير والوحش والحشرات والجن والإنس . ولذلك عرف لغة النملة وفهم حديثها .

ولكن بعض العلماء يرى أن منطوق الآيات الكريمة ﴿ وعلمنا منطق الطير ﴾ يفيد أنه لا علم له إلا بلغة الطير خاصة ، وإن الاحتجاج بالنملة غير وارد ، لأن النملة من الطير وكثيرا ماتكون لها أجنحة تطير بها .

---

(١) سورة النمل ١٧ : ١٩

فقد تبسم سليمان ضاحكا لسروره من أمر يتعلق بالدين وليس متعلقا بالدنيا .

وقد اطمأن إلى أن النملة اعتذرت عنه بقولها . ﴿ وهم لايشعرون ﴾ .

وهذا يدل على أن موكب سليمان لم يكن موكب فخرٍ أو خيلا ، بل هو سير يحرص فيه على إظهار الخشوع والتواضع لله . . والمتواضع فى سيره لايتعمد الأذى . أما المختال المزهو بقوته فإنه لايهمه مايدوس فى طريقه ، بل ربما تعمد الأذى احتقارا لشأن الذى يلقاه .

ولقد كان فى تحذير النملة لقومها مايرشدنا إلى مايجب علينا نحو أبناء ديننا من حرص على مصلحتهم وسعى فى رفعة شأنهم ودرء الأذى عنهم . . وإذا كانت النملة حريصة على أبناء جنسها وحمايتهم فأولى بنا أن نكون أكثر حرصا على قومنا وأهل ديننا ، وإن لنا فى حياة النمل بصفة خاصة مايدفعنا إلى العمل والدأب والنشاط والسعى فى سبيل الرزق والتعاون البناء والنظافة ، وانه ليروعك حين تشاهد قرية من قرى النمل ماتراه فيها من نظام تام وتوزيع للعمل على أسس صالحة سليمة فيما بين الأفراد وسرعة فى تنفيذ الأوامر ، واستجابة كاملة لحسن سير العمل .

وان رعايته لمرضاه لأمر يدعو إلى الدهشة والإعجاب والإيمان بقدرة الله الذى ألهم هذه الحشرة الصغيرة هذا الفهم العجيب والتصرف السديد .

ويضرب بالنمل المثل فى القوة ، وهذا من المفارقات العجيبة . فإن النملة على ماتراها من ضعف ظاهر فى بنيتها تقدر على حمل أضعاف جسمها ، وحكى أن

رجلا قال لبعض الملوك : جعل الله قوتك مثل قوة النمل ، فإنكر عليه قوله .
فقال الرجل : ليس من الحيوان مايحمل ماهو أكبر منه إلا النملة .

وقد ذكر أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل ملائكة فى صورة النمل يوم حنين .

جاء فى سيرة ابن هشام عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه : **لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد الأسود نزل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت فاذا هو نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى فلم أشك أنها الملائكة ، ولم تكن إلا هزيمة القوم .**[1] .

وقد ذكر الرواة قصة أخرى لسليمان - عليه السلام - مع النملة فقالوا :
خرج سليمان بن داود يستسقى بالناس ، فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها الى السماء وهى تقول :

اللهم إنا خلق من خلقك ، ليس بنا غنى عن فضلك ، اللهم لاتؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين واسقنا مطرا ، تنبت لنا به شجرا ، وتطعمنا به ثمرا .

فقال سليمان : للناس : ارجعوا فقد كفيتم وسقيتم بدعوة غيركم[1] .
فلم تلبث السماء أن أمطرت مدرارا .

إن تسمية السورة التى وردت فيها هذه القصة باسم النمل ليدل على ماتبطنه هذه القصة من دلائل وعظات يجدر بالمسلمين تأملها ، والاهتداء بما فيها إلى مايفيدهم فى أمور دينهم ودنياهم . .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٤

قال الدميرى : رأيت فى بعض الكتب أن تلك النملة التى خاطبت سليمان إنما أمرت رعيتها بالدخول فى مساكنها لئلا ترى النعم التى أوتيها سليمان وجنوده فتقع فى كفران نعمة الله عليها .

ويروى أن سليمان قال لها : لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم أخفت عليها منى ظلما ؟ .

قالت : لا ، ولكنى خشيت أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله (١).

وقد تكون هذه المحادثة رمزية ، ولكنها ذات دلالة على الرضا بما فيه الانسان من حال ، والنهى عن التطلع الى مايشغل الذهن عن عبادة الله ، ولايخفى مافى القناعة من خير وما فى الزهد من فائدة ، وقد قال الحكماء :

حب الدنيا رأس كل خطيئة .

ويقال إن سليمان قال للنملة : عظينى

فقالت له : أما علمت لم سمى أبوك داود ؟ قال : لا

قالت : لأنه داوى جراحة الفؤاد ، وهل علمت لم سميت سليمان ؟

قال : لا . قالت : لأنك سليم النية على ما أوتيته بسلامة صدرك . وحق لك أن تلحق بأبيك ثم قالت : أتدرى لم سخر الله لك الريح ؟ .

قال : لا . قالت : لتعلم أن الدنيا كلها ريح . فتبسم ضاحكا من قولها (٢)

---

(١) حياة الحيوان جـ٢ ص ٦٤٤

(٢) تفسير القرطبى ، سورة النمل ص ٤٨٨٧

سليمان وبلقيس

ذكر بعض العلماء أن سليمان ـ عليه السلام ـ بعد أن فرغ من بناء بيت المقدس اتجهت همته إلى زيارة البيت الحرام ، وكان الأنبياء قديما يحجون إليه . فأعد موكبه الذى يسير فيه ، وذهب إلى مكة .

فأقام ماشاء الله له أن يقيم ، ونحر حول الحرم وأطعم الناس ، ويروى أنه قال لمن حضره من أشراف قومه : هذا مكان يخرج منه نبى عربى من صفته كذا وكذا ، يعطى النصر على من ناوأه وتبلغ هيبته مسيرة شهر ، القريب والبعيد عنده فى الحق سواء ، لاتأخذه فى الله لومة لائم .

فقيل له : بأى دين يدين يانبى الله ؟

قال : يدين بالحنيفية ، وطوبى لمن أدركه وآمن به . .

قالوا : فكم بيننا وبين خروجه يانبى الله ؟

قال : مقدار ألف عام ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الأنبياء وخاتم الرسل . [1]

ورحل سليمان فى طريقه إلى اليمن . .

خرج من مكة صباحا . . فوافى صنعاء وقت الزوال . فرأى أرضا حسناء تزهو خضرتها ، فأحب النزول فيها . .

فلما نزل قال الهدهد : إن سليمان قد انشغل بالنزول ، فارتفع نحو السماء ، فنظر فاذا بقصر بلقيس حوله حديقة نضرة فمال إليها .

واستطلع أخبار القصر فرأى مالم يره ، وعلم مالم يعلمه . .

ولعل الله ساق إليه هدهدا من بنى جنسه أنس إليه فأطلعه على أخبار هذا القصر ، وربما دارت بينهما محاورة طريفة وقف كل منهما على ماعند صاحبه من الأخبار .

ولايهمنا البادىء منهما بالحوار الذى يهدينا إلى تتبع قصة سليمان وبلقيس . ولكنا نفترض أن هدهد اليمن ـ هو الذى بدأ الحديث ـ فهذا مايقتضيه العرف .

قال الهدهد اليمنى : من أين أقبلت ؟ وأين تريد ؟ .

قال هدهد سليمان : أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان بن داود عليهما السلام ـ فقال الهدهد اليمنى : ومن سليمان ؟ .

فقال : إنه نبى الله ومالك الجن والانس والطير والوحش والريح . وظل يتحدث عن عظمة سليمان واتساع ملكه . حتى أذهل ذلك الحديث الهدهد اليمنى .

والتقط الهدهد اليمنى الحديث فأخذ يتحدث عن بلقيس وملْكها ، وأنها ملكة ذكية قوية يدين لها قومها بالطاعة ، ويأتمرون بأمرها وأن تحت يدها قوادا مخلصين وتحت كل قائد جنودا أقوياء ، فهلم معى لتنظر إلى مُلْكِها .

فقال هدهد سليمان : إن حديثك شائق ولكنى أخاف أن يتفقدنى سليمان فلا يجدنى فيعاقبنى .

فقال الهدهد اليمنى : إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة .

واستجاب هدهد سليمان لاغراء الهدهد اليمنى ، وسار معه وشاهد من ملك بلقيس ما أطلع عليه سليمان عنده عودته . .

وكان سليمان فى نزوله حول صنعاء قد نزل على غير ماء ، فسأل من له خبرة بمكان الماء فلم يجد أحدا ، فقال : أين الهدهد ؟ ومن خصائص الهدهد أنه يبصر مكان الماء تحت الأرض . .

فلم يعرف أحد مكان الهدهد . .

فغضب سليمان وتهدد الهدهد قائلا : لأعذبنه عذابا شديداً أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين .

وجاء الهدهد ، وأخبره الطير أن سليمان قد توعده ، فقال : أو ما استثنى نبى الله ؟

قالوا : بلى إنه قال أو ليأتينى بسلطان مبين .

فقال الهدهد : لقد نجوت إذن .

وتقدم الهدهد فى خضوع إلى مجلس سليمان ـ عليه السلام ـ أرخى ذنبه وجناحيه وأخذ يجرهما على الأرض تواضعا .

وقبض عليه سليمان وجره اليه . فقال الهدهد : يانبى الله ، اذكر وقوفك بين يدى الله ـ عز وجل ـ فارتعد سليمان خوفا وعفا عنه . ثم سأله عن سبب غيبته فقال له :

لقد جئتك من سبأ بنبأ يقين . . وقص عليه مارآه من شأن هذه الملكة التى يأتمر بأمرها هؤلاء القواد وكيف أنها تتحكم فيهم كما تشاء ، وأن الذى هاله من أمرها

أنها كافرة تعبد الشمس ولاتعبد الله . . وهذا الجزء من القصة تعرضه علينا هذه الآيات :

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ (١)

أهمية الهدهد لسليمان

كان الهدهد ـ فيما يحكى الرواة ـ يعرف مكان المياه فى عمق الأرض ، وإذا احتاج سليمان إلى الماء فى سفره . كان الهدهد يدله على مكان الماء وهذا لاتعرفه الجن ، وكانت الجن تستخرجه بعد أن يخبر الهدهد بمكانه .

روى أن نافع الأزرق سمع ابن عباس يذكر شأن الهدهد فقال له : قف

---

(١) النمل ١٧

ياوقاف . كيف يرى الهدهد الماء فى باطن الأرض وهو لايرى الفخ حين يقع فيه ؟ .

فقال له ابن عباس : أما تعلم أنه اذا جاء القدر عمى البصر ؟

أما التهديد بتعذيب الهدهد الذى ورد على لسان سليمان ، فقد سئل عنه . . قيل له : ما العذاب الشديد الذى أعددته للهدهد ؟ .

فأجاب ـ على رواية بعضهم ـ : أجعله بين أضداده ـ وهذا أشد العذاب ـ وماتعذب أحد عذاب من وضع بين قوم لايعرفون قدره .

وروى بعضهم أنه قال : ألزمه خدمة أقرانه .

وفى ذلك حط من شأنه وضياع لقدره .

وروى بعضهم أنه قال : أفرق بينه وبين إلفه ، وهذا أقصى أنواع العذاب .

أما قول الهدهد : أحطت بما لم تحط به . ففيه إشارة إلى عدم احتقار الضعيف ، فقد يقدر على مالايقدر عليه القوى .

وقوله : إنى وجدت امرأة تملكهم . . فيه إخبار عن أمارات دهشة الهدهد وتعجبه . فإنه لم ير قبل ذلك امرأة يُملّكها قوم عليهم .

وكأن الهدهد قد تعجب لذلك ، فقدم المرأة على الفعل ونكرها ، ولم يذكر اسمها ولم يتحدث عن مميزاتها ، ولكنه نظر إلى أنها امرأة من جنس النساء ، وهذا فى نظره سبب كاف لأن يأنف قومها من تمليكها عليهم .

ومن الطرائف فى ذلك أن محاورة جرت بين يمنى وقرشى ـ فقال القرشى لليمنى :

ما أحمق قومك إذ ملكوا عليهم امرأة .

فقال اليمنى : أحمق من قومى من جاءهم نبى يهديهم فقالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

هلا قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه ؟

فحج اليمنى القرشى .

والمُلك قرين القضاء والمرأة لاتصلح للقضاء ، لغلبة عاطفتها وجيشان شعورها وعدم قدرتها على التحكم فى مشاعرها . .

ولكن هناك أعمالا جليلة لاتقل أهمية عن القضاء والحكم برزت فيها المرأة وأثبتت كفاءة عالية فى توليها ، فحسْبها ذلك .

ولذلك قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين سمع أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة . .

وقد اعتبر الفقهاء هذا النص أصلا فى عدم تولى المرأة الحكم .

لأن الغرض من الحكم حفظ الثغور ، وتدبير الأمور ، وحماية البيضة والحفاظ على أرض الوطن ، وقبض الخراج ورده على مستحقيه ، وذلك لايتأتى من المرأة كتأتيه من الرجل .

واستشهد القرطبى فى عدم جواز ذلك بكلام ابن العربى : ان المرأة لايتأتى منها أن تبرز الى المجلس ولاتخالط الرجال ، ولاتفاوضهم مفاوضة النظير للنظير ،

إنها إن كانت فتاة حرم النظر إليها وكلامها ، وإن كانت برزة [1] لم يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم ، وتكون مناظرة لهم .

بلقيس فى حضرة سليمان

وأثار حديث الهدهد اهتمام سليمان . ولكنه لحكمته لم يتسرع فى إصدار أوامره بتقويض هذا الملك القائم على الشرك . .

ولكنه أراد أن يتثبت من حقيقة ماسمع . وهذا هو أدب النبوة العالى ونور الحكمة وحسن سياسة الملك ، فقال للهدهد : سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين . .

وكلفه حمل رسالة إلى هذه الملكة . . بدأها بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم . . وفى هذا البدء تنبيه للأذهان إلى حقيقة الاله الذى يجب أن يفرده الناس بالعبادة دون غيره ، وبيان لأخص صفاته وهى الرحمة . .

ثم دعاهم فى رسالته إلى الاسلام والاستسلام . .

وكانت بلقيس امرأة ذكية عاقلة حكيمة . .

قيل إن أحد أبويها كان جنيا . وروى وهيب بن جرير بن حازم عن الخليل بن أحمد عن عثمان بن حاضر قال : كانت أم بلقيس من الجن يقال لها بلقمة بنت شيصان . وقيل : غير ذلك فى اسمها وقد اختلفت الأقاويل حول بلقيس وأصلها ونسبها . .

ومن ذلك ما أوردته صاحبة كتاب الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ، التى قالت : هى بلقمة بنت يشرع بن الحارث بن قيس بين صيفى بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

وقيل إن اسمها بلقيس وهى ابنة السرح بن الهدهد بن شراحيل بن أدد وينتهى نسبها إلى يعرب بن قحطان

وأمها جنية ابنة ملك الجن واسمها رواحة أو ريحانة بنت السكن .

وقيل : بلقمة بنت عمرو بن عمير الجنى . .

أما كيف اتصل أبوها بالجن فلذلك قصة . .

كان أبوها ملكا عظيم الشأن ، لم ير بين ملوك الأرض فى عصره نظيرا له ليصاهره ، فأضرب عن الزواج .

وكان يخرج إلى الصيد ، وكانت الجن تتعرض له فى صورة ظباء فيصطادها ثم يخلى سبيلها . فظهر له ملك الجن ، وشكره لصنيعه ، فأغتنمها فرصة وخطب إليه ابنته فأجابه . .

وهناك قصة أخرى فى سبب ذلك :

قيل : إنه خرج مرة فوجد حيتين تقتتلان إحداهما سوداء والأخرى بيضاء

فظفرت السوداء بالبيضاء ، فأمر بقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها ماء حتى أفاقت ، فأطلقها ، وعاد إلى داره فجلس منفردا ، واذا بجانبه رجل جميل فذعر منه .

فقال له الرجل : لاتخف أنا الحية التى أنقذتها ، وإنى مكافئك بالمال أو علم الطب .

فقال الملك : أما المال فلا حاجة لى به ، وأما الطب فقبيح بالملوك ، ولكنى أقترح عليك إن كان لك ابنة أن تزوجنى إياها .

فأجابه الرجل بأنه موافق بشرط ألا يغير عليها شيئا تعمله ، فاذا غير عليها شيئا فارقته . .

ثم تزوج من الجنية ، فولدت غلاما فألقته فى النار ، فجزع لذلك جزعا شديدا ، ولكنه سكت وفاء للشرط الذى اشترطه على نفسه .

ثم ولدت جارية فألقتها إلى كلبه .

فعظم على الملك ذلك أيضا ، ولكنه صبر مرغما وفاء للشرط .

وحدث أن ثار عليه بعض أتباعه فجمع عسكره وسار ليقاتلهم وكانت زوجته الجنية معاه ، فلما صاروا فى مفازة رأى الجنود الذين معه أنّ زادهم قد خلط بالتراب ، وأن ماءهم انصب من أفواه القرب . فأيقنوا بالهلاك . وعلم الملك أن ذلك من فعل الجن بأمر زوجته .

وهنا نفد صبره ، وثار عليها ، وعلم أنها تريد إذلاله .

فقال لها : صبرت على إحْراق ابنى ، وإطعام ابنتى للكلب . ثم الآن فجعتنا بالزاد والماء حتى أشرفنا على الهلاك .

فقالت له : لو صبرت لكان خيرا لك . فإن عدوك قد خدع وزيرك واتفقوا معه على خيانتك فجعل السم فى الزاد والماء ، وتحقق ذلك أنك إذا أمرته بالشرب من الماء أو الأكل من الطعام فإنه سوف يمتنع .

فأمر الملك وزيره بالشرب من الماء فرفض ، فقتله .

ثم دلته على نبع ماء صاف ، وميرة يمتارها . وقالت له : أما ابنك الذى

ظننت أنى ألقيته فى النار فقد سلمته إلى حاضنته تربيه ، وقد مات ، وأما ابنتك التى رأيتنى أُلقِيها للكلب فهى حية باقية ، وجاءت إليه بها فاذا هى فتاة جميلة .. وهى بلقيس ..

وتركته هذه الزوجة ولم تعد اليه ..

ثم سار الملك إلى عدوه فظفر به .. ثم فوض إلى ابنته بلقيس أمر المُلك ، فملكت بعده ..

وقيل : إن الملك مات بلا وصية فاختلف الناس بعد موته ، وافترقوا فرقتين ، بايعت إحدهما بلقيس وبايعت الأخرى ابن عم لها ، فأساء السيرة فى الرعية ،

وكان فاحشا خبيثا فاجرا يظلم الناس ، فاحتالت عليه بلقيس وخطبته إلى نفسها ، وفى ليلة الزفاف سقته الخمر حتى سكر ، فحزت رأسه بالسيف وعلقته على باب القصر .

فأعجب الناس بحليتها وارتضاها الجميع ملكة عليهم .

وعظم أمرها واتسع ملكها ، وبالغوا فى وصف ذلك مبالغة شديدة .. ولكن القرآن أشار إلى ذلك الملك فى إيجاز حين قال : وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ

وفى شرح هذا الايجاز يمكن تصديق أى قول يفيض فيه الرواة ..

وصف العرش

قيل : إنه كان سريرا ضخما من ذهب وفضة ، مرصعا بالجواهر النفيسة ..

---

(١) سورة النمل آيه ٢٣

ولعظمه كانت تحرص على المحافظة عليه حرصا شديداً فقد جعلته فى جوف سبعة بيوت عليها سبعة أبواب .. وهو فى آخرها .. وفى مواجهته كوة تدخل منها الشمس أول ماتشرق فتسجد لها .

وقيل : إنها أنفقت فى صنعها ثلاثمائة ألف أوقية من الذهب ..

المبالغة فى هذه الأوصاف

وقد جرت عادة أهل الاخبار أن يبالغوا فى وصف مالم يرد فيه نص صريح ، ويلعب خيالهم دورا كبيرا فى الاضافة والابتكار ، حتى قال ابن الأثير : لقد تواطئوا على الكذب والتلاعب بعقول الجهال حتى يصدقوا المحال ، لأن أوصاف عرشها وعدد جيوشها الذى ذكره الرواة من الأمور التى لايمكن تصديقها [1] .

ذكاء بلقيس

كانت بلقيس ذات فطنة ودهاء وحكمة .. ومن حكمتها أنها كانت لاتستبد برأيها ، فحين ألقى الهدهد كتاب سليمان من الكوة التى تدخل منها الشمس ، وتوارى حتى لاتراه .. نظرت إلى الكتاب فوجدته مختوما ، فحكمت عليه بأنه كتاب كريم ، فقد ورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم : ﴿ كرم الكتاب ختمه ﴾

ثم جمعت قوادها لتخبرهم بهذا الأمر العجيب الغريب .

ثم أخبرتهم بأنها تلقت كتابا كريما لاتعرف مصدره وإنما ألقى اليها دون أن ترى حامله وقد وصل اليها الكتاب فى أعمق مجلس من مجالسها . حيث لا يجرؤ أحد أن يدخل إليها إلا بأذن ..

قال الزمخشرى : وجدها الهدهد راقدة فى قصرها بمأرب ، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها ، فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهى مستلقية . .

وقيل : نقرها فانتبهت فزعة . .

وقيل : أتاها والقادة والجنود حولها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب فى حجرها .

وكانت قارئة عربية من نسل تبع

وقرأت الكتاب على قومها فاذا فيه ـ على ماذكره الزمخشرى ـ عن ابن عباس ـ

رضى الله عنهما : بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ ، السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلو علىَّ وائتونى مسلمين .

وكانت كتب الأنبياء جملا موجزة لايطيلون ولايكثرون

وطلبت بلقيس رأى قوادها ، ففوضوا الأمر إليها مع إخبارها بأنهم أهل قوة ، وهم رهن إشارتها . .

ولكنها حين أحست ميلهم إلى الحرب ، رأت أن الميل إلى المسالمة أصلح ، وأرادت اختبار قدرة صاحب الرسالة ومدى إمكانياته وحقيقة حاله فقد يكون من

الاقتدار ـ وهذا مايفهم من أسلوب رسالته وطريقة إرسالها بحيث اذا دخل مملكتهم حطمها وأذلها . .

ولاسبيل إلى سبر قوته إلا بالهدايا فالهدية هى التى تفتح المغاليق وتكشف الأسرار . .

واجتمع الرأى على ذلك ، فبعثت بغلمان فى زى الجوارى ، وجوار فى زى غلمان ؟ وألف لبنة من ذهب وتاج مكلل بالدر والياقوت ، وحق فيه درة عذراء - غير مثقوبة وجزعة - خرزة - معوجة الثقب وبعثت برجلين من أشراف قومها بهذه الهدية . . إحدهما المنذر بن عمرو ، والآخر رجل ذو رأى وعقل . . وقالت لهما :

إن كان نبيا ميز بين الغلمان والجوارى ، وثقب الدرة ثقبا متساويا ، ونظم فى الخرزة ذات الثقب المعوج خيطا .

ثم قالت للمنذر : إن نظر اليك نظر غضبان فهو ملك ، فلا يهولنك وإن رأيته بشا لطيفا فهو نبى . .

الهدهد يخبر سليمان

وعاد الهدهد إلى سليمان وقد شهد ما رآة وأجمعوا عليه ، فأخبره ، فأمر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة ، وفرشوا اللبن فى ميدان واسع ، وجعلوا حول الميدان حائطا له شرفة من ذهب وشرفة من فضة . وأمر بأحسن الدواب فى البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن .

وأمر بأولاد الجن وهم خلق كثير فأقيموا عن اليمين واليسار .

وجلس سليمان على كرسيه وبين يديه الإنس والجن والوحش والسباع والطيور تظلهم .

فلما دنا الركب اليمنى من ميدان سليمان ، وجدوا اللبن من الذهب والفضة تروث عليه الحيوانات ، فاحتقروا مامعهم وألقوه .

ولما وقفا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق مبتسم ، وهش لهم ورحب بهم . . فازدادوا له هيبة . . ثم قال لهم : ماوراءكم ؟ .

فألجمتهم المفاجأة وجلال المنظر عن الجواب ,

ثم قال : أين الحُقّ الذى معكم ؟ ـ وكان جبريل ـ عليه السلام ـ قد أخبره بما فيه ـ وفتح الحق ، وتناول الدرةغير المثقوبة ، وأمر الأرضة أن تثقبها فأخذت شعرة ونفذت فيها .

وأمر دودة أن تأخذ بفيها خيطا لتنظم فيه الجزعة ذات الثقب المعوج .

ودعا بماء ، ووضعه أمام الجوارى والغلمان . فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الأخرى ثم تضرب به وجهها .

وكان الغلام يأخذ الماء فيضرب به وجهه مباشرة .

وبذلك فرق بين الغلمان والجوارى .

ثم رد الهدية وقال لرسل بلقيس : لاحاجة لنا بهديتكم ثم لوح لهم بالحرب التى لن يستطيعوا أن يواجهوها . . وهذه الأحداث التى ذكرناها أشارت إليها الآيات الكريمة الاتية :

﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ (١)

لقد ظهر ملك سليمان رائعا في هذا الاستقبال الذى أعده لرسل بلقيس ، وقد أذهلهم هذا المنظر الرائع للغنى والقوة ، وحكموا بأنه ملك لايغلب وذو سلطان لايقهر ، وصاحب ثروة لاتنافس . وفوق ذلك فهو نبى من أنبياء الله .

ومن ذا الذى يستطيع أن يطاول نبيا ملكا خضعت له الإنس والجن والطير والوحش ودانت له الريح ، وأعلمه الله الغيب ؟ .

---

(١) سورة النمل ٢٧ : ٣٧

عرش بلقيس فى حضرة سليمان

وعاد الرسل إلى ملكتهم مرتاعين مشدوهين ، وأخبروها بجلال ما رأوا وجمال ماشاهدوا . . وحين سمعت مقالتهم قالت : إن هذا نبى أعطاه الله ملكا ، فلا قبل لنا بمحاربته . وصممت على إجابة دعوته والمثول بين يديه .

فشخصت إليه فى موكب مهيب وجيش كثيف .

قال العلماء : وكانت الجن تعلم أن بلقيس متى جاءت إلى سليمان أسلمت بين

يديه ، وراقت فى نظره فتزوجها ، وهى قد تربت عندهم وعرفت أسرارهم ولاشك فى أنها ستخبر سليمان بذلك فيضاعف من تسخيره لهم وإحكام قبضته عليهم . .

. . فأرادوا أن يشوهوا من منظرها ويحقروا من شأنها حتى تهون فى نظره ويزهد فيها ، فقالوا له : إن هذه المرأة التى ستفد إليك ليست عاقلة ، وإن رجليها كحافر الفرس . .

فأراد سليمان أن يختبر ذكاءها فأمر بنقل عرشها قبل أن تجىء ، ونكره . .

قال لمن حوله : أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين ؟ .

فأجاب عفريت اسمه ذكوان ، أو كوذا ، أو صخر ـ على اختلاف فى الروايات ـ قائلا :

أنا آتيك به قبل أن ينفض مجلسك ، وإنى لقادر على ذلك ، وأمين محافظ عليه . .

ولكن رجلا من أهل العلم ـ اسمه آصف بن برخيا ـ قال : أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك .

لقد كان هذا أقدر من العفريت وأقوى . أعطاه الله من القوة والقدرة بحيث يتمكن من فعل الأعاجيب وذلك لأنه كان حسن الاستجابة لله سريع الانقياد

له ، فاذا أطاع العبد ربه حق طاعته وهبه من القدرة مايجعله قادرا على فعل المعجزات .

ونظر سليمان فاذا بالعرش أمامه ..

فسجد لله شاكرا ، وقال : هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم .

وقال سليمان لمن حوله : نكروا لها العرش لنعرف قدر ذكائها وهل تستطيع أن تميز بين عرشها وبين غيره أم لا ؟ .

فغيروا منه بعض الشيء ..

وجاءت بلقيس في موكبها ، وأحسن سليمان استقبالها .. وصحبها في جولة في أبهاء قصورة ، حتى اطلعها على القاعة التي وضع فيها عرشها .. وقال لها : انظري إلى هذا العرش أهو عرشك ؟قالت : كأنه هو ..

ولو كانت امرأة ساذجة غير حكيمة لأسرعت على الفور قائلة : إنه ليس عرشها ..

فأين عرشها الذي أغلقت خلفه الحصون والأبواب من هذا المكان ؟ .

ثم إن به تغييرات زادت منه ونقصت منه مما أذهب التطابق التام بين هذا

العرش وعرشها . فلو قالت : هو كذبت ، ولو قالت ليس هو كذبت أيضا . .
ولذا قالت : كأنه هو . .

إنها إجابة ذكية تدل على حنكة سياسية وبعد نظر . .

وأدرك سليمان على الفور كذب ما أخبره به الجن بشأن عقلها ونقص تفكيرها ، وحمقها .

وبقى الأمر الآخر الذى يريد أن يتثبت منه ، وهو رؤية ساقيها .
كان قد أمر الجن ببناء صرح من قوارير ، وأجرى تحته الماء ، وجعل فى الماء حيوانات البحر التى أخذت تسبح فيه ، وجلس هو فى صدر هذا القصر . .

وأقبلت بلقيس فى فتنتها الطاغية وجمالها الأخاذ تحيط بها هالة من جلال الملك وروعة السلطان . .

ونظرت أمامها فاذا بماء يجرى ، وأسماك تسبح فيه ذات منظر بديع ، وسليمان يشير إليها أن تتقدم إلى الأمام . .

فانقادت لأمره طائعة ، ورفعت ثوبها لتخوض الماء ، فظهر لها ساقان كأنهما منحوتان من عاج ، لاعيب فيهما سوى شعر أهملته فبدا وظهر .

ونظر سليمان إلى الجن نظرة تأنيب وتوبيخ . .
ثم ارتد نظره إلى بلقيس فطمأنها بأن ما أمامها ليس ماء ولكنه صرح ممرد من زجاج صاف . .

وأدركت بدهاء المرأة والذكاء اللماح الذى وهبته السر من وراء تكلف سليمان ذلك . . وعرفت أن قوة سليمان ليست قوة مَلِك أتاه الله سلطانا يخضع البشر

فحسب ، ولكنها قوة نبى أتاه الله الحكمة وألهمه الصواب فأقرت بعجزها أمامه ، وقالت : رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين . .

واختلف العلماء حول تزوج سليمان من بلقيس ، فقال بعضهم إنه تزوجها وأولدها غلاما سماه داود مات صغيرا وقال بعضهم إنه زوجها رجلا من أهلها . .

أما الذين قالوا إنه تزوجها فقد أضافوا إلى ذلك أنه احتال لازالة ماعلى ساقيها من شعر ، فصنعت له الجن دواء مركبا يزال به الشعر ، فاستعملته فأصبحت ساقاها كالفضة البيضاء وأما الذين قالوا إنه لم يتزوجها فقد أضافوا إلى ذلك أن سليمان قال لها : مادمت قد أسلمت فلابد أن تتزوجى لأن هذا من سنة الاسلام .

فأختارت ملكا من أحفاد تُبّع فزوجه منها ، وأمر الجن أن تكون فى طاعته ، فاستعان بهم فى بناء عدة قصور فى اليمن مازالت آثار بعضها باقية إلى الآن مثل قصر غمدان .

وربما كانت الرواية التى تقول إن سليمان قد تزوجها أرجح . فقد ذكر الرواة أن سليمان بنى مدينة تدمر ، وبها قصر كان لبلقيس ملكة سبأ ، وأنها ماتت قبل سليمان ، ودفنها فى تدمر ولكنه أخفى قبرها . .

وفى نقل العرش وإتيان الملكة وبناء الصرح يقول القرآن الكريم :

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ

---

(١) سورة النمل ـ ٣٨

وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِيٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ .(١)

---

(١) سورة النمل آية ٣٨ ـ ٤٤

لقد أدرك سليمان بفطنته وإلهام النبوة الصادق أن بلقيس ستأتى مسلمة ، فقد كان للأحداث الماضية من إلقاء الهدهد الخطاب بالصورة التى ألقى بها ، ومن قوة أسلوب الخطاب وحكمته وختمه ، ومن رد الرسل بهدايهم بعد أن أذهلهم بمعرفته وكشف عن قوته وسلطته أدرك أنه سيكون لكل ذلك أثره فى نفس بلقيس فاستأنست للإسلام وجاءت مقرة به . .

ولذلك يرى بعض العلماء أن قوله تعالى ﴿ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ [1] وردت على لسان بلقيس . .

فكأنها قالت حين رأت العرش منكرا ثم أدركت أنه عرشها ونقله سليمان بحكمته : قد أوتينا العلم بنبوتك من قبل هذه العلامة وأسلمنا .

ولكن بعض العلماء يقول إن هذه العبارة وردت على لسان سليمان ـ عليه السلام ـ وأراد أن يقول : أوتينا العلم باسلامك ومجيئك طائعة قبل أن تحضرى[1] .

أما الإتيان بالعرش فلم يكن له هدف عند سليمان إلا أن يريها القدرة التى هى من عند الله وعظم سلطانه فى معجزة يأتى بها فى عرشها[2] .

وهو ماتطمئن اليه النفس من بين الأقوال التى يرويها الرواة من أن سليمان أعجبه وصف الهدهد للعرش فأراد الاستيلاء عليه قبل أن تعلن إسلامها ، لأنها لو أسلمت حرم عليه مالها . .

نقول إن ذلك يعد طعنا فى مقام النبوة السامى ، وما كان عليه سليمان من ملك عظيم لاينبغى لأحد من بعده ، وكان له من القوة التى سخرها الله له

---

(١) النمل ٤٢.

مايجعله قادرا على أن يبنى مثل هذا العرش الذى صنعته أيد بشرية . . بل إن فى مقدوره تسخير الجن فى صنع ماهو أفضل منه ، وقد صنع فعلا ماهو أعظم منه .

أما نسبة الاتيان بالعرش إلى الذى عنده علم من الكتاب ففيها إعلاء من شأن العلم وقدرته وقيمته ، والحث على طلبه وتعلمه والتخصص فيه والغوص لمعرفة

أسراره ومراميه . فقد ظهر من سياق الآيات أن قدرة العلم فاقت قدرة الجن ، وأن سرعة (آصف بن برخيا) كانت أعظم بكثير من سرعة العفريت الذى تطوع للاتيان بالعرش وأيا ما كان نوع العلم الذى أوتيه (آصف) أو غيره ـ على اختلاف الأقوال فى ذلك ـ فإن الدلالة باقية على أهمية البحث العلمى والتعمق فيه

وبلوغ ماخفى منه ، وهذا يفتح الطريق أمام العلماء للنبوغ والتخصص والابتكار وعدم القناعة بما وصلوا اليه من مخترعات ، وربما أشارت قدرة العلم على نقل

العرش ـ وهو شيء مادى نقل من مكان الى مكان فى سرعة خاطفة إلى أن العلم عند البشر قد يتجاوز كل مايتخيله العقل وذلك اذا أراد الله ذلك وقدره . وقد

دلت الآثار الباقية من العصور الغابرة على أن الاقدمين كانوا على حظ وافر من العلم الذى وهبه الله لهم ماتزال عبقرية العصور الحاضرة عاجزة عنها .

سلميان والجياد

ذكر القرآن الكريم قصة سليمان ـ عليه السلام ـ مع الصافنات الجياد فى قوله ـ تعالى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (١)

(١) سورة ص آيه ٣١ : ٣٣

وقد جاءت هذه الآيات بعد قوله ـ : ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١)

ومعنى أواب أى كثير الرجوع الى الله بالتوبة والاستغفار والتسبيح . وهو وصف ينطبق على سليمان كما ينطبق على داود . . فالمدح هنا محتمل لكليهما . .

وفى صرف المدح لسليمان ـ وهو جدير به ـ جاءت قصة الجياد تأكيدا له . . أما هذه القصة فهى كما أشارت إليها كتب أهل التفسير قالوا :

غزا سليمان ـ عليه السلام ـ وكان كثير الغزو فى سبيل الله ـ أهل دمشق وأهل نصيبين ، وأصاب فى غزوه ألف فرس .

وقيل : بل أصابها أبوه داود وقد ورثها سليمان .

وقيل : بل هى خيول عجيبة ذات أجنحة خرجت من البحر لسليمان .

واسترعت هذه الخيول ـ على ماقيل فيها ـ اهتمامه ، فجلس يوما على كرسيه بعد صلاة الظهر يستعرضها وشغل بها حتى غربت الشمس ، وفاتته صلاة العصر .

وحين رأى الشمس قد غربت وأدرك أن صلاة العصر قد فاتته داخله غم شديد لذلك ، وأمر برد الخيول وعقرها تقربا لله تعالى .

ولم يبق منها سوى مائة فرس هى التى حفظت النتاج المتبقى فى أيدى الناس إلى اليوم .

---

(١) سورة ص آية ٣

وقيل : إنه حين عقرها فى مرضاة الله أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب . .

إن انصراف النفس عن الشيء ابتغاء وجه الله يقابله من الله تعويض سخى وعطاء سنى . روى الأمام أحمد قال : حدثنا إسماعيل ، قال : حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال ، عن أبى قتادة وأبى الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت ، قالا : أتينا على رجل من أهل البادية ، فقال البدوى : أخذ بيدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يعلمنى مما علمه الله - عز وجل - فكان من كلامه : إنك لاتدع شيئا اتقاء الله عز وجل إلا أعطاك الله خيرا منه

وفى تعليل نحر الجياد غير أنها شغلته عن ذكر الله قال الثعلبى : إنه كانت بالناس مجاعة ولحوم الخيل لهم حلال ، فقد عقرها لتؤكل على وجه القربة لله بها كالهدى عندنا

فكأن سليمان انتهز الفرصة لفعل مزيد من الخير . . شغلته الخيل عن الصلاة فأباح لحومها لله . .

ولذلك نظير فى الاسلام . جاء فى الموطأ عن عبدالله بن أبى بكر أن أبا طلحة الأنصارى - رضى الله عنه - كان يصلى فى حائط بستان له فطار دبسى - نوع من الطيور يشبه الحمام - فأعجبه ، وهو طائر فى الشجر يلتمس مخرجا ، فأتبعه بصره ساعة وهو فى صلاته فلم يدر كم صلى ، فذكر ذلك للنبى - صلى الله عليه وسلم - وقد ندم على ما أصابه من الفتنة . ثم قال : يارسول الله ، هو أى البستان صدقة فضعه حيث شئت .

وحدث نظير ذلك فى زمن عثمان من رجل أنصارى ، فجاء لعثمان وقال له : لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة فهو صدقة فاجعله فى سبيل الخير . فباعه عثمان بخمسين ألفا . .

وكان ابن عمر - رضى الله عنهما - لايعجبه شيء من ماله إلا خرج عنه لله تعالى . .

قال حجة الاسلام الغزالى : كانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر ، وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع ولايغنى غيره [1] .

وعلى هذا التفسير فإن الضمير فى (ردوها على) يعود على الخيل . أمر سائسيها بذلك . والمسح المقصود به الذبح بالسيف .

والضمير فى توارث يعود على الشمس ـ ومعنى توارت بالحجاب أى غابت .

وقال بعضهم : يعود على الخيل ، أى توارت الخيل ، وحين أمر بردها فردت أخذ يمسح أعناقها وسوقها بيده تكريما لها ، لأنها معدة للجهاد فى سبيل الله وخص هذين العضوين بالمسح لأن سبق الجياد يتم بالساق والعنق .

ويرى بعض المفسرين أن الضمير فى قوله « ردوها » يعود على الشمس . أى ردوا الشمس على لأصلى العصر . . فردها الله له تكريما له ، كما ردها من قبل ليوشع بن نون .

والذى يقول : إنه مسح سوقها وأعناقها بسيفه أى عرقبها ، يحتج لذلك بقوله تعالى على لسانه ﴿فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ (١)

والخير هى الخيل استئناسا بقوله ـ صلى الله عليه وسلم : (الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة) .

ويرى بعض العلماء أن مجىء هذه القصة بعد قوله ـ تعالى : « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب » يدل على أن سليمان ـ عليه السلام ـ قد أتى أعمالا فاضلة استحق بها تزكية الله له ومدحه إياه ، ولو كان الذى قام به فيه مايشبه الذنب لم يكن ذكر القصة لائقا بهذا الموضع .

ويرى هؤلاء العلماء أن التفسير المناسب لتلك الايات هو أن رباط الخيل كان مندوبا إليه فى دين سليمان ، كما أنه مندوب اليه فى ديننا بنص قوله ـ تعالى ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾

---

(١) سورة ص آية ٢

تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ » [1]

وقد احتاج سليمان للغزو فجلس وأمر بإحضار الخيل وإجرائها أمامه ، وذكر أنه لايحبها للدنيا ولكنه يحبها لله تعالى وللجهاد فى سبيله وتقوية دينه . وهو المراد من قوله عَن ذِكْرِ رَبِّى

ثم إنه ـ عليه السلام ـ أمر باعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب ، أى غابت عن نظره ، ثم أمر الراكضين أن يردوا تلك الخيل إليه ، فلما عادت طفق يمسح سوقها وأعناقها ، وهو يهدف من ذلك إلى أمور منها :

ـ تشريف هذه الخيول وإظهار نفعها من دفع العدو وغير ذلك .

ـ إظهار ضبط السياسة والملك ، ويقتضى ذلك أن يباشر الملك بنفسه أمور الحرب والقتال وإعداد العدة له .

ـ علمه بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها ، فكان يتفحصها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يتبين اذا كان فيها مرض فيعالجه أم لا[2] .

إن هذا التأويل هو الذى يناسب مقام النبوة ، وهو الذى يلتقى مع سياق القصة دون تكلف أو تعسف . ولنا أن نأخذ من اعتزاز سليمان بالخيل التى ارتبطها للجهاد فى سبيل الله عبرة تدفعنا الى مداومة الجهاد ، الذى دعا اليه الله سبحانه وتعالى فى قرآنه الحكيم وعلى لسان نبيه الكريم .

ذكر القرطبى خبرا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال فيه : من لم يعرف حرمة الفرس الغازى ففيه شعبة من شعب النفاق .

ولولا أهمية الخيول فى الجهاد وإقامة الدين ما أقسم الله بها فى قوله تعالى

وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا

---

(١) الأنفال ٦٠

(٢) العاديات ١ : ٥

ويتميز الخيول من بين أنواع الحيوان بصفات تكاد تكون من أخص صفات الانسان ، ففيه ذكاء وعزم واباء ، ويكاد يفهم عن الانسان حديثة ويحفظ سره ، ويفى له وفاء غرزيا فى الوقت الذى يعز فيه الوفاء عند الانسان .

وقد حفظ الصحابة الأجلاء عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الاعتزاز بالفرس والحفاظ عليه ، لأنه عدتهم فى إعلاء كلمة الله ونشر دينه فى الأفاق ، روى عن عمرو بن العاص فى احدى خطب الجمعة فى مسجده بمصر أنه قال : يا معشر الناس ، أريحو خيلكم وسمنوها وصونوها وأكرموها ، فإنها جنتكم من عدوكم وبها مفاتحكم ونصركم . .

كفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضو ابصاركم ، ولأ أعلمن رجلا قد أسمن جسده وأهزل فرسه . . واعلموا أنى معترض الخيل كاعتراض الرجال ، فمن أهزل فرسه من غير علة حططته عن فريضته قدر ذلك . .

معنى الصافنات

والصافنات جمع صافن ، والصافن الذى يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه ، وقد يفعل ذلك برجله وهى علامة الفراسة كما قال فى حقه العجاج الشاعر :

ألف الصفون فلا يزال كأنه   مما يقوم على الثلاث كسير

وسمى الفرس جوادا لأنه يجيد العَدْو ، ولأنه يجود بجريه ، ويجمع الجواد على جود وجياد .

كرسى سليمان

وقد أفاض فى وصف كرسى سليمان ، وذكروا فى ذلك خبرا أسندوه الى ابن عباس رضى الله عنهما ـ

جاء فيه :

كان يوضع لسليمان ستمائة كرسي ، ثم يجيء أشراف الإنس فيجلسون مما يليه ثم يجيء أشراف الجن فيجلسون مما يلي الإنس ، ثم يدعو الطير فتظلهم ، ثم يدعو الريح فتقلهم وتسير مسيرة شهر غدواً ورواحاً .

أما صفة الكرسي فقد ذكروا :

أن سليمان ـ عليه السلام ـ لما ملك بعد أبيه أمر بإتخاذ كرسي يجلس عليه للقضاء ، ثم عمل عملاً بديعاً مهولاً بحيث اذا رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت . .

فأمر بأن يجعل الكرسي من أنياب الفيلة ، وأن يرصع بالدر والياقوت والزبرجد وأن يُحَف بأربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر ، على رأس نخلتين منها طاووسان من ذهب ، وعلى رأس النخلتين الأخريين نسران من ذهب يقابل بعضها بعضاً . .

وجعل بجانب الكرسي أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزبرجد ، وقد عقد على النخلات عروش أشجار الكروم من الذهب الأحمر ، وعناقيدها من الياقوت الأحمر بحيث تظلل عروش الكروم النخل والكرسي . .

وكان سليمان إذا أراد الصعود الى الكرسي وضع قدمه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي بما فيه دوران الرحا المسرعة ، وتنشر تلك الطيور والنسور أجنحتها ، ويبسط الأسدان أيديهما ويضربان الأرض بأذنابهما .

فإذا استوى على أعلاه أخذ النسران اللذان فى النخلتين تاج سليمان فوضعاه على رأسه ، ثم يستدير الكرسي بما فيه فيدور معه النسران والطاووسان والأسدان ، مائلات برءوسها إلى سليمان ، وينفخن عليه من أجوافهن المسك والعنبر .

ثم تناوله حمامة من ذهب قائمة على عمود من أعمدة الجواهر فوق الكرسى التوراة ، فيفتحها سليمان ويقرؤها على الناس ويدعوهم إلى فصل القضاء .

ويتقدم الناس للفصل فى الخصومات فإذا تقدم الشهود للإدلاء بالشهادات هالهم المنظر فلا يشهدون إلا بالحق .

قالوا : ولما توفى سليمان ـ عليه السلام ـ وغزا بختنصر بيت المقدس حمل الكرسى معه ، فلما أراد أن يصعد عليه لم يقدر وضرب الأسدان رجله فكسراها .

ثم لما هلك بختنصر حمل الكرسى إلى بيت المقدس فلم يستطع ملك قط أن يجلس عليه . ولم يدر أحد ماآل إليه عاقبة أمره بعد ذلك . .

وربما ظن بعض الناس المبالغة فى وصف الكرسى . . ولكنا إذا أمعنا فى النظر إلى قوله ـ تعالى ـ

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾

وإلى أن سليمان قد سخر الله له الجن تصنع بين يديه ما يشاء وتبتكر له ما يشاء وفى أن هناك تقدماً علمياً قد منحه الله للعلماء فى عصر سليمان ، بدليل قدرة العلم على نقل عرش بلقيس فى سرعة قياسية عجز عنها الجن .

لو أمعنا النظر فى ذلك وجدنا أن صفة الكرسى بالصورة التى وصفها العلماء ليست شيئاً غريباً بل ربما كانت الصفة دون ما كان عليه الكرسى .

وعلى كل فقد ذكرنا ذلك من باب استقصاء الأحداث التى تناولتها قصة سليمان ، وإن كانت صفة الكرسى فى حد ذاتها لا تقدم ولا تؤخر فى مضمون القصة .

صور من قضاء سليمان :

كان سليمان ذكياً وقد آتاه الله الحكمة مبكراً ، وقد مرت بنا قصة فصله فى قضية الحرث والغنم ، وقد أشار إليها القرآن الكريم . .

ومن شواهد فصله فى القضاء ، ماروى من أنه تقدمت إليه امرأتان تتنازعان طفلاً بينهما ، كل منهما تدعى أنه ابنها . .

وأدلت كل منهما بحجة تثبت فيها بنوة الطفل لها . .

ولما طالت الخصومة بينهما قال سليمان : لا تنزعجا ، ودعا بسكين ليشطر بها الطفل المتنازع عليه نصفين لكل منهما نصفه . .

فصاحت إحداهما منزعجة وقالت : يانبى الله ، إنه ابنها أعطه لها ، ولا تشطر الطفل .

فقال سليمان الحكيم : الآن علمت أن الطفل ابنك وليس ابنها فخذى طفلك وانصرفى .

لقد أدرك سليمان بفطنته أن الأم تضن بابنها أن يدمى له إصبع ، وتفديه بروحها إن استطاعت من أى شر يصيبه ، فكيف تراه أمام عينيها يشطر نصفين ؟

وقد جاءت هذه القصة فى العهد القديم[1] بعرض آخر دون اختلاف فى الفحوى ، وذكرها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض أحاديثه .

ومن القصص التى تتردد كثيراً بين الناس أن إمرأة كان على رأسها صوف مغزول ذهبت لتبيعه فى السوق لتقوت صبية لها ، فهبت ريح شديدة ذهبت بهذا الصوف الى حيث لا تدرى .

فتوجهت إلى داود لتشكو له ، فأمر لها بدراهم . .

فقابلها سليمان ، وعرف قصتها ، فقال لها : عودى إلى داود وارفعى شكواك إليه مرة أخرى ، وقولى له : أنا ما جئتك أطلب صدقة ولكن جئت أشكو الريح إليك فاحكم لى .

---

(١) عهد الملوك الأولى ـ الاصحاح الثالث

فعادت إلى داود ، وأخبرته بما قاله سليمان ، فاستدعاه ، وقال : ما حملك على هذا ؟

فقال : حملنى على هذا أن الصدقة مندوبة والحكم واجب ، فلا يقدم المندوب على الفرض ، ثم إنها إمرأة فقيرة قوتها من صوفها ، وقد ذهبت الريح برأس مالها ، فاقتص لها من الريح . .

واستدعى ملك الريح إلى مجلس الحكم ،

وسأله داود : ما حملك على إثارة الريح حتى ذهبت بصوف هذه المرأة ؟

فأجاب : لم أفعل ذلك من تلقاء نفسى . ولكن هناك سفينة فى البحر أوشكت

على الغرق ، لخرق أصابها ، وقد ضمن الله لمن فيها النجاة ، فأمرنى أن أجعل الريح تحمل صوف هذه المرأة إلى أصحاب السفينة فحملته الريح إليهم ، وسدوا الخرق ، ونجت السفينة ، وهى الآن على الشاطىء . .

فاستدعى داود أصحاب السفينة ، وشرط عليهم أن يجعلوا جزءا ثابتاً للمرأة من دخل السفينة . .

ثم سألها داود : ماذا صنعت فى يومك ؟

قالت : تصدقت اليوم برغيفين . .

فقال لها : هذا جزاء الصدقة والله يضاعف لمن يشاء . .

وقد تكون هذه قصة رمزية ، ولكن فيها دلالات عظيمة على ذكاء سليمان وفطنته ، وعلى حرصه على مصلحة الرعية قبل أن يتولى أمرها فكيف به بعد أن تولى أمرها ؟

وفيها دليل على ثواب الصدقة المضاعف ، وعلى استحباب أن يكون قوت المرء من عمل يده . . وعلى غير ذلك من المعانى الجليلة والعظات الكثيرة . .

فتنة سليمان :

ذكر القرآن الكريم أن سليمان ـ عليه السلام ـ تعرض لفتنة وابتلاء من الله تعالى ، وجاء ذلك فيما يقصه القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾[2]

وقد تحدث المفسرون كثيراً حول معنى هذه الآية ونعرض بعض أقوالهم فيها :

قيل : ان سليمان لما ذبح الخيل بغير ذنب جنته عاقبه الله بسلب ملكه ، وتمثل شيطان فى صورته فجلس على كرسيه . . وقيل : اختصم فريقان أمام سليمان أحدهما من قوم جرادة زوجته التى يحبها والآخر من غيرهم ، فتمنى أن يقع القضاء لأهل زوجته ثم قضى بينهما بالحق ولكنه عوقب لهواه مع أهل زوجته وإن كان لم يقض لهم لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين . .

وقيل : إنه احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضى بين أحد ولا ينصف مظلوماً ، فأوحى الله إليه إنى لم استخلفك لتحتجب عن عبادى ولكن لتقضى بينهم وتنصف مظلومهم . ثم عوقب . .

وقيل : إن سليمان غزا مدينة صيدون ، فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها « جرادة » وكانت من أجمل نساء عصرها فاصطفاها لنفسه ، ولكنها كانت تعرض عنه حزناً على أبيها ، ولاتنظر إليه إلا شذراً ، ولا تكلمه إلا نزراً وكان لايرقأ لها دمع . .

ثم إنها سألته أن يصنع لها تمثالاً على صورة أبيها حتى تنظر إليه ، فأمر بصنعه ، فعظمته وسجدت له وسجدت معها جواريها ، حتى صار صنماً معبوداً

---

(٢) سورة ص ٣٤

فى دار سليمان وهو لا يعلم .

وغما ذلك إلى علم وزيره « آصف بن برخيا » فاصطنع مجلساً للوعظ والتذكير ، وأخذ يعدد مناقب الملوك والأنبياء السابقين من بنى إسرائيل ويثنى عليهم ويدعو إلى الاقتداء بهم . .

ولم يتحدث عن سليمان بشىء على الاطلاق . .

فلامه سليمان وقال له : تحدثت عن كل الأنبياء السابقين ، ولم تتحدث عنى فلم ذلك ؟

فقال : وكيف أتحدث عنك وفى بيتك تُعْبَدُ الأصنام وأنت لا تدرى ؟

ثم أخبره بقصة جرادة مع تمثال أبيها وسجودها له هى وجواريها غدوة وعشية . .

فذهب سليمان وكسر الصنم وحرقه وذراه فى البحر وعاقب جرادة عقاباً شديداً . وخرج تائباً إلى الله مستغفراً ، باكياً متضرعاً . .

وكان سليمان إذا دخل للطهارة يخلع خاتمه من يده ، ويسلمه لأم ولد له اسمها (أمينة) حتى يخرج فيتسلمه منها ويلبسه .

فدخل يوماً ، وسلم خاتمه لأمينة ، وجاء الشيطان فتمثل لها فى صورة سليمان ، وقال لها : أعطنى الخاتم ، فأعطته له ، فلبسه وجلس على كرسى سليمان ، واجتمع عليه الخلق من الإنس والجن والطير وخرج سليمان وطلب الخاتم من أمينة فأنكرته ، وقالت له : لقد أعطيتك إياه . .

فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته ، وأنه قدفقد ملكه . . وساءت حاله ، حتى صار يشقى ليأكل ، واذا قال لأحد أنا سليمان حثوا على رأسه التراب ورجموه وطاردوه . .

ثم عمد إلى السماكين على شاطىء البحر يحمل لهم السمك إلى السوق نظير ما يشبع به بطنه ، ومكث على هذه الحال أربعين يوماً ، عدد الأيام التى عبد فيها الصنم فى بيته .

وقد أنكر (آصف بن برخيا) وعلماء بنى إسرائيل حكم الشيطان وثاروا عليه ، فهرب منهم ، وألقى خاتم سليمان فى البحر ، فابتلعته سمكة . .

وذهب سليمان إلى الشاطىء كعادته ليحمل السمك وأعطاه صياد سمكتين أجراً له . . فشق بطن إحداهما فإذا به يجد خاتمه فى جوفها ، فلبسه ، فعاد إليه

جماله الذى فقده ، وارتد إليه سلطانه . . وخر ساجداً لله شكراً على ما أنعم به عليه من عودة ملكه إليه .

وأحضر ذلك الشيطان فحبسه فى صخرة وقذفه فى البحر .

ولكن هذه القصة وما فيها من إغراق فى الخيال ، وما فيها من طعن على مقام النبوة السامى ، تتعارض مع ماأعطاه الله للأنبياء من عصمة ، وماوهبه لهم من حفظ . .

لقد رأى كثير من العلماء أن هذه القصة من أباطيل اليهود ، لأن الشياطين لا يستطيعون أن يتمكنوا من صالحى الإنس بهذه الصورة فضلاً عن الأنبياء ، وقد

قال الله لإبليس « **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** »

وكيف يسلط الله الشيطان على نبى من أنبيائه حتى يمكنه من مجلسه وملكه ؟! وإذا لم يُحْفَظ الأنبياءَ من هذا العبث الشيطانى فمن الذى يحفظ بعد ذلك ؟

واذا كان إبليس نفسه لا يقدر على المؤمنين من العباد فكيف يقدر أبناؤه وذريته على الأنبياء ؟

إننا نؤيد رأى الذين يرفضون هذه القصة التى افتعلها وانساق وراءها بكل أسف بعض المفسرين .

قال أبو حيان فى تفسيره : ذكر المفسرون فى هذه الفتنة وإلقاء الجسد أقوالاً يجب براءة الأنبياء منها وقد ذكرت فى كتبهم ، وهى مما لا يحل نقلها ، وهى إما من وضع اليهود أو الزنادقة ، ولم يبين الله الفتنة ماهى ، ولا الجسد الذى ألقاه على كرسي سليمان ، ولكن بعض المفسرين ذكروا فى ذلك أقوالاً ويستحيل عقلاً وجود بعض ما ذكروه ، كتمثل الشيطان فى صورة نبى ، حتى يلتبس أمره عند الناس ، ويُعْتَقَد أن ذلك المتصور هو النبى ، ولو أمكن وجود هذا لم يوثق بإرسال نبى ، وإنما هذه مقالة مسترقة من زنادقة السوفسطائية ، نسأل الله سلامة أذهاننا وعقولنا منها . .

وقد ضعف القرطبى فى تفسيره هذه القصة التى ذكرناها بعد أن أوردها وقال : إنه من المحال أن يتصور الشيطان فى صورة الأنبياء ، ومن المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى يظنوا أنهم مع نبيهم فى حق ، وهم مع الشيطان فى باطل . .

واذا كانت هذه القصة باطلة ولا أساس لها من الصحة ، فما المقصود بالفتنة إذن ؟ وماذا يقصد بالجسد الذى ألقى على الكرسي ؟ فى قوله تعالى « **ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب** »

قال العلماء المحققون : إن سليمان قال : لأطوفن الليلة على نسائى فتأتى كل امرأة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله ـ تعالى ـ ولم يقل : إن شاء الله ، فطاف عليهن ، فلم تحمل إلا واحدة منهن بغلام مشوه ، جاء شق ذكر ، فجىء به فألقى إلى جانبه على الكرسي ، فذلك هو الجسد .

وربما كان لهذه الرواية سند من السنة ..

فقد جاء فى صحيح البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين إمرأة ، كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله تعالى ، ولم يقل إن شاء الله ، فطاف عليهن جميعاً ، فلم تحمل منهن إلا إمرأة واحدة جاءت بشق رجل ..

والذى نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله لجاهدوا جميعاً فى سبيل الله فرساناً (٣)

وقال بعضهم : إنه ولد لسليمان ولد فأجمعت الشياطين على قتله ، لأنهم اعتقدوا أنه سيخلف أباه فى تعذيبهم ، فعلم سليمان ذلك منهم ، فأمر الريح حتى حملته الى السحاب ، وغدا إبنه فى السحاب خوفاً عليه من مضرة الشياطين ، فعاقبه الله بخوفه من الشياطين ، فلم يشعر إلا وقد وقع الطفل على كرسيه ميتاً ..

وهناك من يقول : إن هذا الجسد هو آصف بن برخيا حين رأى أن سليمان قد فتن وسقط الخاتم من يده ، وكان ملكه فى خاتمه ، قال لسليمان : إنك مفتون ولذلك لن يتماسك الخاتم فى يدك ، ففر إلى الله تعالى تائباً من ذلك ، وأنا أقوم مقامك حتى يتوب الله عليك .

ففر سليمان إلى الله ، وجلس آصف مكانه يسير بسيره ويعمل بعمله ، حتى عاد سليمان إلى مجلسه وقد تاب الله عليه ، ورد إليه ملكه .. (٤)

---

(٣) صحيح البخارى حـ ٨ ق٦٢٢ باب الايمان ، وفى صحيح مسلم ـ باب الاستثناء وفى سنن النسائى كتاب الايمان . وفى جمع الجوامع حـ ٢ برقم ١٦١٢٧/١٨٤

(٤) تفسير القرطبى ـ سورة ص ٥٦٤٦

وهذا قول لا يبعد عن الصواب ، وفيه تنزيه لمقام النبوة .

ومن أفضل ما ذكر في فتنة سليمان : ما أورده الفخر الرازي في تفسيره قال : إن سليمان ابتلى بمرض شديد تعب منه تعباً شديداً ، حتى صار لشدة مرضه كأنه جسد بلا روح ، ثم بعد ذلك أناب ، أي رجع إلى حالة الصحة التي كان عليها قبل مرضه . .

وقد ذكر القرطبي أيضاً هذا الرأي بين الآراء التي ذكرها . .
وهو تفسير لا بأس به . . .

وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب النجار رأياً وجيهاً في فتنة سليمان ، لم يتنبه له أحد من العلماء قبله ـ كما يقول ـ نجمله فيما يلي :
قال : إن كرسي داود هنا هو كرسي سليمان ، وكان داود قد رشح سليمان للخلافة من بعده ، فناوأه أخوه أبشالوم ، وشق عليه وعلى والده عصا الطاعة ، وانضم إليه كثير من زعماء بني اسرائيل ، واستطاع أبشالوم أن يستولي على الكرسي ويجلس عليه ، وهرب داود إلى شرقي الأردن حتى يدير أمره . . وما زال حتى استرد ملكه واستقر الأمر أخيراً لسليمان بعد هلاك أبشالوم . .

وكان سليمان في الفترة التي انتزع فيها أبشالوم الكرسي يعتقد أن الحكم قد أفلت منه ، ولن يرد إليه إلا بإرادة الله تعالى . . فاستغفر ربه وأناب اليه من الغرور الذي داخل نفسه ، والزهو الذي لابسه بعد أن اختاره داود للخلافة من بين إخوته وهو أصغرهم ، وبعد أن وفق في الحكم في قضية الغنم التي نفشت في الحرث . .

كان لهذا الزهو عقابه ، وهو اختباره بمن اغتصب ملكه منه فترة ، حتى يتغلب على ما ينتابه بعد ذلك من زهو وغرور[٥]

فضائل سليمان

عرفنا أن الله ذكر سليمان فى القرآن الكريم فى مواضع متفرقة وأثنى عليه بماهو أهله . .

وقد نفى الله عنه الكفر فى قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا ﴾[٦]

والمقابلة فى الآية جاءت بين قمة الإيمان ممثلة فى سليمان وقمة الكفر ممثلة فى الشياطين . .

والمقصود بالكفر هنا السحر ، وقد نزلت هذه الآية لمناسبة ذكرها القرطبى عن ابن إسحاق : قال : لما ذكر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سليمان فى المرسلين قال بعض أحبار اليهود : يزعم محمد أن ابن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . . فأنزل الله عز وجل طهر سليمان وأظهر براءته مما رمى به فقال عز وجل

﴿ وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا ﴾[٧]

وسيأتى حديث مفصل عن السحر وفيه بيان ذلك إن شاء الله تعالى . .

وحكى الرواة عن سليمان ـ عليه السلام ـ أنه على الرغم من الملك الواسع الذى أوتيه والغنى المفرط الذى كان له ، إلا أنه كان زاهداً فى متاع الدنيا ، عازفاً

---

(٥) راجع قصص الانبياء للنجار ص ٣٣١

(٦) سورة البقرة ١٠٢

(٧) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٤١ دار الكتاب

عنها ، وكان يديم الجوع ، وأثر عنه أنه سئل عن سبب جوعه فقال : أخاف أن أشبع فأنسى جوع الفقير .

وقد وصفه الله بأنه نعم العبد ، ووصفه بأنه أواب ، والأواب هو كثير الرجوع إلى الله ـ تعالى ـ ومن أوبته إلى الله أنه كان يديم الاستغفار وبخاصة عقب ذكره النعم التي كان يذكرها على سبيل التحدث بالنعمة حمداً لله لا زهواً وفخراً . .

فبعد أن سمع حديث النملة قال :

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ (٨)

وعقب مجيء عرش بلقيس أمامه لم ينس فضل ربه عليه فقال :

﴿ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٩)

وبعد الفتنة قال : (١٠)

﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾

وقد فوضه الله فى الإعطاء والمنع فقال له :

﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١١)

---

(٨) النمل ١٩
(٩) النمل ٤٠
(١٠) ص ٣٥
(١١) ص ٣٩

وعقب على ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٠﴾ ﴾ (١٢)

ومعنى ذلك أن ما آتاه الله لسليمان فى الدنيا لا ينقصه أجره فى الآخرة ، فهذه منحة خاصة لسليمان ـ عليه السلام ـ

وقد مر بنا القول أن طلب سليمان المُلْك ليس استعلاء أو زهواً ولكنه تمكين لكلمة الله فى الأرض وإعلاء لشأن الإسلام . .

ذلك أن بنى إسرائيل كان لهم أنبياء ، وكان لهم ملوك تحكمهم وكان الملك يحكم والنبى يسدده فى أمره .

فجمع الله الملك والنبوة فى داود وسليمان . .

ولا شك أن المَلِكَ إذا كان نبياً تمكن من تنفيذ شريعة الله بقوة سلطانه وتأييد السماء له . .

وللمُلْك مظهر أخاذ وله أعباؤه ومسئولياته ، وقد يستفرغ هذا المظهر كثيراً من جهد النبى فى القيام بتكاليف المُلْك وتبعاته وشكلياته واستقبالاته وغير ذلك مما يستدعيه الأمر . . بالإضافة إلى ما يحيط بهذا المظهر من هالة ربما أدخلت على النفس البشرية لوناً من ألوان الاعتداد بالنفس أو الغرور .

وربما كان لهذه الدواعى وغيرها نأى نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فقد خير بين أن يكون عبداً رسولاً أوملكاً رسولاً ، فاختار أن يكون عبداً رسولاً

وقال : أجوع يوماً وأشبع يوماً ، فإن جعت دعوت الله وإن شبعت شكرت الله . .

---

(١٢) ص ٤٠

والفضل الذى يذكر لسليمان ـ عليه السلام ـ بناؤه بيت المقدس ، أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

وكان داود ـ عليه السلام ـ قد شرع فى بناؤه ولكنه لم يتمه ، وقد ورد فى ذلك أثر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

فقد روى الطبرانى فى الكبير عن رافع بن عمير ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « قال الله ـ عزوجل ـ لداود : ابن لى بيتاً فى الأرض ، فبنى داود

بيتاً لنفسه قبل أن يبنى البيت الذى أمِر به ، فأوحى الله إليه : ياداود ، نصبت بيتك قبل بيتى ؟ قال : أى رب هكذا قلت فيما قضيت : (من ملك استأثر) ثم

أخذ فى بناء المسجد ، فلما تم السور سقط ثلثاه ، فشكا ذلك الى الله تعالى ، فأوحى الله إليه : إنه لا يصلح أن تبنى بيتاً . قال : أى رب ، ولم ؟ قال : لما جرى على يديك من الدماء . .

قال : أى رب ، أو لم يكن ذلك فى طاعتك ومحبتك ؟

قال : بلى ولكنهم عبادى وأنا أرحمهم .

فشق ذلك عليه ، فأوحى الله إليه : لا تحزن فإنى سأقضى بناءه على يدى ابنك سليمان .

فلما مات داود أخذ سليمان فى بنائه ، فلما تم قرب القرابين وذبح الذبائح ، وجمع بنى إسرائيل . فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه : قد أرى سرورك ببنيان بيتى فاسألنى أعطك .

قال : أسألك ثلاث خصال : حكماً يصادف حكمك ، وملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى ، ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما اثنتان فقد أعطيها ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة(١٢)

وسيأتى حديث خاص عن بيت المقدس إن شاء الله تعالى ..

وفاة سليمان

تولى سليمان ـ عليه السلام ـ الملك فى سن مبكرة ،وكان صبياً فى الثانية عشرة من عمره ، ولذلك حسده اخوته ، وثار من ثار عليه منهم ، وبقى سليمان ملكاً أربعين عاماً .

وتوفى وسنه اثنتان وخمسون سنة ..

روى ذلك إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق عن الزهرى وغيره(١٤)

وروى عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة

أما ابن جرير الطبرى فيذكر أن جميع عمر سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ كان نيفاً وخمسين سنة(١٥) وهو ما يلتقى مع القول الأول .

وذكر القرطبى فى تفسيره أنه تولى الملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وعمرٌ ثلاثاً وخمسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة(١٦) وهو يقارب ما سبق أيضاً .

وقال ـ كما قال غيره ـ إنه ابتدأ فى بناء بيت المقدس بعد أربع سنين من ملكه ، وكانت سنه سبع عشرة سنة ..

---

(١٣) الحديث فى الطبرانى فى الكبير ، وفى مجمع الزوائد ـ كتاب حـ ٤ ص ٧ وفى أسد الغابة ترجمة رافع عمير رقم ١٥٩٢

(١٤) قصص الانبياء لابن كثير ص ٥١٦

(١٥) تاريخ الامم والملوك للطبرى حـ ١ ص ٣٥٧

(١٦) تفسير القرطبى

وهناك أقوال أخرى فى ذلك تشير إلى أنه كان من المعمرين ، ولكن الصحيح ما ذكرناه والله أعلم ولم يخل موت سليمان عليه السلام من عبرة وفائدة دينية أخبرنا بها الحق سبحانه وتعالى وهى أن الغيب لا يعلمه إلا الله . . وقد كانت الجن يظنون أنهم يعرفون الغيب وكان بعض الناس ومازال يعتقد فى ذلك فأظهر الله سبحانه وتعالى كذب هذا الظن وفساد هذا الإعتقاد بما ذكره لنا القرآن الكريم فى قصة موت سليمان . قال تعالى

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾[١٧]

فقد قضى الله على سليمان ان يموت وهو متكىء على عصاه واستمر متكئاً على عصاه وهو ميت حولاً كاملاً كما يذكر بعض المفسرين وظلت الجن طوال هذه المدة مستمرين فى العمل الشاق الذى كلفهم به وهم لايعلمون أنهقد مات حتى أكلت الأرضة عصاه فخر على الأرض فعلمت الجن بموته ، وعلم الناس أن الجن لا تعلم الغيب وقد ذكر أن سليمان عليه السلام قال : اللهم عم عن الجن موتى حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب ، فهيأ عصا فتوكأ عليها وقبضه الله وهو متكىء عليها فمكث حولاً ميتاً والجن تعمل ، حتى أكلت الأرضة العصا فسقطت وخر سليمان فعملوا عند ذلك بموته فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين تلك المدة وقد شكرت الجن للأرضة صنيعها فأينما كانت يأتونها بالماء ، واختلفوا فى مكان قبره فقيل : دفن فى طبرية ، وقيل : ببيت لحم ، وقيل : عند أبيه ببيت المقدس فى المسجد[١٨]

---

(١٧) سورة سبأ ١٤

(١٨) بدائع الزهور لابن إياس ص ١٥٣

العبرة من القصة :

وقصة سليمان حافلة بالعبر والعظات ..

ولعل أهم ذلك عدم الإغترار بالملك . فقد تهيأ لسليمان مالم يتهيأ للملوك السابقين واللاحقين ومع ذلك ما زاده الملك إلا قرباً من ربه ، وما وثق بملكه ولابما أوتيه لحظة ، بل كانت ثقته بالله وتوكله عليه ومرجعه إليه ..

وكان مع كثرة جنوده وأمرائه وقواده لا يغفل عن رعيته ، يتفقد أحوالهم ويرعى شئونهم حتى انه تفقد الهدهد فى سفره فسأل عنه .

ولايقال انه احتاج إليه فسأل عنه ، فهذا ما لايهدى إليه الفعل (تفقد)

لأن « تفقد » تشير إلى متابعة أحوال الرعية ومعرفة أخبارها وهو لم يتفقد الهدهد وحده ، بل تفقد الطير ، فرأى الهدهد غائباً ، فسأل عن سر غيابه ..
قال العلماء فى هذه الواقعة : تفقد سليمان الطير دليل على تفقد الإمام أحوال رعيته والمحافظة عليهم ، فانظر إلى الهدهد مع صغره كيف لم يَخْفَ على سليمان حاله ، فكيف بعظام المُلْك ..
وقد سار على هذا الهَدْى نبينا صلى الله عليه وسلم وخلفه ـ أئمة الهدى من الخلفاء الراشدين والأمراء الناصحين ، فكانوا لا يغفلون عمن استرعاهم الله من الرعية .
وهذا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول : لو أن شاة على شاطىء الفرات أخذها الذئب لسئل عنها عمر وفى قول آخر لو عثرت بغلة بالعراق لسئل عنها عمر لِمَ لَمْ تمهد لها الطريق فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان وتضيع الرعية ويضيع الرعيان ؟(١٩)

وتعلمنا القصة أن الكبير لا يحق له أن يتعالى على الصغير .

وقد أدركنا أن سليمان خاطبته نلمة فاعتبر بما عندها من علم ، وأخبره الهدهد بأنه أحاط بما لم يحط به من العلم ..

إن الحيوانات وإن كانت عجماوات ولكن لها عقول تدرك وتفهم ، ومن النمل

---

(١٩) تفسير القرطبى ـ سورة النمل ـ ص ٤٨٩٤ ط دار الشعب .

يتعلم الناس النظام والاقتصاد والسعى والدأب والنشاط ..

وقد حذرت النملة قومها من خطر داهم ، فكانت بذلك فى خدمة بنى جنسها ، مما يجب علينا أن نفطن إليه ونتنبه له فيكون كل منا فى خدمة الآخرين ، دون أن يكلفنا مسئول بذلك ، فهذا هو التعاون الحق ، والتفانى فى سبيل البقاء للمجموع .

وفى القصة بيان لقدر العلم واعلاء لشأنه ، فقد أثبت الذى أوتى علم الكتاب أنه أقوى من الجن والشياطين بسلاح العلم الذى أعطاه الله إياه .

ولا يقال إن هذا العلم الذى تعلمه آصف بن برخيا علم روحانى أو علم يتعلق بالطلاسم والمحجبات . فليس فى الآية مايشير إلى ذلك . إنه علم فحسب ..

إن ذلك يدعونا إلى التفانى فى تحصيله والتعمق فى كشف أسراره حتى نصل فيه إلى أبعد الغايات .

وقد وصل التقدم العلمى أقصاه فى عصرنا ، ولكن ما زال المسلمون فى مؤخرة الصفوف من ذلك ، مع أن كتابهم الحكيم يدعوهم إلى العلم ويحثهم عليه ويحذرهم من التهاون فى تحصيله ، ولا يوجد دين شجع على العلم واحتفل به كالإسلام ، وقد جاء القرآن الكريم مبشراً بالعلم آمراً بالتعلم منذ أول آية نزلت فيه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾ [٢٠]

وهناك عظات وعبر كثيرة فى القصة يفطن إليها القارىء حين يتابع أحداثها ، ويتأمل فى وقائعها وحسبنا ما قدمنا له من ذلك ..

والله أعلم

---

(٢٠) العلق : ١ : ٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المسجد الأقصى

بسم الله الرحمن الرحيم

" سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " - الإسراء ١ -

- ثانى مسجد بعد الكعبة ...
- أسماء المسجد ......
- متى أنشئت القدس ؟.....
- فضائل القدس .....
- إسراء النبى إليه ....
- لماذا كان الإسراء إلى بيت المقدس ؟
- بناء المسجد :
  في عهد داود.
  في عهد سليمان
- سليمان يستعين بالجن
- الإسلام يشيد بهذا البيت
- المسجد الأقصى مركز الديانات الثلاث
- المسجد الأقصى يتعرض للتخريب
- بيت المقدس فى ظل الإسلام
- قبة الصخرة .....
- أحكام حول المسجد الأقصى



المسجد الأقصى

المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رحمة الله للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم . . . له منزلة عظمى فى نفس كل مسلم ومسلمة . . وإليه تهفو قلوب المؤمنين فى كل مكان . وهو رمز يربط محبى السلام والحب والوفاء برباط روحى وثيق ، ويشدهم إلى مُثلٍ ضارية فى أعماق التاريخ ، حيث الخليل إبراهيم وابنه اسحاق وحفيده يعقوب ومن جاء بعدهم من الأنبياء والمرسلين ، وحيث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى رحلته المقدسة المباركة التى تشرفت بها الأرض والسماوات . . وحيث اصطف خَلْفه الأنبياء جميعاً فى صلاة تجدد العهد بالإيمان به ، وتذكرهم بالميثاق الذى أُخذ عليهم ، وسجله القرآن الكريم بقوله :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ (٢١)

هذا المسجد الكبير الذى يُعَدُّ ثانى مسجد أُسس بعد البيت الحرام والذى يعد الآن بعيداً عن أهله أسيراً بين قوم لا يقدرونه حق قدره ، وإن زعموا أنهم أَوْلى بالقوامة عليه . . إنه يتوق لأن يتخلص من الأغلال التى أحاطت به ، ويتحرر من القيود التى فرضت عليه ، فيعود ليرى الأفواج تترى إليه من أقطار العالم تستنشق فى رحابه عبير النبوة الخالص ، ونسيم الإيمان الصادق ، الذى ينفر من

---

(٢١) آل عمران ٨١

الكيد والمكر ويبرأ من الحقد والغل ، ويندد بالظلم والعسف ، ويهاجم الشر والعدوان ، ويدفع الباطل والطغيان .

لقد شهد هذا المسجد فى ظل الإسلام السماحة والعدل والإنسانية والوفاء والحرية والإخاء . . وتعانق الناس فى رحابه على اختلاف مللهم ودياناتهم على روح ديانة خالصة جاء بها إبراهيم الخليل ، وسار على دربها أنبياء بررة ، حتى

بعث الله بها محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم رسله وأنبيائه فبشر بها ودعا إليها ، وسار الناس جميعاً تحت لوائه سعداء إلا من التوت نفسه على الحقد والحسد ، فتثاقلت خطاه وتعثرت قدماه .

إن هذا المسجد الكريم ينادى اليوم المسلمين أن يحرروه ، كما يذكر عاشقى السلام بمسئوليتهم نحوه ، ويدعو أصحاب الرسالات المقدسة ألا ينسوا مبادىء

هذه الرسالات ، وأن يذكروا أن المساجد وضعت ليرتفع فيها ذكر الله ، وأن تفسح الطريق إليها ليقصدها الناس من كل فج كى يؤدوا شعائر الله ويذكروا اسم الله .

هذا المسجد الأقصى جدير أن نتحدث عن تاريخه وقصته فى هذه الصفحات . .

أول مسجد :

قال تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (٢٢)

---

(٢٢) آل عمران ٩٦

وهذه الآية الكريمة نص قاطع على أن البيت الحرام هو أول مسجد بنى على وجه الأرض . .

وقد تحدثنا فى قصة الكعبة المشرفة حول هذا الموضوع بما فيه الكفاية . .

وقد سئل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك فأجاب بأن المسجد الحرام هو أول مسجد وجد على الأرض . فقيل له : ثم أى ؟ فقال : المسجد الأقصى . . فقيل له : كم بينهما ؟ فقال : أربعون عاماً[٢٣]

وهذا الأثر الشريف يحتمل أكثر من معنى . .

فإن كان الذى بنى البيت الحرام آدم . فقد بنى المسجد الأقصى آدم كذلك بعد بنائه الكعبة بأربعين سنة .

وإن كان الذى بنى البيت الحرام إبراهيم ، فقد بنى المسجد الأقصى يعقوب بعد بناء إبراهيم بأربعين سنة .

وجميع هذه الآراء قد نقلت عن العلماء الذين قالوا : إن من الأقوال فى بناء المسجد الأقصى القول الذى يرى أن بناء المسجد الأقصى كان على يد أبى البشر آدم ـ عليه السلام ـ .

ومنهم من يرى أن سام بن نوح هو الذى بناه ، ومنهم من يقول : إن أول من بناه وأرِىَ موضعه هو يعقوب ـ عليه السلام ـ ذلك أنه فى أثناء توجهه إلى خاله فراراً من أخيه عيصو ، بناء على نصيحة أبويه ـ اضطجع تحت صخرة فى طريقه ، فرأى رؤيا بشره الله فيها بالنبوة ، فسر بهذه الرؤيا ، ونذر إن تحقق له ذلك أن يبنى فى هذا المكان بيتاً لله ، ووضع علامة عليه . .

---

(٢٣) روى هذا الحديث فى الصحيحين عن ابى ذر رضى الله عنه

وحين عاد بعد سنين من رحلته ، وكان قد تزوج وأنجب وحسنت حالته ، وفّى بنذره . .[24]

وظل هذا المكان الذى أنشأه يعقوب ـ عليه السلام ـ يعرف ببيت الرب ، حتى جاء داود ـ عليه السلام ـ ومكن الله له فى الأرض فعزم على إقامة هذا البيت بما يليق به أن يكون بيتاً لله تعالى وبذل فى سبيل ذلك الأموال الطائلة . .

أسماء هذا المسجد :

يطلق على هذا المسجد اسم المسجد الأقصى ، وقد ذكر البعض أنه سمى بذلك لبعده عن المسجد الحرام ، وكان الناس يعظمونه بالزيارة قديماً . .

وقد بارك الله حوله ، ومظهر البركة يبدو فى خصوبة هذا المكان الذى يوجد فيه المسجد وفى ثرائه بالثمار وخيرات الأرض ، من زروع ناضرة ورياض وافرة وطبيعة زاهرة وأنهار جارية وقرى عامرة . .

وفى أن كثيراً من الأنبياء والصالحين دفنوا حوله ، ومن هنا كان مقدساً . .

ويطلق عليه أيضاً اسم « مسجد إيلياء »

ومعنى هذا الاسم « إيلياء » بيت الله

ويطلق عليه « بيت المقدس » ـ بفتح الميم واسكان القاف وكسر الدال ـ ومعناه : البيت الذى يطهر فيه داخله من الذنوب .

وهو مشتق من القَدَس ـ بفتحتين ـ السطل الذى يستقى به الماء وهو مصدر ميمى كمرجع بمعنى رجوع من رَجَع .

---

(٢٤) وربما زكى هذا الرأى ماجاء فى العهد القديم ـ سفر التكوين الاصحاح ٢٨

ويطلق عليه أيضاً : البيت المقدس - بضم الميم وفتح القاف وتشديد الدال - ومعناه المطهر من الأصنام .

والأرض المقدسة فى تلك الأماكن هى المواضع التى وقع عليها نظر إبراهيم الخليل - عليه السلام - حين رفع على الجبل وقيل له : انظر فما أدرك بصرك فهى أماكن مقدسة لك ولولدك من بعدك[٢٥]

ويطلق عليه أيضاً سلام

والعبريون ينطقون السين شيناً فسلام عندهم شلام .

ومعنى بيت المقدس على ذلك : بيت السلام .. وروى الزركشى فى ذلك خبراً عن كعب الأحبار قال فيه : إن الجنة فى السماء السابعة بميزان بيت المقدس والصخرة .. ولو وقع حجر منها لوقع على الصخرة[٢٦]

ومن شلم ، وشلام ، جاءت كلمة « أورشليم » بنفس المعنى السابق وهو بيت السلام أو دار السلام .

ويطلق عليه « بيت إيل » أى بيت الرب . والرب فى اللغة العبرية يقال له إيل .. ويضيفون اليه مايشاءون من أسماء ..

وهناك أسماء أخرى ذكرها الزركشى فى إعلام الساجد مثل : كورة إليا ، وبابوش ، وأزيل وغيرها ..

متى أنشئت مدينة القدس ؟

لم تكن أرض الشام غريبة على العرب ، ولكنها كانت منذ فجر التاريخ متنفساً للعرب ، يرتحلون إليها فى تجارتهم ويرتبطون معها بروابط متعددة ، وقد أقامت

(٢٥) اعلام الساجد باحكام المساجد ص ٢٧٨

(٢٦) المرجع السابق

فيها قبائل عربية كثيرة .

وقد ذكر الله فى القرآن الكريم نبأ رحلتين إحداهما فى الشتاء وكانت إلى اليمن ، والأخرى فى الصيف وكانت إلى الشام . .

وكان يطلق على العرب القدامى الذين انطلقوا الى الشام فراراً من جدب البلاد العربية اسم « اليبوسيين » وهم قوم من العرب نزلوا الشام وابتنوا أول مدينة لهم أطلقوا عليها اسم « يبوس » .

وهذا أول اسم عربى لهذه المدينة التى عرفت فيها بعد باسم القدس وعاش مع اليبوسيين الكنعانيون وهم من العرب المهاجرين الذين ساحوا فى البلاد واستقروا فى الشام وهم الذين سموا المدينة « يوروشالم » ومنه كان الاسم « أورشليم » الذى عاش وتشبث به اليهود بعد ذلك .

وكان وجود « اليبوسيين » فى القدس قبل الميلاد بألف وثمانمائة سنة تقريباً ، وهو زمن ضارب فى أعماق التاريخ .

أما الكنعانيون العرب فهم الذين كانوا يقيمون فى القدس حين طلب موسى ـ عليه السلام ـ من بنى اسرائيل أن يدخلوها ،ولكنهم رفضوا وقالوا : إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها .

وتغير اسم أورشليم إلى إيليا فى عهد الرومان الذين حكموا القدس وكان اسمها إيليا عند الفتح الاسلامى ، وذكر هذا الاسم فى وثيقة الصلح التى حررها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مع سكانها فقد جاء فى هذه الوثيقة : هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان . .

لقد اختار الله هذا المكان لإقامة المسجد الأقصى كما اختار مكة لإقامة البيت الحرام . وأكرم كلا المكانين بمجاورته لهذا الحرم الذى جعله حرماً له ، وكما

اختص مكة والبيت الحرام بفضائل اختص القدس الشريف كذلك بفضائل نشير إليها فيما يلي :

فضائل القدس :

أكرم الله القدس بأن جعله محط رحال خليله إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقد أقام في رحابه ومنه كان ينتقل جيئة وذهاباً إلى ما يشاء من أماكن . . وبالقرب من مسجده المبارك يوجد مثواه الشريف وقريته المسماه باسمه . .

وفيها نشأ ابنه اسحاق . ثم يعقوب ابنه اللذان بشر بهما القرآن الكريم .

ويعقوب ـ عليه السلام ـ هو الذي يقال في أكثر الروايات انه هو الذي بنى بيت المقدس ـ بعد أن بنى جده إبراهيم ـ عليه السلام ـ وعمه إسماعيل البيت الحرام . .

وكأن الله ـ جل وعلا ـ أراد أن تكون عمارة بيتيه الشريفين على يد خليله إبراهيم وابنه اسماعيل وحفيده يعقوب .

ومن فضائل القدس أن داود ـ عليه السلام ـ اتخذها عاصمة ملكه الواسع بعد أن استقر له الملك . وإليها انتقل من حبرون التي جعلها مقراً لحكمه في أول الأمر .

وحين انتقل الى القدس أراد أن يبنى بيت المقدس من جديد ، فوضع أساسه ولكن لما بنى حائطاً سقط معظمه ، لأن الله أراد أن يدخر بناءه لإبنه سليمان . . الذى بناه على صورة مكتملة من الحسن . .

ويقال إن هذا المسجد أكبر مساجد الإسلام حتى قال العلماء : انه في كثير من الأحيان لا يكتمل فيه صف واحد خلف الامام . . [٢٧]

---

(٢٧) اعلام الساجد ص ٢٩٧

وفى ذلك دلالة على اتساعه لدرجة تعسر اكتمال الصف الواحد خلف الامام . .

وأصبح منذ ذلك الوقت مقرأ للأنبياء والأولياء والصديقين . . يهب إليه الصالحون أبناءهم للخدمة فيه . .

وقد وهبت امرأة عمران مافى بطنها لخدمته . . كما أخبر بذلك القرآن الكريم فى قوله

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢٨)

---

(٢٨) آل عمران ٣٥ : ٣٧

وفى بيت المقدس دعا زكريا ربه أن يرزقه ذرية صالحة فاستجاب الله دعاءه ، وقد أخبر القرآن الكريم بذلك قال تعالى :

﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (٢٩)

وفى هذا المكان أو قريباً منه نفخ الله من روحه فى مريم ، فحملت بعيسى روح الله وكلمته . الذى أرسله الله إلى بنى إسرائيل ليصحح لليهود مسيرتهم ، ولكنهم كفروا به وكذبوه وهموا بأن يقتلوه ويصلبوه.، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، ورفعه الله إليه لينزل فى وقت معلوم .

وإلى هذا المسجد كان إسراء النبى - صلى الله عليه وسلم - قبل الهجرة ، ونزل فى ذلك قوله - تعالى -

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ (٣٠)

قال العلماء : ومن صخرة بيت المقدس ينادى المنادى يوم القيامة قائلاً : أيتها العظام البالية والأوصال الممزقة والشعور المتفرقة ، إن الله يأمركن أن تجتمعن .

---

(٢٩) آل عمران : ٣٨ : ٣٩

(٣٠) الاسراء ١

وهذا ما يشير إليه قوله ـ تعالى ـ

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ (٣١)

قال القرطبي : المنادى إسرافيل وقيل جبريل ، وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادى ، والمكان القريب هو صخرة بيت المقدس ، ويقال إنها وسط الأرض وأقرب الأرض من السماء .

وزادت السُّنَّةُ هذه الآية بياناً ، فروى الترمذى عن معاوية بن حيدة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث ذكره : وأشار إلى الشام بيده فقال : من هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركباناً ومشاة توفون سبعين أمة أنتم خيرهم وأكرمهم على الله (٣٢)

وقوله : وسط الأرض لا ينافى أن مكة فى وسطها أيضاً . . فالمنطقة العربية كلها فى وسط العالم أما مكة فهى سرة هذا الوسط . .

ومن فضائل بيت المقدس أن جعله الله أولى القبلتين ، فإليه كان المسلمون يتوجهون فى صلاتهم فى أول فرض الصلاة . .

وظلوا يصلون إليه وهم فى مكة ، وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتوجه إلى بيت المقدس جاعلاً الكعبة بينه وبين بيت المقدس . . فلما هاجر إلى المدينة تاقت نفسه أن تكون قبلة المسلمين هى الكعبة أول بيت وضع للناس .

---

(٣١) ق ٤١ : ٤٤

(٣٢) تفسير القرطب ـ سورة ق ص ٦١٩٧ ط دار الشعب

فاستجاب الله له وحول القبلة إليها بعد شهور اختلف الرواة فى تحديدها ، فبعضهم يقول : إنها تسعة ، وبعضهم يقول : إنها عشرة ، وبعضهم يقول : إنها سبعة عشر شهراً .

والمهم فى ذلك أن القبلة أولاً كانت إلى بيت المقدس ،وفى ذلك دلالة على أن هذا البيت شرفه الله وكرمه ، فوجه أنظار المسلمين إليه . . فترة من الزمن . .

وقد يكون فى ذلك دلالة على عموم رسالة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنها لم تكن رسالة خاصة كالرسالات السابقة .

وليس تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة غَضًا من شأنه أو حطاً من مكانته بل لأن الكعبة فى سرة الأرض تماماً وهى مركز دائرتها ففى توجه المسلمين إليها فى شتى الأقطار جمع لكلمتهم وتحقيق لوحدتهم وإكمال لنظامهم ، وكما كان البيت الحرام أول بيت وضع للناس كانت الرسالة الخاتمة أحرى بالتوجه له والإلتجاء اليه . . وليس من المعقول أن يفرض على المسلمين حج البيت ثم لا يكون قبلتهم التى يتوجهون إليها فى صلاتهم .

ومما ورد فى فضل بيت المقدس ما روى عن عطاء الخراسانى قال : بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته الأنبياء ووالله مافيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى(٣٣)

وقد أورد الزركشى عن ابن عباس قوله : من حج وصلَّى فى مسجد المدينة والمسجد الأقصى فى عام واحد خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . .(٣٤)

---

(٣٣) ذكره الزركشى فى كاابه اعلام الساجد ص ٢٨٣ وقال محققه : ذكريا قوت عن ابن عباس : البيت المقدس بنته الانبياء وسكنته الانبياء ، مافيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبى أوقام فيه ملك ـ معجم ياقوت ١١٢/١ وانظر الانس الجليل ٢٠٦/١

(٣٤) اعلام الساجد ص ٢٩٦

إسراء النبي ﷺ إليه :

أراد الله أن يكرم نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويسرى عنه ، ويريه من آياته الكبرى ، فأسرى به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به من هناك إلى السماوات العلا . .

وهيأ الله نبيه لهذه الرحلة ، فأرسل جبريل ـ عليه السلام ـ فشق صدره الشريف وغسله بماء زمزم وملأه حكمة وإيماناً . .

ثم أتى بالبراق ، فامتطاه وسار به إلى بيت المقدس . .

ودخل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومعه جبريل بيت المقدس ، فصلى كل واحد منهما ركعتين . . ويقال : إنه حشدت له الأنبياء فصلى بهم[٣٥]

ويقال : إن الملائكة صلت معه ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل من هذا الذى معك ؟ قال : محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا : أوقد أرسل محمد ؟ قال : نعم . قالوا : حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء . .

وحين لقي الأنبياء أثنوا على ربهم ، فكل منهم تحدث بنعمة الله عليه حتى جاء الدور على نبينا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وللناس كافة بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليَّ الفرقان فيه بيان لكل شيء ،

وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس ، وجعل أمتى أمة وسطاً وجعل أمتى هم الأولين وهم الآخرين ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى ، ورفع لى ذكرى ، وجعلنى فاتحاً وخاتماً ، فقال إبراهيم : بهذا فضلكم محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ[٣٦]

---

(٣٥) سيرة بن هشام جـ ٢ ص ٣

(٣٦) تفسير ابن كثير حـ ٥ ص ٣٢ ـ تفسير سورة الاسراء .

وفى قصة الإسراء نبه ابن كثير إلى فائدة حسنة جليلة ـ فقال : روى الحافظ أبو نعيم الأصفهانى بسنده إلى محمد بن كعب القرظى قال :

بعث رسول الله ـ صلى الله عليه ةوسلم ـ دحية بن خليفة إلى هرقل قيصر الروم فذكر وروده وقدومه عليه ـ وفى السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ـ

ثم استدعى من فى الشام من التجار ، فجىء بأبى سفيان صخر بن حرب وأصحابه وكانوا فى أثناء ذلك فى تجارة لهم بالشام فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التى رواها البخارى ومسلم .

وجعل أبو سفيان يجهد أن يحقر أمر النبى ويصغره عند هرقل .
فقال فى هذا السياق عن أبى سفيان : والله ما يمنعنى أنِ أقول عليه قولاً

أسقطه من عينه إلا أنى أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها على . ولا يصدقنى بشىء ـ حتى ذكرت قوله : ليلة أسرى بى . .

قال أبو سفيان : فقلت أيها الملك ، ألا أخبرك خبراً تعرف أنه قد كذب ، يعنى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ

قال هرقل : وماهو ؟

قال أبو سفيان : إنه يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة ، فجاء مسجدكم هذا ، مسجد إيلياء ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح .

وكان بَطْرِيق إيلياء جالساً عند رأس قيصر . . فقال : قد علمت هذه الليلة

فنظر إليه قيصر مستطلعاً ، وقال : وما علمك بهذا ؟

فقال البطريق : إنى كنت لا أنام حتى أغلق أبواب المسجد ، فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبنى ، فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى كلهم ، فعالجناه فغلبنا فلم نستطع أن نحركه كنا كأنما نزاول به جبلاً ،

فدعوت النجاجرة ، فنظروا إليه ، فقالوا : إن هذا الباب سقط عليه النجاف ـ العتبة العليا ـ والبنيان ، ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى .

قال البطريق : فرجعت وتركت البابين مفتوحين .

فلما أصبحت غدوت عليهما ، فإذا بالحجر الذى فى زاوية المسجد مثقوب وإذا فيه أثر مربط دابة ، فقلت لأصحابى : ماحبس هذا الباب الليلة إلا على نبى ، وقد صلى الليلة فى مسجدنا (٣٧)

أما ثقب الحجر فقد أشار اليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حديث قال : فلما أتينا المسجد غمز جبريل بإصبعه الحجر فثقبه فربط فيه البراق (٣٨)

وينبغى الإشارة هنا إلى أن بيت المقدس بصورته الراهنة لم يبن إلا فى عهد الخلافة الأموية ، وأن النصارى لم يكن لهم مساجد وإنما كانت لهم كنائس لها بطاريقها القائمون على خدمتها .

لقد هدم المسجد الأقصى الذى بناه سليمان . . وقامت مقامه كنائس كان يحج إليها النصارى منذ عهد الرومان وهذا لا يمنع أن أثر المسجد الأقصى الذى باركه الله كان موجوداً وفى إسراء النبى إليه اشارة إلى إحياء أثره وإعادة بنائه بعد ذلك كما كان .

وحين قال له من قال : صفه لنا . . استحضر الله أمامه ما كان موجوداً من مشاهد يراها التجار والرحالة فى هذه المدينة المقدسة فوضعها أمامه فوصفها صلى الله عليه وسلم .

(٣٧) تفسير ابن كثير جـ ٥ ص ٤١

(٣٨) روى ذلك ابن كثير فى تفسيره جـ ٥ ص ١٨ مسندا الى عبدالله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما كان ليلة اسرى بى اتى جبريل الى صخرة بيت المقدس فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد فيها البراق .

أما ما قاله البطريق فى القصة التى ذكرها ابن كثير ـ فعلى فرض صحتها ـ أنه تحدث عن كنيسته باسم المسجد على اعتبار أنها مكان للعبادة والسجود .

وأى مكان يعبد فيه الله فهو مسجد وكأن استعصاء إغلاق الباب كان إشارة نبهت البطريق إلى موضع ربط البراق فى الثقب الذى استحدثه جبريل بالصخرة ولم يكن موجوداً من قبل ولولا استعصاء الباب لما تنبه لذلك . .

وقد يكون لدى البطريق علم بالأخبار التى وردت عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم . فى كتبهم القديمة ومن بينها حادث الإسراء الذى رأى علامته فى الصخرة . .

على أنه لاينبغى أن نغفل أن الأكاسرة كانوا قد غلبوا على بيت المقدس .

فى أوائل البعثة النبوية ، وحطموا ماوجدوا فيه وكسروا الصلبان وأقاموا فى المدينة المقدسة بيتا للنار ، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ ﴾ (٣٩)

فان كان هناك أثر لبيت المقدس القديم فقد هدم فى هذه الموقعة ودرس أثره حتى أحياه المسلمون فى عهد الخلافة الأموية . .

وكان لحادث الاسراء أثره بين المسلمين وغيرهم . .

أما المسلمون فقد ازداد أقوياء الايمان منهم إيمانا . . وهذا أبوبكر يلقب بالصديق لموقفه من هذا الحادث . لأنه قال حين أخبره القرشيون بما أخبر به النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مسراه ولم يكن قد سمعه منه بعد : لئن كان قال هذا فقد صدق . .

---

(٣٩) سورة الروم من ١ ـ ٤

وأما ضعاف الاسلام فقد شكوا وبعضهم ارتد .

ولغرابة هذا الحادث أشفق أهل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليه وأشاروا عليه بعدم تحديث الناس عما رآه . ولكنه لم يكتم ما أمره الله بتبليغه .

جاء فى كتاب الروض الأنف نقلا عن محمد بن إسحاق قال : وكان فيما بلغنى عن أم هانىء بنت أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ واسمها هند ـ فى مسرى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقول : ما أسرى برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم إلا وهو فى بيتى فقد صلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا . فلما كان قبيل الفجر أَهَبَّنَا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : ياأم هانىء لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى .

ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه . ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين . ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه ، فقلت له : يانبى الله ، لاتحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك . قال : والله لأحدثنهم به . .

قالت : فقلت لجارية لى حبشية : ويحك اتبعى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى تسمعى مايقوله للناس ومايقولون له .

فلما خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الناس أخبرهم فعجبوا وقالوا : ما آية ذلك يامحمد ؟ فإنا لم نسمع بمثل هذا قط .

قال : آية هذا أننى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا ، فأنفرهم حس الدابة ، فَنَدَّلهم بعير فدللتهم عليه ، وأنا موجه للشام ، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان ـ اسم مكان ـ مررت بعير بنى فلان ، فوجدت القوم نياماً ، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت مافيه ، ثم غطيت عليه كما

كان . وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ، يقدمها جمل أورق [٤٠] عليه غرارتان ، إحداهما سوداء والأخرى برقاء .

قالت : فابتدر القوم الثنية فكان أول مالقيهم الجمَل كما وصف لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسألوهم عن الاناء ، فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا بالماء ثم غطوه ، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه الماء .

وسألوا الآخرين وهم بمكة . . فقالوا : صدق والله لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر ، وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعُونا إليه حتى أخذناه .

وأما الكفار فقد اشتد تكذيبهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى أقبلوا يسألونه عن أوصاف بيت المقدس ، فجعل يخبرهم ولايستطيعون أن يردوا عليه شيئاً .

لماذا كان الاسراء إلى بيت المقدس ؟

قد علمنا أن بيت المقدس هو ثانى بيت وضعه الله للناس فى الأرض فأراد الله أن يربط بين هاتين البقعتين فى رحلة الإسراء والمعراج . .

فإلى المسجد الأقصى كان الاسراء ، ومن المسجد الأقصى كان المنطلق إلى السماء .

لقد أراد الله أن يعلمنا درسا فى السياسة الإسلامية فان طريق الربط الصحيح بين الأماكن والبلدان هو عبادة الله والتوجه إليه والقرب منه ، وللاشارة إلى أن

هذين المكانين سيكونان على امتداد التاريخ مبعث انتشار هذا الدين ، وعلى المسلمين وجوب تطهيرهما من كل رجس وتحريرهما من كل غاصب وصيانتهما بالروح والمال والولد من كل معتد أو آثم .

---

(٤٠) الأورق من الابل الذى فى لونه بياض الى سواد

بناء المسجد قديما :

روى البيهقى فى سننه فى حديث مسند إلى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة .
قال : لما أراد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه أن يزيد فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقعت زيادته على دار العباس فأراد عمر أن يدخلها فى المسجد ويعوضه عنها فأبى ، وقال : قطيعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أى هبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لى .

فاختلفا فجعلا بينهما أُبَىّ بن كعب ، فأتياه فى منزله ، وكان يسمى سيد المسلمين ، فأمر لهما بوسادة فألقيت إليهما ، فجلسا عليها بين يديه ، فذكر عمر ماأراد ، وذكر العباس قطيعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

فقال أُبَىّ : إن الله عز وجل أمر عبده ونبيه داود أن يبنى له بيتا ، فقال : أى رب ، وأين هذا البيت ؟

فقال : حيث ترى المَلَكَ شاهرا سيفه . فرآه على الصخرة .

وإذا ما هناك أَنْدَر ـ مكان خال ـ لغلام من بنى اسرائيل ، فأتاه داود فقال : إنى قد أمرت أن أبنى فى هذا المكان بيتا لله عز وجل .

فقال الفتى : آلله أمرك أن تأخذها بغير رضاى ؟ قال : لا

فأوحى الله إلى داود ـ عليه السلام ـ : انى قد جعلت فى يديك خزائن الأرض فأرضه . . فأتاه داود فقال له : إنى قد أمرت بإرضائك ولك بها قنطار من ذهب .

فقال : قد قبلت ياداود وهى خير أم القنطار ؟

قال : بل هى خير

قال : فأرضنى .

قال : فلك بها ثلاثة قناطير .
قال : فلم يزل يشدد على داود حتى رضى منه بتسعة قناطير .

قال العباس : اللهم لا آخذ لها ثوابا ، وقد تصدقت بها على جماعة المسلمين .
فقبلها عمر منه فأدخلها فى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم [٤١] .

وهذا الخبر يشير إلى عزم داود على بناء بيت المقدس ، وإلى أن الله طلب منه ذلك ، وأنه لم يدخر وسعا فى تنفيذ أمر الله ، وأنه بذل فى سبيل الأرض التى أقيم عليها مالا جزيلا ، ولم يغتصبها . . فإنه لاينبغى أن يقام بيت لله على أرض مغصوبة .

وقد أفتى العلماء بعدم قبول الصلاة التى تقام فى أرض مغصوبة .
كما يشير الخبر إلى أريحية العباس ـ رضى الله عنه ـ حيث انه وهب بيته لله ، ولم يتنازل عنه لقاء عوض مادى ، فما عند الله خير وأبقى .

وما كان تمسكه بادىء ذى بدء الا لحرصه على الأثر الذى وهبه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إياه .

ويذكر الثعلبى فى ذلك خبرا آخر . قال :
إن داود ـ عليه السلام ـ طلب من قومه أن يبنوا لله بيتا شكرا له على نعمه وعلى رفعه العذاب عنهم واختار لهم مكانا عند الصخرة المقدسة .

ذلك أنه رأى الملائكة عندها يصعدون إلى السماء فى سلم من ذهب . .
فأجابه قومه إلى ذلك . فلما هموا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم . وقال لهم : إن لى فى هذا المكان موضعا أنا محتاج إليه ، ولايحل لكم ان تحجبونى عن حقى .

---

(٤١) اعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشى

فقالوا له : ياهذا ما من أحد من بنى إسرائيل إلا وله فى هذا الصعيد حق مثل حقك ، فلا تكن أبخل الناس ، ولاتضايقنا فيه .

فقال : أنا أعرف حقى وأنتم لاتعرفون حقكم .
ورفع الأمر الى داود فقال : أرضوه .

فعرضوا عليه أن يشتروه بحائط مثله قد زرع زيتونا ونخلا وعنبا ، فقال الرجل : لداود : أنت تشتريه لله ـ عز وجل ـ فلا تبخل فقال له داود : سل ماشئت .

قال الرجل : أنت اكرم على الله منى . ولكن ابن لى جداراً واملأه ذهبا أو فضة ـ فقال داود : هذا هين .

فقال الرجل : والتفت لبنى اسرائيل : هذا هو التائب المخلص ـ يقصد داود ـ ثم قال : لأن يغفر الله لى ذنبا واحدا أحب إلىّ من كل شىء وُهِبَ لى. أنا ماجئت طالبا مالا ولكنى جئت لأختبركم . .

فجدوا فى بناء بيت المقدس . .
وكان ذلك لأحدى عشرة سنة مضت من ملك داود .

وكان داود فيما يقال يحمل الحجار على ظهره ومعه أحبار بنى اسرائيل حتى رفعوه قدر قامة وعجزوا فتوقفوا ، وظلوا يصلون فيه على حالته حتى توفى داود ـ عليه السلام (٤٢) .

وهذه الرواية وغيرها من الروايات تشهد بأن بيت المقدس لم يتم فى عهد داود .

---

(٤٢) قصص الانبياء للثعلبى ص ٣١٢

ويدل على ذلك ما أورده الطبرانى فى معجمه الكبير مسندا إلى رافع بن عمير قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : قال الله عز وجل ـ لداود : ابن لى بيتا فى الأرض . فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذى أمر به .

فأوحى الله إليه : ياداود ، نصبت بيتك قبل بيتى .
قال : أى رب هكذا قلت فيما قضيت . من مَلَك استأثر .
ثم أخذ فى بناء البيت فلما تم السور سقط ثلثاه .

فشكا ذلك إلى الله عز وجل ، فأوحى الله عز وجل إليه :
انه لايصلح أن تبنى لى بيتا .
قال : أى رب ، ولم ؟ .

قال : لما جرى على يديك من الدماء .

قال : أى رب ، أولم يكن ذلك فى هداك ومحبتك .

قال : بلى ، ولكنهم عبادى وأنا أرحمهم .

فشق عليه ذلك . فأوحى الله إليه : لاتحزن ، إنى سأقضى بناءه على يدى ابنك سليمان . (٤٣) .

وقال بعض العلماء : إن داود بنى منه موضع قامة ومات . فأتمه سليمان .

سليمان يبنى البيت

لما تولى سليمان المُلك ، وكان الله قد أمده بعونه ، ومكن له فى الأرض ووهب له ملكا لاينبغى لأحد من بعده .. وسخر له الجن والشياطين يعملون بين يديه ..

---

(٤٣) المرجع السابق

شمر عن ساعد الجد فى بناء بيت المقدس . .

قال الطبرانى : لما مات داود أخذ سليمان فى بناء بيت المقدس فلما تم قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بنى اسرائيل ، فأوحى الله إليه : إنى أرى سرورك ببناء بيتى فسلنى أعطك .

قال : أسألك ثلاث خصال ، حكما يصادف حكمك ، وملكا لاينبغى لأحد من بعدى ، ومن أتى هذا البيت لايريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أما اثنتين فقد أعطيهما ، وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة [٤٤] .

وروى عن كعب الأحبار أن سليمان بن داود ـ عليه السلام بنى بيت المقدس على أساس كان قد أسسه سام بن نوح ، وذكر أبوبكر محمد بن احمد الواسطى فى كتاب فضائل القدس : أن سليمان اشترى أرضه بسبعة قناطير من ذهب . .

سليمان يستعين بالجن فى بنائه :

وذكر الدميرى فى كتابه قال :

كان الذى ابتدأ فى بناء بيت المقدس دواد ـ عليه السلام ـ فرفعه قامة رجل ثم مات .

فلما استخلف ابنه سليمان ـ عليه السلام ـ أحب إتمامه ، فجمع الجن والشياطين ، وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل ، وبدأ أولا فى

---

(٤٤) رواه احمد والنسائى وابن خزيمة وابن حيان والحاكم ورواه الطبرانى فى الكبير ، وفى اعلام الساجد ص ٢٨٢

بناء المدينة .

فأرسل الجن والشياطين فى تحصيل الرخام والمها الأبيض .

وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح ، وجعلها اثنى عشر ربضا وأنزل فى كل ربض منها سبطا .

فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى عمارة المسجد .

فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها ، والدر الصافى من البحر .

وفرقا يحضرون الجواهر والرخام من أماكنها .

وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر وسائر أنواع الطيب .

فأتى من ذلك بشيء لايحصيه الا الله ـ تعالى ـ .

ثم أحضر الصناع ، فأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحا ، وثقب اليواقيت واللآلىء ، وإصلاح الجواهر .

فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر .

وعمده بأساطين المها الصافى [٤٥] وسقفه بأواح الجواهر الثمينة ، ونضد سقفه وحيطانه باللآلىء واليواقيت وسائر الجواهر .

فلم يكن يومئذ فى الأرض بيت أبهى ولاأنور من ذلك المسجد ، كان يضيء فى الظلماء كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أحبار بنى إسرائيل ، فأعلمهم أنه

---

(٤٥) اى الحجارة البيض التى تبرق وهو البلور

قد بناه لله عز وجل خالصا . واتخذ ذلك اليوم عيدا .[٤٦]

مارواه القصاص عن الجنى صخر :

والقصاص عادة مولعون بالأخبار الغريبة ، وقد ذكروا قصة عن جنى استدعاه سليمان ليستعين به فى بناء البيت ،ونحن نذكرها لما فيها من طرافة وعبرة فى الوقت نفسه .

قال الرواة : إن العمال حين كانوا يقطعون الحجارة تصدر عنها أصوات شديدة أزعجت سليمان ، فسأل الجن عن حيلة تقطع الحجارة بدون أصوات .

فأخبروه بأنه لايعلم هذه الحيلة إلا صخر الجنى . فأرسل فى طلبه . وأمر رسوله أن يخبره بكل مايصدر من صخر فى الطريق .

فلما جاء الرسول ومعه صخر . سأل سليمان الرسول عما رآه من صخر فقال له :

إنه كان يضحك من الناس ويسخر منهم .

فسأله سليمان عن ذلك فقال :

يانبى الله ليس ضحكى سخرية منهم ولكن لما رأيت منهم من حالهم .

فقد مررت برجل معه بغلة يريد أن يسقيها وجرة يريد أن يشرب بها ، فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته ، فربط البغلة إلى الجرة ، فنفرت البغلة فكسرت الجرة . فضحكت من حمقه حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة .

---

(٤٦) حياة الحيوان ـ ١ ص ٥٦٥

ثم مررت برجل يشترط على إسكافى يستعمله فى إصلاح خف له . يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين . ونسى أن نزول ملك الموت إليه قد يأتى قبل ذلك فضحكت من قلة عقله وجهله .

ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما لايعلمون من أمور السماء ، وكنت قد عهدت رجلا دفن فى موضع فراشها ذهبا كثيرا فى الازمان الخالية . فرأيتها تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير لاتعلم عنه شيئا .

ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها .

ومررت فى بعض الأسواق فرأيت الثوم وهو دواء يكال كيلا ، ورأيت الفلفل وهو داء يوزن وزنا فضحكت من جهلهم .

ومررت بقوم يبتهلون إلى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة ، فمل منهم قوم وقاموا وجاء آخرون فجلسوا ثم جاءت الرحمة فنزلت فأخطأت الذين قاموا وأصابت الذين جاءوا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر .

ثم سأله سليمان عن حيلة لقطع الحجر بدون صوت ، فأخبره بما يريد

الإسلام يشيد بهذا البيت

وقد مر بنا الحديث عن فضل هذا البيت ، وعرفنا أن الاسلام اعتز به اعتزازا شديدا فجعله مسرى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأولى القبلتين للمسلمين فى صلاتهم . .

وضاعف ثواب الطاعة فيه . .

روى ابن ماجه عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ـ : صلاة الرجل فى المسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة ـ وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة .

ويطلق المسجد الأقصى على المسجد والساحة المقدسة حوله وهى تبلغ أربعة وثلاثين فدانا . .

وجعل الاسلام هذا المسجد أحد ثلاثة مساجد تشد إليها الرحال ، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » . .

المسجد الأقصى مركز الديانات الثلاث:

لقد شاء الله أن يكون المسجد الأقصى مطمح أنظار أصحاب الديانات الثلاث . .

فالمسلمون ينظرون إليه على أنه مسرى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأولى قبلتى المسلمين فى الصلاة وأن الله أشاد بذكره فى القرآن وأعرب عن فضله وجعله مباركا . . فقال :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (١) (٤٧)

هذا بالنسبة للمسلمين .

أما بالنسبة لليهود فإن نبيهم وملكهم سليمان ـ عليه السلام ـ هو الذى شيد هذا البيت ، وجعله خالصا لوجه الله ، ودعا قومه إلى عباد الله فيه . .

---

(٤٧) الاسراء آية ١

وبالنسبة للنصارى فإن المسيح ـ عليه السلام ـ ولد فى جواره ودعا فيه إلى ربه ، وقارع اليهود وحاجهم فيه ، وبجواره كنيسة القيامة التى لها اعتزاز خاص فى نفوسهم .

ابن بطوطة يصفه :

وقد وصفه ابن بطوطة فى رحلته الشائقة وقال فيه :

« وهو من المساجد العجيبة الرائقة ، الفائقة الحسن ، يقال : إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه ، وإن طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائه واثنان وخمسون ذراعا بالذراع المالكية ـ الزراع المالكية طولها ٣٢ إصبعا ـ وعرضه من القبلة الى الجوف اربعمائة وخمس وثلاثون ذراعا ، وله أبواب كثيرة فى جهاته الثلاث ، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا بابا واحدا ، وهو الذى يدخل منه الامام »[٤٨]

كما وصف الصخرة ، وذكر أنها من أعجب المبانى وأتقنها وأغربها شكلا ، قد توافر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف ، وهى وسط المسجد .

بيت المقدس يتعرض للتخريب :

هذا البيت الكريم الذى أراد الله أن تعلو فيه كلمته ، ولايذكر فيه إلا اسمه .. تعرض لألوان من العدوان البربرى .

ولكن هذا العدوان تم بناء على نسيان من فيه تعاليم ربهم فعاقبهم الله بأن سلط عليهم عدوهم ..

---

(٤٨) رحلة ابن بطوطة ص ٤٥

وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم فى قوله - تعالى -

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ (٤٩)

وهذه الآيات الكريمة تشير إلى أنه لاعقاب إلا بجرم . وبذلك جرى عدل الله ، ويعفو عن كثير . . وقد أفاء الله على بنى إسرائيل نعما كثيرة ، وأمد لهم فى حبل العطاء إلى أبعد الآماد ، ولكن ذلك لم يزدهم إلا غرورا . .

وزين لهم ذلك الغرور أنهم أفضل خلق الله وأنهم شعب الله المختار ، فأى ذنب يرتكبونه مغفور ، وأى جرم يفعلونه متجاوز عنه . .

ولكن الله - جلت قدرته - يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .

والناس عند الله سواء ، ولافضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح .

---

(٤٩) الاسراء ٤ : ٨

وهذا هو المقياس الذى وضعه الله منذ الأزل ، وبه يفاضل بين الناس .

أما ماورد فى القرآن بشأن تفضيل بنى إسرائيل على العالمين فان ذلك كان فى زمن موسى حين بعث إليهم ، فلم يكن أحد يعبد الله غيرهم . وكانت الوثنية منتشرة فى العالم .. فكانوا أفضل أهل زمانهم لذلك ..

ولكنهم بمرور الأيام غيروا وبدلوا ، وجاءت رسل وأنبياء اهتدى على أيديهم ناس فاقوا غيرهم ، حتى بعث الله محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانت أمته خير الأمم وديانته خاتمة الديانات .

وشاءت رحمته ـ تعالى ـ أن يكرر الانذار لبنى إسرائيل حتى لاتكون لهم حجة ، فكانت تأتيهم أنبياؤهم محذرين من نقمة الله وعقوبته ، وتوالى هؤلاء الأنبياء وكثروا ولم يكن يخلو منهم زمان ، بل كان فى الزمن الواحد أكثر من نبى . ليكون مذكره لهم على الدوام ، ومحذرا لهم من التمادى فى الخطأ والعصيان .

واذا كان الخطأ ممقوتا فى أى مكان فهو أشد مقتا فى حرم الله الذى جعله الله مأمنا للخائف وملجأ للملهوف ومثابة للناس .

إنه مكان عبادة وإنابة لله .. فلا ينبغى أن يروع فيه الخائف أو يظلم فيه اللاجىء أو تنتهك فيه حرمات الله .. ولكن ماحدث من بنى إسرائيل فى حرم الله عكس ذلك .

وحتى لا يكون إطلاق الكلام على عواهنه ، فإننا نستشهد بما جاء على لسان نبى من أنبياء بنى إسرائيل يحذر قومه سوء مافعلوه فى بيت المقدس وينذرهم بما سيحدث لهم جزاء ذلك :

قال الرب على لسان أشعياء النبى : « لاتعودوا تأتون بتقدمة باطلة ، رءوس شهوركم ، وأعيادكم بغضتها نفسى صارت على ثقلا ، فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم ، لا أسمع أيديكم وهى ملآنة بالدماء ، اغتسلوا ، تنقوا ، اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى ، كفوا عن فعل الشر ، تعلموا فعل الخير .. وان أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف .

كيف صارت القرية الأمينة زانية كان العدل يبيت فيها ، وأما الآن فالقاتلون . رؤساؤك متمردون ولصوص ، كل واحد منهم يحب الرشوة ويتبع العطايا ، لايقضون لليتيم ، ودعوى الأرملة لاتصل إليهم .. »[٥٠] .

ومما يدل على استشراء الفساد فيهم ماجاء بعد ذلك فى الاصحاح الثالث :

« قد انتصب الرب للمخاصمة ، وهو قائم لدينونة الشعوب .. أنتم قد أكلتم الكرم ، سلب البائس فى بيوتكم ، مالكم تسحقون شعبى وتطحنون وجوه البائسين .. » .

ويزداد استشراء الفساد بالنساء اللاتى وصفهن النص بأنهن :

« يتشامخن ، ويمشين ممدودات الأعناق ، وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ، ويخشخشن بأرجلهن »[٥١] .

فمن أجل ذلك .. « يصلع السيد هامتهن ويعرى عورتهن وينزع زينة الخلاخل .. ويجعل عوض . الطيب عفونة ، وعوض المناطق حبلا ، وعوض

---

(٥٠) العهد القديم سفر أشعياء الاصحاح الأول . وراجع بقية الاصحاحات تجد النذر التى أنذر بها أشعياء قومه . وحذرهم سخط الله .

(٥١) الخشخشة : حركة لها صوت كصوت السلاح

الجداثل قراعا ، وعوض الديباج زنارا .. سوف يسقط الرجال بالسيف ويهزم الأبطال فى الحرب .. » .

إنه العقاب الالهى لهؤلاء الذين طال عليهم الأمد فقست قلوبهم ، ونسوا تعاليم الرب الذى أحسن إليهم .. استنقذهم أولا من ذل فرعون ، وأخرجهم من مصر بعد أن أغرق الجبار الذى أذلهم فى البحر .. ثم مكن لهم فى الأرض ، وجعل لهم مملكة زاهرة .. يحكمها ملوك أنبياء ..

ومازال نبيهم أشعياء ينصحهم ويذكرهم .. حتى ضاقوا به ذرعا فقتلوه .[٥٢]

فجاء بعده « أرمياء » الذى واصل نصحهم وإرشادهم وتذكيرهم دون جدوى .

تحقق الوعيد :

وتحقق ذلك الوعيد الذى توعد الله به هؤلاء الجاحدين لنعمة الله فأرسل عليهم « بختنصر » وبختنصر ملك بابل ..

وقصة ذلك على مايرويها أهل الأخبار :

قال محمد بن إسحاق : بعث الله ارمياء وهو نبى من أنبياء بنى إسرائيل إلى ناشية بن أنوص ملك بنى اسرائيل ليسدده ويأتيه بالخبر من الله .

وكان قوام أمر نبى اسرائيل بالاجتماع على الملوك وعلى الملوك طاعة أنبياءهم ، فكان الملك هو الذى يسير بالجموع ، والنبى يقيم له أمره ويشير عليه يرشده

(٥٢) تفسير القرطبى - سورة الاسراء ص ٣٨٢١ ط دار الشعب .

ويأتيه بالخبر من ربه ـ عز وجل ـ .

فعظمت الأحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى . فأوحى الله إلى أرمياء ان ذكر قومك النعمى وعرفهم أحداثهم . .

فقام أرمياء فيهم ، ولم يدر مايقول . فألهمه الله فى الوقت خطبة طويلة بليغة ، بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية .

وقال فى آخرها عن الله عز وجل : ـ وانى أحلف بعزتى لآتينكم بفتنة يتحير فيها الحكيم ، ولأسلطن عليكم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم .

ثم أوحى الله إلى أرمياء : إنى مهلك إسرائيل بيافث . .
ويافث هم أهل بابل ، وهم من ولد يافث بن نوح . .

فلما سمع أرمياء ذلك . صاح وبكى ومزق ثيابه ، ونبذ التراب على رأسه .
فأوحى الله إليه : يا أرمياء ، أشقَّ عليك ما أوحيت إليك ؟

قال : نعم يارب ، أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل مالا أُسَرُّ به . .
فأوحى الله إليه : وعزتى لاأهلك بنى إسرائيل حتى يكون ذلك من جهتك .

ففرح بذلك أرمياء وقال : لا ، والذى بعث موسى بالحق ، لاأرضى بهلاك بنى إسرائيل أبدا .

ثم جاء إلى الملِك فأخبره بذلك . وكان ملِكا صالحا ، فاستبشر وفرح ، وقال : إنْ يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة ، وإن يعف عنا فبرحمته .

ولبث بنو إسرائيل بعد هذا الوحى ثلاث سنين . وكان مقتضى هذا الانذار أن يصلحوا من أمرهم وأن يزدجروا عن غيِّهم ، ولكنهم لم يزدادوا إلا عتوا وفسادا وتماديا فى الشر . وإمعانا فى البغى .. فحق عليهم العذاب والهلاك ..

وكان لهذا العذاب نُذُر ظهرت فى قلة الوحى إلى نبيهم .. وإعراضهم عن نصح ملكهم ووعظ علمائهم حين دعوهم إلى التوبة فأبوا ..

فسلط الله عليهم بختنصر ..

فخرج إليهم فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس ..

فلما قصد سائرا أتى الخبر إلى الملك ، فقال لأرمياء : أين مازعمت أن الله ـ عز وجل ـ أوحى اليك فقال أرمياء : إن الله لايخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

فلما قرب الأجل بعث الله إلى أرمياء ملَكا متمثلا فى صورة رجل من بنى إسرائيل . فقال له أرمياء : من أنت .

فقال : أنا رجل من بنى إسرائيل أتيتك أستفتيك فى أهلى ورحمى . وصلت أرحامهم ، ولم أفعل بهم إلا حسنا ، ولم أقدم لهم إلا كل جميل ، فلم يزدهم إكرامى لهم إلا سخطا وإعراضا عنى ..

فأفتنى فيهم ..

فقال له أرمياء : أحسن فيما بينك وبين الله وصلهم ، وأبشر خيرا فانصرف الملك ..

واحتجب أياما عديدة عن أرمياء . ثم جاءه بعد ذلك فى نفس صورة الرجل الذى جاءه فى المرة الأولى .. فقال له أرمياء : من أنت .

قال الملك : أنا ذلك الرجل الذى جئتك قبل ذلك أستفتيك فى أهلى وذوى قرابتى ..

فقال له : أرمياء : أما تحسنت أخلاقهم عن ذى قبل

فقال الملك : يانَبِّى الله ، ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس إلى رحِمه إلا أتيتها إليهم ، وأفضل .

قال أرمياء : ارجع فأحسن إليهم ، وأنا أسأل الله الذى يصلح عباده أن يصلحهم لك .

فانصرف الملك ، ومكث أياما .. وكان بختنصر قد أصبح قريبا من بيت المقدس ، وانتشرت جنوده حوله كالجراد ..

ففزع بنو اسرائيل فزعا شديدا ..

وقال الملِكُ لأرمياء : أين ماوعدك به ربك ؟ .

فقال أرمياء : إن ماوعدنى ربى حقا ، وأنا واثق به .

ثم جاء الملك إلى أرمياء ، وهو جالس على جدار بيت المقدس وهو يضحك ويستبشر بوعد ربه ونصره إياه .

فجلس الملك بين يديه .. فقال له أرمياء : من أنت ؟ .

قال الملك • أنا الذى أتيتك مرتين قبل ذلك أستفتيك فى شأن أهلى ورحمى .

فقال أرمياء : ألم يأن لأهلك أن يفيقوا مما هم فيه

فقال المَلَك : يانبى الله . كل شىء كان يصيبنى قبل ذلك كنت أصبر عليه . ولكنى اليوم رأيتهم فى عمل لايرضى الله تعالى . .

فقال أرمياء : على أى عمل رأيتهم .

قال رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ـ عز وجل ـ ، فغضبت لله ـ تعالى ـ وأتيتك . وأنا أسألك بالله الذى بعثك بالحق أن تدعو الله عليهم أن يهلكهم .

فقال أرمياء وقد رفع يديه إلى السماء : اللهم يامالك السموات والأرض إن كانوا على حق وصواب فأبقهم وإن كانوا على عمل لاترضاه فأهلكهم . .

وقد كان هؤلاء القوم على عمل لايرضاه الله فعلا . . كانوا على الصورة التى وصّفتها نصوص العهد القديم والتى اقتبسنا بعضها فيما سبق . .

وما أن خرجت هذه الكلمة من فم أرمياء حتى أرسل الله صاعقة من السماء فالتهب مكان القربان من بيت المقدس وخسف بسبعة أبواب من أبوابه . .

فلما رأى ذلك أرمياء صاح وشق ثيابه . .

وقال : يامالك السموات والأرض أين ميعادك الذى وعدتنى ؟

فنودى : إنه لم يصبهم ما أصابهم إلا بفتياك ودعائك عليهم . .

فعلم حينئذ أن ذلك الرجل الذى جاءه فى المرات السابقة لم يكن سوى مَلَكٍ أرسله الله إليه . . فطار أرمياء هائما على وجهه فى البرارى والقفار حتى خالط الوحوش .

ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس . . ووطىء الشام ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم ، وخرب بيت المقدس .

ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه فى بيت المقدس . ففعلوا حتى امتلأ .

ثم أمرهم أن يجمعوا من كان فى بلدان بيت المقدس من بنى إسرائيل ، فاجتمع عنده كبيرهم وصغيرهم فاختار منهم سبعين ألف صبى فقسمهم بين الملوك والقواد وكبار الجند الذى كانوا معه . فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من هؤلاء دانيال وحنانيا . .

وقسم من بقى من بنى إسرائيل ثلاث فرق . فقتل ثلثا ، وسبا ثلثا ، وأقر بالشام ثلثا .

وكانت هذه هى الواقعة الأولى التى توعد الله فيها بنى إسرائيل بإهلاكهم . . وهى التى يعنيها الله ـ تعالى ـ بقوله :

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ﴾ (٥٣)

من هو بختنصر :

تحدث الرواة كثيرا فى شأن بختنصر واختلفوا فى أحاديثهم عنه .. قال بعضهم : إنه لم يكن من أبناء ملوك فارس الذين حكموا بابل ولكنه كان من أبناء السوقة الذين ساقت إليهم المقادير الملك ، لأن الله يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

---

(٥٣) فى تعليق على تفسير الكشاف جـ ٢ ص ٦٤٩ ـ سورة الاسراء

وقيل : إنه كان ضمن طليعة جيش وجهه ملك بابل إلى الشام لاكتشاف أحوالها قبل غزوها .. وكان لايؤبه له ، وليس من الفرسان أو أصحاب السيوف ، ولكنه كان من العاملين فى خدمة الجيش وعمال المطبخ إلا أنه استطاع أن يداخل الاسرائيليين ويعرف أخبارهم وأسرارهم أكثر من الذين عهد إليهم ذلك من الجنود ، فلما عادت الطليعة إلى بابل أخبر الملِك بما رآه فقدمه وأكرمه ، ومازال يُقَدَّم حتي ولى أمر الجيش الذى أعده ملك بابل لقتال بنى إسرائيل ..

وكلمة « بختنصر » مركب مزجي كحضرموت وبعلبك ، وتركيبه من « بخت » معرب بوخت بمعني ابن و « نصر » اسم صنم وجد عنده هذا الرجل لقيطا أول ولادته فنسب إليه إذ لم يعرف له أب ..

وهو بضم الباء وسكون الخاء وفتح التاء والنون ، والصاد المشددة . وذكر بعضهم أن بختنصر كان حفيد الملك « سنحاريب » الذى غزا بيت المقدس أولا ، ولكن الله هزمه باستجابة دعوة نبى من أنبياء بنى إسرائيل ، وكان من كتّابه أيضا (٥٤) .

وذكر المسعودى أنه كان مرزبان العراق والمغرب من قبل الملك « لهراسب » ملك الفرس (٥٥) .

وذكر انه تزوج من سبية من سبايا بنى إسرائيل اسمها « دينارد » وهى التي كانت سببا فيما بعد فى رد بنى إسرائيل إلى بيت المقدس .

---

(٥٤) مروج الذهب جـ ١ ص ١٧٢ والمرزبان هو الفارس الشجاع المقدم على القوم

(٥٥) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٦ ص ٣٧٧ .

ويذكر كاتب مادة (بختنصر) دائرة المعارب المعارف الاسلامية أن هذا العَلَم مختلط بين شخصين أحدهما (نابونصر) شُلاحةشسسشف وهو ملك الكلدانيين الذى ولى عرش بابل من عام ٧٤٤ إلى عام ٧٣٣ قبل الميلاد وبين (بنوشادنزر) قُلاهلأاشةقخششف الذى ولى عرش بابل عام ٦٠٥ الى عام ٥٦٢ قبل الميلاد وهو الذى نشبت بينه وبين فرعون مصر « أمازيس » عدة حروب ، وهذا هو الذى فتح بيت المقدس فعلا أما إغارته على مصر والمغرب فكانت لتتبعه الاسرائيليين الذين هربوا من بيت المقدس ..

تعمير البيت

قال ابن جرير الطبرى : إن ملك بابل بعد زمن بختنصر وكان اسمه (كيرش) دخل دير اليهود وفهم عن دانيال النبى ومن كان معه من أنبياء بنى إسرائيل وحكامهم ، فسألوه أن يأذن لهم فى الخروج إلى بيت المقدس ، فضن بهم على ذلك ، وأبى أن يفارقوه ، وولَّى دانيال القضاء وجعل إليه جميع أمره ، فتمكن دانيال من أن يرد بيت المقدس ، وأن يشرع فى بنائه من جديد ، فبناه وعمره [٥٦] .

وذكر ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية أنه بعد هلاك بختنصر ومن بعده جاء ملك اسمه (جستاسب بن لهراسب) فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت فى أرض فلسطين ، فلم يبق بها من الانس أحد ، فنادى فى أرض بابل فى بنى إسرائيل أن من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع ، وملك عليهم

---

(٥٦) تاريخ الأمم والملوك للطبرى جـ ١ ص ٢٨٤

رجلاً من آل داود ،وأمره أن يعمر بيت القمدس ويبنى مسجدها ، فرجعوا فعمروها . .

وكان أرميا النبى قد أوحى الله إليه أن يعود إلى بيت المقدس لأنه سيعمره ، ـ وكان أرميا بعد خراب البيت قد هام على وجهه كما ذكرنا . .

وفى أثناء عودته نظر متعجبا إلى المدينة الخراب وقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه » .

فلما بعث وفتح عينيه نظر فاذا بالمدينة التى كانت بالأمس خرابا قد أصبحت عامرة ، وعاد بيت المقدس مبنيا كما كان . . (٥٧) .

فقال : أعلم أن الله على كل شيء قدير . ولكن هناك رأى آخر يقول إن هذا النبى الذى نام مائة عام لم يكن أرميا ولكنه عزير . وستأتى قصته إن شاء الله ـ تعالى ـ .

التخريب الثانى

٤١آ يقول أكثر الرواة إن تخريب بختنصر لبيت المقدس كان هو التخريب الأول . الذى أشار إليه الحق بقوله

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ (٥) (٥٨)

وعاد بنو إسرائيل ، ووعوا الدرس جيدا ، ولكنه كان وعيا مؤقتا على أى حال . .

---

(٥٧) البداية والنهاية جـ ٢ ص ٤٢
(٥٨) سورة الإسراء آية ٥

وعاد بنو إسرائيل إلى بيت المقدس مرة أخرى ، ولكنهم لم يستمروا طويلا على الاستقامة . . ذلك أنهم أفسدوا فعاقبهم الله بأن سلط عليهم من انتقم منهم انتقاما شديدا .

فقد قتلوا نبى الله يحيى ـ عليه السلام ـ .

قال القرطبى : فسلط الله عليهم ملك بابل (حردوس) الذى دخل بيت المقدس فوجد فيه دماء تغلى ، فسأل عن ذلك ، فقيل له : إن هذا دم نبى من أنبياء الله قتل ظلما . . فمازال يقتل عليه منهم حتى هدأ الدم . . ويقال إن هذا الملك آمن بالله .

ويقول بعض الرواة : إن الذى زحف على بيت المقدس هو الاسكندرية الأكبر الذى استولى على كثير من الأمم .

وربما فهم ذلك من كلام د . سعاد ماهر ، وهى تقول : وزحف إليها الاسكندرية المقدونى سنة ٣٢٢ ق . م وتعرضت المدينة لغارات أخرى بعد ذلك . فقد حكمها البطالمة والسلوقيون . .

وحكمها الرومان الذين ولد فى عهدهم المسيح ـ عليه السلام ـ وفى ظل الرومان تعرضت القدس لتخريب شديدأزال كَل الآثار اليهودية بها .

فقد أحرق الرومان هيكلها وهدموا منازلها ، وأسروا من أهلها خلقا كثيرا .

وعندما جاء الأمبراطور « دريانوس » سنة ١٣٥ م إلى القدس لاخماد ثورة يهودية بها أزال كل ماكان باقيا من معالم اليهود والمسيحيين على السواء ثم أعاد بناء المدينة على نمط وثنى وأطلق عليها اسم (إيلياكابتولينا) وأنشأ هيكلين وثنيين نصب فوقهما تماثيل المشترى

والزهرة . ومنذ ذلك التاريخ لم يعد لليهود فى القدس اسم ولاأثر يذكر (٥٧) .

ولكن هناك من يقول : إن ذلك التخريب الثانى كان على يد قيصر الروم . .

وقد أشار الى ذلك القرطبى فى كتابه (التذكرة) حيث ذكر فى ذلك حديثا أسنده إلى حذيفة يتحدث فيه عن علامات الساعة ، ومن بينها استرداد بيت المقدس وعودته إلى حوزة الاسلام . جاء فيه : ـ فلما رجعت بنو إسرائيل إلى بيت المقدس عادوا الى المعاصى ، فسلط الله عليهم ملك الروم قيصر ، وهو قوله

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧﴾ (٥٩)

فغزاهم فى البر والبحر ، فسباهم وقتلهم وأخذ أموالهم ونساءهم ، وأخذ حلى جميع بيت المقدس ، واحتمله معه حتى أودعه فى كنيسة الذهب ، فهو فيها الآن ، حتى يأخذه المهدى فيرده إلى بيت المقدس.

ومؤدى ماقاله العلماء وأشارت به الأخبار أن المرتين اللتين ذكرتهما الآيات فى تخريب بيت المقدس قد حدثتا . .

إلا أن بعض العلماء ذكر فهماً آخر فى موعد التخريب الثانى . ورأى أنه لم يأت بعد . . وأنه آت لامحالة ، لتصديق الآية الكريمة . . ولمجيئه دلائل وعلامات تفهم من سياق الآيات . .

---

(٥٩) سورة الإسراء آية ٧

هذه الدلائل تظهر فى العلو الذى يصل إليه بنو إسرائيل . . وقد بلغ الاسرائيليون فى أيامهم الأخيرة من أمارات العلو والتقدم مايعلمه القاصى والدانى ، وقد زين لهم غرورهم الآن أنهم ارباب العلوم والصناعات والفكر والفن وقد أطلقوا على أنفسهم أنهم الجيش الذى لايقهر . . وقد أحاطوا أنفسهم بسياج من القوة والمنعة والاستعداد الفكرى المتطور ماحسبوا أنهم ارتفعوا به فوق هام البشر . .

وهم مع هذا التقدم العلمى والاقتصادى والعسكرى والفنى لم يرعوا لله حرمة ، ولم يحفظوا للانسانية عهدا ، ولم يذكروا لأحد إلاّ ولاذمة . .

وقد بسطوا سلطانهم فوق بيت المقدس معطلين فيه شريعة الله . .

وجمعوا أنفسهم من كل مكان فى أرض الميعاد التى حادوا عنها قديما وعصوا رسل ربهم فى الدخول إليها فحرمها الله عليهم فترة من الزمن .

ولذلك فقد آن الآوان لوعد الآخرة . . الذى اشارت إليه سورة الاسراء فى آخرها

﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ (٦٠)

فالعلو والتجمع والبغى والفساد ونسيان العهود أمارات ظاهرة وأسباب قوية لأن يبطش الله بهم جزاء بغيهم ومكرهم ولن يحيق المكر السيىء إلا بأهله ، وعلى الباغى تدور الدوائر ، وقد خاب من افترى . .

كيف استولى الاسرائيليون على بيت المقدس ؟

يجب أن نعرف كما يقول العلامة أبوالأعلى المودودى (٦١) : تاريخ فلسطين والقدس .

---

(٦٠) سورة الإسراء

(٦١) من مقال بمجلة الأزهر رمضان ١٣٩٧ هـ.

إن الاسرائيليون دخلوا هذه المناطق حوالى سنة ١٣٠٠ ق . م ، بعد كفاح دام قرنين كاملين ، وهم لم يكونوا أبناء هذه الأرض الأصليين بل كان أبناؤها الأصليون تلك القبائل والشعوب التى ورد ذكرها فى التوراة ، ومن نصوص التوراة نفسها يظهر أن بنى إسرائيل سيطروا على أرض فلسطين بعد قتل هؤلاء القبائل والشعوب بنفس الطريقة التى احتل الافرنج بها بلاد أمريكا بعد أبادة الهنود الحمر . والحجة التى تذرعوا بها هى أن الرب أورثهم هذه الأرض ، فمن حقهم أن يطردوا أهلها الأصليين ، بل أن يبيدوهم عن بكرة أبيهم اذا اقتضى الأمر . .

ولم يدم سلطان بنى إسرائيل فى فلسطين ، فقد غلب الآشوريون على شمال فلسطين فى القرن الثامن قبل الميلاد ، وأبادوا الاسرائيليين بأسرهم ومزقوهم كل ممزق ، وأسكنوا مكانهم القبائل التى كانت معظمها عربية الأصل .

كما غلب ملك بابل بختنصر على جنوب فلسطين فى القرن السادس قبل الميلاد ، وأجلى اليهود ودمر القدس وهدم هيكل سليمان ، ولم يبق منه حجر على حجر .

وقد أتيحت لليهود مرة أخرى فرصة دخول جنوب فلسطين واتخاذه مقرا لهم فى عصر الحكم الفارسى بعد أن عاشوا مدة طويلة منفيين ، فأعادوا الهيكل من جديد فى أورشليم . بيد أن هذه المرة أيضا لم تدم أكثر من ثلاثة أو أربعة قرون ، لأنهم ثاروا على الامبراطورية فى عام ٧٠ الميلادى ، فكان من جراء ذلك أن دمر الهيكل وأورشليم مرة ثانية ، وقضى الرومان على ثوراتهم الأخرى سنة ١٣٥ م وأبعدوا اليهود نهائيا عن جميع أنحاء فلسطين ، وشتتوا شملهم . وفى هذا الجلاء الثانى سكنت فى جنوب فلسطين بعض القبائل العربية ، كما أن العرب كانوا قد سكنوا شمال فلسطين قبل ذلك بثمانية قرون . .

وحينما دخل الإسلام هذه الأرض كانت جميع أنحائها مأهولة بشعوب عربية ، لأن الرومان كانوا قد منعوا اليهود من دخول القدس ، وكان اسمها (إيليا) بموجب القانون ، حتى كادت السلالات اليهودية فى فلسطين تنعدم .

ومن هذه التفاصيل التاريخية يتضح مايأتى :

- إن اليهود دخلوا أرض فلسطين بعد حروب مع الشعوب الأصلية التى كانت فى تلك الأرض .

- ولم يسكنوا فى شمال فلسطين أكثر من أربعة أو خمسة قرون .
- لم تدم إقامتهم فى جنوب فلسطين أكثر من ثمانية أو تسعة قرون .
- الشعوب العربية كانت تسكن شمال فلسطين منذ أكثر من ألفين وخمسين عاما ، وفى جنوب فلسطين من نحو ألفى عام .

- من الثابت تاريخيا أن هيكل سليمان كان قد دمر نهائيا سنة ٧٠ م .

وحينما فتح المسلمون القدس لم يكن فى هذا المكان أى معبد ، بل كانت المنطقة عبارة عن قمامة وانقاض . ولذلك فإن أى يهودى لايستطيع أن يتهم المسلمين بأنهم أقاموا المسجد الأقصى وقبة الصخرة بعد هدمهم أى معبد لهم .

- ومن الثابت أيضا أن فلسطين أخليت من اليهود فى عهد الرومان الذين حرموا عليهم دخولها ، وأن المسلمين الذين سمحوا لهم بالدخول والاقامة فيها بعد ذلك ، ويشهد التاريخ بأن اليهود لم يقرّ لهم قرار فى أى مكان فى العالم إلا فى ظل الاسلام وفى وطن الاسلام . .

وقد أطمعهم هذا التسامح الاسلامى فى الاستيلاء نهائيا على فلسطين . .

واستطاعوا أن يوظفوا السياسات الاستعمارية لصالحهم ، حتى ظفروا بوعد بلفور المشئوم ، وعلى أساسه تمكنوا بالغدر والحيلة والارهاب من إعلان دولتهم عام ١٩٤٨ . .

ومازالوا يكيدون للعرب أصحاب البلاد ، ويمدهم الاستعمار بعونه المادى والعسكرى حتى استولوا على الضفة الغربية ، والقدس . .

ثم أحرقوا المسجد الأقصى فى آب ١٩٦٩م . .

حريق المسجد بأيدى بنى اسرائيل

حين استولى اليهود على القدس فى أيامهم الأخيرة ، أرادوا أن يعيدوا هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى . . وأرادوا أن يلتمسوا لذلك الأعذار . أمام الرأى العام ، فدبروا مؤامرة حرق المسجد الأقصى ، ليجدوا من وراء ذلك مبررا لهدمه واعادته من جديد ويحققون مايريدون . . ولكن هذه الحيلة لم تقنع أحداً ، وتنبه لها الناس جميعا على اختلاف عقائدهم فى مشارق الأرض ومغاربها وأعلنت إسرائيل عقب قيامها بهذا الفعل الشائن أن الحريق نشب بسبب وقوع خلل فى الاسلاك الكهربية فجأة . .

ولكنهم تنبهوا إلى أن هذه الأكذوبة لن ينخدع بها أحد ، اذ كيف تلتهب النار بهذه الصورة الضارية لمجرد وجود نقص فى الأسلاك الكهربية ؟ .

فاختلقوا بكل وقاحة أكذوبة أعظم ، وهى أن المسلمين أنفسهم هم الذين أشعلوا النار فى مسجدهم ولكنهم أدركوا على الفور أن هذا الافتراء لن يصدقه أحد ، فقبضوا على شاب استرالى ليقنعوا الدنيا بأن هذا المعتوه هو الذى ارتكب هذه الجريمة فى حالة من الجنون وفقدان الوعى . .

إن شغل اسرائيل الشاغل الآن هو إعادة هيكل سليمان . . ولكن هذا الهيكل لن يقام إلا إذا هدم المسجد الأقصى . . وهم من أجل ذلك احتفظوا بما يطلقون عليه حائط المبكى . وهو بقية من جدار متداع يزعمون أنه متبق من هيكل سليمان ، ويظلون ينوحون حوله صباح مساء .

وهم من أجل ذلك أيضا مازالوا يتلون طقوسهم الدينية أربع مرات فى الأسبوع لاستعادة الهيكل ، ويشاهدون تمثيلية تذكرهم كيف خرجوا من مصر وسكنوا فلسطين وكيف أبعدهم أهل بابل من فلسطين فتفرقوا أيدى سبأ . .

ومازالت إعلاناتهم المتكررة تناديهم وتلح عليهم فى اعتبار كل فرد منهم مسئولا ومدعوا إلى بناء هيكل سليمان . .

لقد ظلموا سليمان ـ عليه السلام ـ وليس إحياء ذكرى سليمان فى إقامة هيكله . بل فى تنفيذ تعاليمه ومبادئه ورسالته السماوية التى جاء بها من عند الله

تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم العدل والمحبة بين الناس . .

بيت المقدس فى ظل الإسلام

كان الرومان مازالوا مسيطرين على بيت المقدس حين جاء الاسلام ، وحين تولى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ الخلافة فتحت الشام وتم فتح بيت المقدس وكان أهلها قد تحصنوا بها فحاصرهم المسلمون أربعة اشهر ، ثم طلبوا الصلح . فرضى قائد المسلمين وأرسل إلى الخليفة عمر فجاء ، وأبرم بنفسه الصلح مع أهلها احتراما لهذا المكان المقدس وكان ذلك فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة النبوية الشريفة وكتب معهم عهدا مشهورا جاء فيه :

هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان .

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم ، انه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم ولاينتقص منها ولا من حيِّزها ولا من صلبانها ولامن شىء من أمْوالهم ، ولايكرهون على دينهم ولايضار أحد منهم ، ولايسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . . إلى آخر العهد الذى يطلق عليه العهدة العمرية . .

وقد وقَّع على هذا العهد مع أمير المؤمنين عمر ـ رضى الله عنه ـ خالدُ بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبدُالرحمن بن عوف ، ومعاويةُ بن أبى سفيان .

وكان هذا العهد أمانا لأهل بيت المقدس ، الذين رأوا فى ظلاله حياة الأمن ، ولمسوا على اختلاف دياناتهم سماحة الإسلام . .

ومنذ ذلك التاريخ ، وأهل بيت المقدس يعيشون مع المسلمين حياة أخوة وتسامح ودعة واستقرار . .

الحروب الصليبية

ثم نشبت الحروب الصليبية التى تركت آثارها السيئة فى المنطقة واستولى الصليبيون على بيت المقدس . وارتكبوا فظائع شديدة فى حق المسلمين . .

وفى الواقع لم يفرق الصليبيون فى اعتدائهم بين مسلم ومسيحى ، لقد كان هدفهم الإستيلاء على الموقع فحسب ، ولكن المسلمين والمسيحيين الذين كانوا يعيشون فى القدس أبلوا بلاء حسنا فى الدفاع عن بيت المقدس ، وسالت دماؤهم

غزيزة تسجل همجية الصليبيين ووحشيتهم وعدم مراعاتهم لعهد أو مروءة أو إنسانية .

ثم استرد القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس من الصليبيين ، فكان آية في التسامح والمروءة وحسن الخلق ، وبهذا عاد الحرم الثالث إلى أهله الذين يعبدون في ظله الإله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

وأشهد العالم أجمع على الفرق الهائل بين ديانة التوحيد وأخلاق أهلها وبين هؤلاء الذين يزعمون زورا وكذبا أنهم جنود المسيح . .

لقد تحركت جيوش صلاح الدين الإسلامية في طريقها إلى بيت المقدس في رجب ٥٨٣ ولم يلبث أن افتتحها في يوم الجمعة السابع والعشرين منه ، وهو يوم يوافق ذكرى الإسراء والمعراج ـ فكان ذلك فألا حسنا يذكر بالفخر والثناء . وقد سجل الشعراء هذا الحدث العظيم بأقلامهم . فمن ذلك قول حسن الجويني :

جند السماء لهذا الملك أعوان   من شك فيه فهذا الفتح برهان
هذي الفتوح فتوح الأنبياء وما   لها سوى الشكر بالأفعال أثمان
تسعون عاما بلاد الله تصرخ   والإسلام أنصاره صم وعميان
للناصر ادخرت هذي الفتوح وما   سمت لها همم الأملاك مذ كانوا
لو أن ذا الفتح في عصر النبي لقد   تنزلت فيه آيات وقرآن

المؤامرة البريطانية

وفي القرن الحالي دبرت بريطانيا مؤامرتها المشهورة حيث سلمت فلسطين لليهود وأعطتهم وعد بلفور المشهور الذي بمقتضاه يكون لهم الحق في إقامة وطن قومي في بلاد ليست لهم ، وصدقت الكلمة المشهورة التي قالها أحد الزعماء العرب يوما : لقد أعطى من لايملك وعداً لمن لايستحق . .

ومنذ ذلك التاريخ مازال النزاع قائما بين العرب وبين الجماعات اليهودية الوافدة من كل مكان حول القدس الشريف .

الوجود الإسرائيلي في القدس لاحق لهم فيه

ولكي تتضح الصورة تماما يمكن وضع الحقائق الآتية أمام الأنظار . .

كان اليبوسيون ـ وهم قبائل عربية نشأوا فى الجزيرة العربية ـ أول من هاجروا إلى الأرض المقدسة فأقاموا فيها ، وأنشأوا مدينة القدس وسموها « يبوس » كان ذلك قبل الميلاد بثلاثين قرنا . .

ـ جاء بعدهم الكنعانيون وهم عرب أيضا ـ وهم الذين كانوا يقيمون فيها حين طلب موسى ـ عليه السلام ـ من قومه أن يدخلوها ، فأبوا فكتب الله عليهم التيه .

ـ دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة مع يوشع بن نون ، ولم يقيموا فيها طويلا . ولكنهم خرجوا منها ، وغلبهم العمالقة أصحاب البلاد الأصليين عليها ، وتفرق الاسرائيليون فى البلاد .

ـ جاء داود ـ عليه السلام ـ بعد ذلك بقرون مديدة فقتل جالوت الملك العملاقى ، وكون ملكا لبنى اسرائيل وورثه من بعده ابنه سليمان وتولى الملك بعده ابنه « رحبعام » فقاتله أخوه « بريعام » فانقسمت المملكة قسمين : يهوذا وعاصمتها القدس وإسرائيل وعاصمتها نابلس .

وأصبح يطلق على القدس « أورشليم » .

ـ ومحيت إسرائيل واندمجت فى دولة الأشوريين . أما مملكة يهوذا فقد محاها بختنصر ملك بابل سنة ٥٨٥ ق . م .

ـ منذ ذلك التاريخ لم يعد لبنى إسرائيل ملك ، فقد احتل أرضهم الفرس ، ثم البطالمة من حلفاء الإسكندر الأكبر ثم الرومان ، الذين احتلوها سنة ٧٠ م . وأحرقوا هيكل سليمان ، ومحوا كل أثر لليهود وظلوا بها حتى سنة ٦٣٦ م حين فتحها العرب وأقاموا بها دولة إسلامية زاهرة . .

ـ لو قيست فترة وجود بنى إسرائيل فى القدس لوجدت فترة قصيرة جدا بالنسبة للوجود العربى الضارب فى أعماق التاريخ ، فأين هذا العهد القصير المزيل الذى عاشته القدس فى ظل بنى اسرائيل ، أمام العهد الطويل الذى عاشت فيه القدس فى ظل العرب قبل الميلاد وبعده ؟ .

ـ شهدت القدس فى ظل العرب الأوائل قبل الميلاد ـ وكان اسمها (يبوس) ـ فترة

حضارة وتقدم فى الصناعة والتجارة ، حتى اقتبس العبرانيون منهم تلك الحضارة ، ومن بينها الثياب المنسوجة من الصوف وقد كان العبرانيون يلبسون الجلود .

إن الوجود الاسرائيلى الآن فى القدس لامبرر له فى منطق الأعراف الدولية ، ولو صح ماتذرعوا به من أن أجدادهم ملكوا هذه المناطق يوما لأصبح للعرب حق فى أسبانيا وللهنود الحمر حق فى أمريكا ..

ولكنه منطق القوة الغاشمة التى داست بأقدامها كل المقدسات وانتهكت كافة الحرمات وضربت بكل القرارات الدولية عرض الحائط ، ونظرت إلى كل دول العالم نظرة احتقار واستهتار ..

ولكن ذلك كله إلى حين .. وعلى الباغى تدور الدوائر ..

التجديدات الإسلامية فى القدس

حين فتح المسلمون بيت المقدس . لم يكن للمسجد أثر ..

ذلك أن الرومان كانوا قد طمسوا معالم كل شىء ، وأقاموا بالقدس كنائس تعلو فوقها الصلبان ، وتدق فيها النواقيس .

كما أنه لم يكن لليهود وجود فقد كان يحرم عليهم دخولها بنص القانون ..

وقد سار البطريق « صفرنيوس » مع الخليفة عمر بن الخطاب يريه معالم المدينة وآثارها ..

فأراه محراب داود وصخرة يعقوب ، وهى الصخرة التى صلى بجوارها النبى - صلى الله عليه وسلم - فى ليلة الاسراء والمعراج ، وإليها شد جبريل - عليه السلام البراق .. ومنها عرج إلى السماء ..

وظل عمر يتفقد آثار مدينة القدس وبرفقته « صفرنيوس » حتى وصلا إلى كنيسة القيامة .. التى انشأتها الملكة هيلانة أم الأمبراطور قسطنطين عندما زارت القدس سنة ٢٣٥ م .

وعندما حان وقت الصلاة طلب البطريق إلى أمير المؤمنين عمر أن يصلى بها ، ولكنه اعتذر ، لأنه إن فعل ذلك تبعه المسلمون على تعاقب القرون ، إذ يرون

عمله سنة مستحبة ، ثم لايلبثون أن يحولوها إلى مسجد ويقولون : هنا صلى عمر .

وكذلك اعتذر للسبب نفسه عن الصلاة فى كنيسة « قسطنطين » المجاورة لكنيسة القيامة ، وكانوا قد مدوا له عند بابها بساطا يصلى عليه . ولكنه صلى فى مكان قريب من الصخرة المقدسة المباركة عندنا معشر المسلمين ، لأنها موضع الإسراء والمعراج للنبى ـ صلى الله عليه وسلم .

وبلغ من احترام عمر لهذا المكان المقدس أنه وجد به كناسة كان الروم يلقونها فوقه ، فقال لأصحابه : اصنعوا كما أصنع ، ثم جثا فى أصلها ، وجعل يحمل ماعليها بنفسه فيلقيه بعيدا عنها وصنع أصحابه صنيعه ، ومازالوا بالصخرة حتى زال كل ماعليها .

وتعهدها المسلمون بالتنظيف والتطهير والرعاية طيلة حكمهم .

انظروا : هذا هو فعل المسلمين بالأماكن المقدسة ، يحترمونها ولولم يوجد فيها مشهد يدل على تقديسها ويحاولون صيانتها من العبث والافساد ، ولايأنفون من تطهيرها بأنفسهم وبواسطة خلفائهم . .

هذا عمر ـ رضي الله عنه ـ وهو صاحب الكلمة النافذة على سلاطين الأرض وملوكها ، لم يأنف أن يجمع القمامة الملقاة حول الصخرة المقدسة فى ثوبه ، ويحملها بيده . . حتى طهر المكان مما كان فيه . .

أما غيرهم الذين أعمى الكفر قلوبهم ، فيعمدون إلى المساجد العامرة والمشاهد القائمة فيخربونها ويحرقونها ويهدمونها .

إنه نور الإيمان الذى يقذفه الله فى القلوب التقية فتعظم شعائر الله . وصدق الله اذ يقول ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٦١)

وتولى الخلافة عبدالملك بن مروان فأنشأ المسجدين المعروفين بالمسجد الأقصى

---

(٦١) الحج ٣٢

ومسجد الصخرة ويعني ذلك أنه لم يكن فى ذلك المكان حين أسرى بالرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بناء معروف بالمسجد الأقصى . وانما سُمّى فى الآية الكريمة

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ۝١ ﴾

بالمسجد لأنه مكان للعبادة والسجود لله [٦٢] .

وتعتبر قبة الصخرة درة الفن المعمارى الأموى وأبدع آثاره ..

أنشئت على الطراز الذى أنشيء عليه الجامع الأموى فى دمشق . والذى شيده أيضا عبدالملك بن مروان .

ويقع المسجد الأقصى فى الجهة الجنوبية من رقعة الحرم الشريف ويقوم على ثلاثة وخمسين عمودا من الرخام وتسع وأربعين دعامة مربعة الشكل ..

وكانت أبوابه فى العصر العباسى مغلفة بصفائح الذهب والفضة ، ولكن الخليفة أباجعفر المنصور أمر بقلعها ، وسكها دنانير تصرف على المسجد الأقصى ، لأنه خشى على بيوت الله من الزخرف الزائد .

وفى القرن الحادى عشر الميلادى عبثت أيدى الصليبيين بالحرم الشريف ، فجعلوا قسما منه كنيسة ، واتخذوا القسم الآخر مسكنا لفرسان الهيكل ومستودعا لذخائرهم ولكن سرعان ما أمر صلاح الدين بترميم وتجديد ماتخرب منه . فجدد محرابه ، وكسا قبته ـ التى أحرقت بيد الصهاينة مؤخرا ـ بالفسيفساء وأحضر له منبر الإمام الحسين ـ رضى الله عنه ـ من عسقلان ، ويعتبر هذا المنبر تحفة فنية رائعة . فهو مصنوع من الخشب الساج المندى ، ومطعم بخشب الأبانوس والصدف والعاج ومزخرف بطريقة الحشوات المجمعة ..

وتوالت يد التجديد والترميم على المسجد الأقصى منذ ذلك التاريخ فزينت جوانبه ، وفرشت أرضه بالطنافس والبسط الرائعة التى كانت ماتزال موجودة حتى

أحرق الصهاينة المسجد عام ١٩٦٩م .

وفى سنة ١٩٢٧ م طرأ على المسجد خلل فهبت الشعوب الإسلامية وساهمت فى جمع مبلغ مائة ألف دينار عمر بها المسجد .

وفى سنة ١٩٣٦ م تصدعت أروقته اثر زلزال فقامت وزارة الأوقاف المصرية بتعميره وإعادة بناء الجانب الشرقى منه .

آثار فى داخل المسجد

يوجد فى داخل المسجد الأقصى جامع مستطيل يطلق عليه جامع عمر . وإيوان كبير يسمونه مقام عزير وإيوان آخر صغير به محراب وبه زخارف فنية رائعة يطلق عليه محراب زكريا .

وأمام المسجد الأقصى من جهته الشمالية إيوان كبير من سبع مقاصير أنشأه الملك عيسى الأيوبى سنة ١٢١٧ م .

وهذه المبانى الملحقة بالمسجد أو الموجودة بداخله تمثل فترات تاريخية منذ وضع حجر الزاوية فيه الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه .

وصف المسجد

يتكون المسجد من مستطيل طوله ثمانون متراً وعرضه خمسة وخمسون متراً .

ويضم خمسة عشر رواقا ويقسم المسجد قسمين متساويين .

ورواق المجاز أكثر اتساعا من الأروقة الجانبية ، كما أن سقفه يعلو السقوف الجانبية أيضا . .

وسقف المسجد مغطى بخشب على هيئة (الجملون) وشكل جملون المجاز العريض مع سقوف الأروقة الجانبية يكون شكلا يشبه الطائر الى حد كبير ، جسمه المجاز الأوسط ، وأجنحته الأروقة الجانبية ، ورأسه القبة التى ينتهى بها المجاز والتى تعلو المحراب .

وفى حرم بيت المقدس توجد قبة الصخرة إلى جوار المسجد الأقصى . .

ونخصها بحديث لأهميتها الروحية فى حياة المسلمين (٦٣) .

قبة الصخرة

يعظم المسلمون قبة الصخرة فمن هذه الصخرة المقدسة كان معراج النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى الملأ الأعلى ، ودنا من ربه مقاما لم يبلغه بشر ولا وصل إليه ملك مقرب ولانبى كريم .

وقد أنشأ القبة عبدالملك بن مروان ٧٢/٧٣ هـ التى توافق ٦٩١/٦٩٢ م .

تجديدات القبة

جددت القبة على يد الخليفة العباسى الظاهر سنة ٤١٣ هـ .

وعلى يد السلطان الناصر محمد سنة ١٣١٨ م .

ثم على يد العثمانيين سنة ١٥٥٣ م .

وقد قام بالتجديدات فنيون مسلمون من أشهرهم رجاء بن حياة الكندى ويزيد بن سلام ، وكلاهما من الشام .

وجدير بالذكر أن عبدالملك بن مروان أنفق خراج مصر لمدة سبع سنوات على إنشاء هذا المبنى .

وكان قد أمر بصنع نموذج للمبنى قبل إنشائه فصنع ، فلما رآه أعجب به فأمر بتنفيذه .

ومما يسجل بالثناء والتقدير لمصممى المبنى . أن الخليفة عبدالملك بن مروان كان قد أمر لهم بمائة ألف دينار وقيل عشرة آلاف دينار ، ولكنهم رفضوا قبول ذلك واعتبروا عملهم حسنة لوجه الله .

فرد عبدالملك المال على القبة ، فأمر بسبك الدنانير وزينت القبة والأبواب (٦٤) .

أحكام تتعلق بالمسجد الأقصى

روى مكحول عن أنس بن مالك قال : إن الجنة تحن شوقا إلى بيت المقدس ،

---

(٦٣) من مقال للدكتور سعاد ماهر- منبر الاسلام رجب ١٣٩٠ .

(٦٤) راجع مجلة الوعى الاسلامى عدد رجب ١٣٩٦ هـ العدد رقم ١٣٩ .

وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس، وهى صرة الأرض .

وروى أن أم الدرداء كانت تزور بيت المقدس من الشام ، وتنزل عند باب أريحا ، فقيل لها : لو تقدمت قالت : أحب أن أجعل المدينة أمامى .

ولما قدم الأوزاعى إلى بيت المقدس توضأ ، ثم جعل الصخرة وراء ظهره وصلى ثمانى ركعات ، وصلى الخمس صلوات . ثم قال : هكذا فعل عمر بن عبدالعزيز (٦٥) .

ومن الصحابة الذين دخلوا بيت المقدس أبوعبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وبلال بن رباح .

- ولم يؤذن بلال بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم . سوى مرة واحدة . أمره عمر بالأذان بعد فتح بيت المقدس .

وخالد بن الوليد ، وأبوذر الغفارى ، وأبوالدرداء ، وعبادة بن الصامت وهو أول من ولى قضاء فلسطين ، وقيل : دفن ببيت المقدس وقيل : دفن بالرملة . وكثير غيرهم .

وقد أفرد ابن سعد فى طبقاته ثبتا كاملا بأسماء الصحابة وتابعيهم ممن سكن بيت المقدس وقد ذكر الزركشى فى كتابه كثيرا من الأحكام التى تتعلق بالمسجد الأقصى نجملها فيما يلى :

- إن الصلاة مضاعفة فيه ، وقد وردت فى ذلك أحاديث مختلفة . فهناك أحاديث تجعل الصلاة فيه بخمسمائة ، وأحاديث تجعلها بألف صلاة ، وأحاديث تجعلها بخمسين ألف صلاة ، وأحاديث تجعلها بمائتين وخمسين صلاة . وأحاديث تجعل الصلاة فى بيت المقدس كفارة لصاحبها وعتقا له من النار .

- والمسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التى يُستحب شد الرحال إليها والحديث المشهور فى ذلك : « لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى » .

---

(٦٥) اعلام الساجد ص ٢٨٦ .

ـ ويستحب لزائر المسجد الأقصى أن يختم القرآن الكريم فيه ، شأنه فى ذلك شأن المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى فى المدينة المنورة ويستحب المجاورة فيه كما تستحب فى الحرمين الآخرين .

ـ ومايقال عن الصلاة فيه من مضاعفة الأجر ينسحب على بقية الطاعات فيه كالصوم والصدقة . .

كما يستحب الاحرام بالحج والعمرة منه . روت أم سلمة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومن أهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ماتقدم من ذنبه (٦٦) .

وروى عن كعب أنه كان يأتى من حمص للصلاة فيه ، فإذا كان منه على قدر ميل اشتغل بالذكر والتلاوة حتى يخرج منه على قدر ميل أيضا ويقول : السيئات تضاعف فيه كما تضاعف فيه الحسنات .

وكما حرمت مكة والمدينة على الدجال فقد حرم أيضا بيت المقدس عليه .

ـ وذكر أن الصخرة فى المسجد الأقصى كالحجر الأسعد (الأسود) فى المسجد الحرام .

ـ وقد ذكرنا أن جبريل ليلة أسرى بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرق الصخرة بيده فشد إليها البراق .

ـ وكما يكره استقبال القبلة واستدبارها بالبول والغائط يكره كذلك للمسجد الأقصى .

ـ وكما أكرم الله موتى مكة والمدينة بالنجاة من فتنة القبر وسؤال الملكين أكرم كذلك من يتوفى ببيت المقدس ويدفن فيه ، روى عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : من مات فى بيت المقدس كأنما مات فى السماء .

---

(٦٦) اخرجه البيهقى فى سننه ٥/٣٠٠

ـ والعلماء يحذرون من اليمين الفاجرة فى بيت المقدس كما يحذرون أيضا من ذلك فى مكة والمدينة .

ـ وبيت المقدس به طائفة ماتزال ظاهرة على الحق تجاهد فى سبيل الله .

فما زال المجاهدون يرفعون لواء الجهاد ضد سلطات الاحتلال الإسرائيلى فى هذه الأماكن المقدسة ، وعلى الرغم من كل الجبروت الذى يمارسه المحتل ، فإن الصمود الباسل يزداد قوة على الأيام ، ويشهد العالم أجمع قوة الحق وان ضعف المنادون به . . وضَعْفَ الباطل وان تدجج أصحابه بأقوى سلاح .

ـ وكما يستحب فى المدينة المنورة لزائرها أن يزور مشاهدها التى تذكر بجلال الماضى الإسلامى الرائع كشهداء أحد ، ومسجد قباء وغيرهما ، فإنه يستحب كذلك لزائر القدس أن يزور قبر إبراهيم ـ عليه السلام ـ وغيره من المشاهد .

المسجد الأقصى الآن

المسجد الأقصى الآن فى قبضة اليهود . وهو قائم فى مدينة القدس التى يحاولون أن يجعلوها عاصمة لدولتهم .

ولو تم ذلك لأصبح فى إمكانهم أن يهدموا هذا المسجد ليعيدوا ماهو مرسوم فى خيالاتهم من هيكل سليمان .

وان هذه المدينة التى شرفها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بزيارته فى ليلة الاسراء ، وصلى فيها بالأنبياء تنادى المسلمين فى جميع أنحاء العالم أن ينقذوها مما هى فيه من أسر ويحولوا بينها وبين مايضمره العدو الاسرائيلى لها من غدر . .

ولن يكون ذلك إلا إذا اتحدت كلمتهم وقويت إرادتهم واستمسكوا بدينهم واعتصموا بالله فى كفاحهم ومن يعتصم بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى .
ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجن

في القرآن الكريم

- المفهوم اللغوي لكلمة الجن.
- الجن في القرآن ...
- أصل الجن ...
- أنواع الجن ...
- الفرق بين الجن والشياطين.
- إبليس إمام الشياطين.
- بم يقهر المؤمن الشياطين.
- الإيمان بوجود الجن.
- بعثة النبي إلى الجن.
- نزول سورة الجن.
- هل يرى أحد الجن؟
- التزاوج بين الجن والإنس.
- استهواء الجن للإنس.
- العمار ...
- القرين ...
- الإستعانة بالجن ...
- تبشير الجن بالنبي ...
- الجن وإستراق السمع ...
- الجن وعلم الغيب ...
- من عادة الجن الكذب ...
- النبي يقهر الشيطان ...


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجـــن

قال :

﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[٦٧] .

وقال ـ تعالى :

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[٦٨] .

تشير هذه الآيات الكريمة إلى ما آتاه الله سليمان من قدرة على تسخير الجن . وإن هذا من آيات الملك الذى لاينبغى لأحد من بعده .

وقد استدعت هذه المعجزة الخارقة التى أيّد الله بها نبيه سليمان ـ عليه السلام ـ الحديث عن الجن . .

المفهوم اللغوى لكلمة الجن

الجن . مأخوذة من جن الشىء يجنه جنا إذا ستره ، وكل شىء ستر عنك فقد جن عنك وجن عليه الليل أى ستره بظلامه .

واستجن فلان إذا استتر بشىء ، وجن الميت إذا ستره .

والجنين الطفل فى بطن أمه لأنه مستور عن الرؤية .

والجنان هو القلب الذى يستتر فلا يراه أحد .

---

(٦٧) النمل ١٧

(٦٨) سبأ ١٢ ، ١٣

والمِجن هو الترس أو الدرع الذى يستر الجسم ويقيه الطعن .

والجُنّةُ أيضا السلاح الذى يسترك وهو السترة أيضا التى تستر جسمك . .

والجنون ستر العقل ، وقد جن أى ذهب عقله واختفى .

فالمادة متقلبة بين معانى الستر والإختفاء .

ومنها كلمة (الجن) الذى هو نوع من العوالم ، سموا بذلك لاجتنانهم واختفائهم عن الأبصار (٦٩) .

فالمعنى الاصطلاحى لكلمة الجن يهدى إليه المفهوم اللغوى .

قال القزوينى : زعموا أن الجن حيوان نارى من شأنه أن يتشكل بأشكال مختلفة . . (٧٠) .

وقال الدميرى : الجن أجسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة لها عقول وأفهام وقدرة على الأعمال الشاقة ، وهم خلاف الانس ، الواحد جنى . . (٧١) .

أما قوله لها عقول فيشهد له أن النبى صلى الله عليه وسلم قد أبلغهم رسالة ربه وأن بعضهم قد آمن به ، قال ـ تعالى ـ

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾(٧٢) .

---

(٦٩) لسان العرب حـ ١ ص ٧٠١ .
(٧٠) عجائب المخلوقات للقزوينى ص ٢٥٥ .
(٧١) حياة الحيوان حـ ١ ص ٣٤٤ .
(٧٢) الاحقاف ٢٩ : ٣٢ .

ويطلق الدميرى على نوع من الحيات اسم الجان .

فيقول : ان الجان حية بيضاء ، وقيل الحية الصغيرة قال الله ـ تعالى :

﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴿٣١﴾ ﴾[73] .

الجن فى القرآن

وقد وردت كلمة الجن فى القرآن الكريم اثنتين وعشرين مرة ، ووردت كلمة الجان فى سبعة مواضع أما كلمة « عفريت » فلم ترد سوى مرة واحدة فى قوله تعالى ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[74]

كما نزلت سورة كاملة باسم الجن .

أما كلمة شيطان وشياطين فقد وردت فى ثمانية وثمانين موضعا . .

معنى العفريت

والعفريت هو القوى المارد من الشياطين ، والتاء فيه زائدة ، فقد يقال فيه (عفرى) بدون تاء .

وتطلق الكلمة على سبيل المجاز على الرجل الخبيث المداهن وقد تتبع بكلمة تؤكدها فيقال : عفريت نفريت ، كما يقال شيطان ليطان .

وفى الحديث : « إن الله يبغض العفرية النفرية » .

ويجمع عفريت على عفاريت . كما يجمع على عفار بدون تاء كما تقول : طواغ فى طاغوت ، وقد تعوض عنها الياء فتقول عفارى .

أصل الجن

روى بعض العلماء عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن الله ـ تعالى ـ حين خلق الأرض وأرسى فيها الأنهار وأنبت الأشجار ، لم يكن هناك من ينتفع بما فى ذلك من خير ، فكانت الثمار تجف وتقع على الأرض ويتولد العشب ويركب

---

(٧٣) القصص ٣١

(٧٤) النمل (٣٩) .

بعضه بعضا ، فشكت الأرض إلى ربها ، فخلق فيها أمما كثيرة على صور مختلفة ، يقال لهم الجن ، فانتشروا كالذر حتى امتلأ منهم السهل والوعر ، فأقاموا على وجه الأرض ماشاء الله من الزمان ، ولما ضاقت بهم الأرض وبغوا وفسدوا وأفسدوا أرسل الله عليهم ريحا عاصفة فأهلكتهم ولم يبق منهم إلا القليل ..

وهؤلاء القليل هم أول من ابتدع عمارة البيوت وقطع الصخور وصيد الطيور والوحوش ، واستمروا على ذلك دهرا طويلا حتى بغى بعضهم على بعض فتقاتلوا ، وأفنوا بعضهم بالمحاصرة . كانوا يحاصرون بعضهم حتى يهلك المحاصرون جوعا وعطشا ..

قيل : ولما تزايد أمرهم فى الفساد أخرج الله لهم طوائف من البحر يطلق عليها « البن » بالباء فحاربوهم ، فهلكت الجن ولم يبق منهم أحد ..

وكانت مدة إقامتهم على الأرض خمسمائة عام ، وملك الأرض بعدهم « البن » الذين بغوا كما بغى سابقوهم ، وأفنوا الوحوش والطيور والأسماك .. فضجت هذه المخلوقات بالشكوى إلى الله ، فخلق الجان من مارج من نار حاربوا البن وتغلبوا عليهم وأهلكوهم عن آخرهم ..

وبقى الجان فى الأرض فتناسلوا وتكاثروا وبغوا ، فشكت الأرض إلى ربها ، فبعث الله إليهم جنودا من الملائكة ، فطردوا الجان إلى شعب الجبال ..[75] .
وقد خلق الله الجن قبل آدم ـ عليه السلام ـ وكان قبلهم فى الأرض الحن ـ بالحاء ـ والبن ـ بالباء ـ فسلط الله عليهم الجن فقتلوهم وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم .

ويذكر ابن منظور فى لسان العرب أن الحن ـ بالحاء ـ هم سفلة الجن وضعفاؤهم وقيل : إن الحن خلق بعد الجن والإنس .

وذكرهم الفراء فقال : الحن كلاب الجن استنادا إلى حديث على ـ كرم الله وجهه : إن هذه الكلاب التى لها أربع أعين من الجن ، وهذا يفسر هذا

---

(٧٥) بدائع الزهور لابن اياس ص ٣٦ .

الحديث : « الحن حى من الجن » .

ومن كلام العباس : الكلاب من الحن وهم ضعفة الجن ، فإذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لهن فإن لهن أنفسا ، ـ جمع نفس أى أنها تصيب بأعينها (٧٦) .

ويبدو أن الجن كانوا من جنس آخر غير الجان .

كانوا من جنس من الملائكة .

وسموا بالجن لأنهم خزان الجنة . وكان إبليس منهم وأعجبته نفسه ووقع الغرور فى قلبه . وكان اسمه « عزازيل » (٧٧) .

فلما أمر بالسجود لآدم عصى .. وقد مضى ذكر ذلك فى قصة آدم ـ عليه السلام ـ

فقد خلق الجان من النار وهم يأكلون ويشربون ويتناسلون ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ..

وتحدث ابن جرير الطبرى عن ذلك راويا مختلف الأحاديث الواردة فى أصل نشأة إبليس عدو الله وعدو أوليائه . ومما قاله فى ذلك :

كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقا لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، وكان اسمه الحارث ، وكان خازنا من خزان الجنة ، وخلقت الملائكة كلهم فيما عدا هذا الحى من نور ، وخلقت الجن الذين وردوا فى القرآن الكريم من مارج من نار ، وهو لسان من النار الذى يكون فى طرفها إذا الهبت ..

وحين قاتل إبليس مع الملائكة وظهر على طوائف الجن التى بغت .. داخله الغرور فى نفسه وقال : لقد صنعت شيئا لم يصنعه أحد والله عالم بدخيله نفسه ، ولكن الملائكة لاتعلمها . فلما خلق الله آدم ، وجعله خليفة فى الأرض وأمر إبليس بالسجود له ، أبى واستكبر وكان من الكافرين (٧٨) .

ويروى القزوينى أن الجن كانوا سكان الأرض قبل آدم وكانوا قد طبقوا الأرض

---

(٧٦) لسان العرب جـ ٢ ص ١٠٣١ .
(٧٧) البداية والنهاية جـ ١ ص ٥٥ .
(٧٨) راجع تاريخ الأمم والملوك للطبرى حـ ١ ص ٤٢ .

برا وبحرا وسهلا وجبلا ، وكثرت نعم الله ـ تعالى ـ عليهم فكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة ، فطغت وبغت وتركت وصية أنبيائها وأكثرت فى الأرض الفساد .

فأرسل الله تعالى ـ اليهم جندا من الملائكة فسكنت الأرض وطردت الجن إلى اطراف الجزر وأسرت منها الكثير ، وكان ممن أسر عزازيل .

وكان عزازيل إذ ذاك صبيا نشأ مع الملائكة وتعلم من علمهم وأخذ يسوسهم ، وطالت أيامه حتى صار رئيسا فيهم . (٧٩)

أنواع الجن

ويذكر العلماء أن الجن أصناف ثلاثة :

صنف لهم أجنحة يطيرون بها فى الهواء

وصنف حيات

وصنف يحلون ويظعنون (٨٠) .

أما الإنس فهم كذلك أصناف ثلاثة :

صنف كالبهائم وهم الذين ورد فى حقهم قوله ـ تعالى : إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾وهؤلاء هم الذين لايستجيبون لدعوة الحق ، لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها .

وصنف أجسادهم كأجساد بنى آدم وأرواحهم كأرواح الشياطين .

وصنف فى ظل الله ، وهم الذين استجابوا لله وللرسول حين دعاهم لما يحييهم .

وذكر الدميرى حديثا رواه ابن أبي الدنيا فى مكايد الشيطان مسندا إلى أبى الدرداء قال : خلق الله الجن على ثلاثة أصناف ، صنف حيات وعقارب

---

(٧٩) عجائب المخلوقات ص ٥٥ .

(٨٠) ذكر ذلك فى أثر رواه الحاكم وصححه ورواه الطبرانى باسناد حسن .

وخشاش الأرض ، وصنف كالريح فى الهواء ، وصنف عليه الحساب والعقاب .

وخلق الله الإنس على ثلاثة أصناف ، صنف كالبهائم ، لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها .

وصنف أجسادهم أجساد بنى آدم وأرواحهم أوراح شياطين .

وصنف كالملائكة فهم فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله (٨١) .

والخشاش ـ بفتح الخاء وضمها وكسرها ـ هى هوام الأرض وحشراتها .

الفرق بين الجن والشياطين

والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر . ولكن الشياطين كفرة أبدا . .

بل ومن الجن من يكون مقربا من الله ويرتفع عنده درجات كالإنس تماما . .

وذكر القزوينى ما يختلف فيه الناس فى شأن الجن ، فقال : منهم من ذهب إلى أن الجن والشياطين هم مردة الإنس ـ وهم قوم من المعتزلة .

ومنهم من ذهب إلى أن الله تعالى خلق الملائكة من نور النار ، وخلق الجن من لهبها ، والشياطين من دخانها . وأن هذه الأنواع لايراها الناظر ، وأنها تتشكل بما شاءت من أشكال فإذا تكاثفت صورتها يراها الناظر .

وروى الدميرى خبرا أسنده إلى ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال فيه : « الخلق كلهم أربعة أصناف : خلق فى الجنة كلهم وهم الملائكة ، وخلق كلهم فى النار وهم الشياطين ، وخلق فى الجنة والنار وهم الجن والانسان لهم الثواب والعقاب . . (٨٢) .

وكونه جعل الشياطين قسما برأسه وهو فى النار دلالة على اختصاصهم بالشر .

قال ابن منظور : الشيطان كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب .

وقال الشيطان حية له عرف . .

---

(٨١) حياة الحيوان جـ ١ ص ٥١١ .
(٨٢) المرجع السابق ، ولعل الصنف الرابع هى الحيوانات التى لاتكليف لها .

وهو من شاط اذا هلك واحترق ، وقيل : من شطن إذا بعد والتوى واعوج .

والشيطان لايرى ولكنه يستشعر أنه أقبح شيء يكون بين الأشياء ، ولو رئى يرى فى أقبح صورة ولذلك شبه به طلع الزقوم ، قال ـ تعالى :
﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [٨٣] .

ولتمكن الشيطان من الوسوسة والإغراء للإنسان قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه » [٨٤] . بمعنى أنه يتسلط عليه فيوسوس له لأنه يدخل فى جوفه .

ولنشاط الشيطان ودأبه على الإغواء والإفساد وبكوره فى ذلك ورد الأثر الكريم الذى يقول : (إن الشمس تطلع بين قرنى الشيطان) .

فقد قال الحربى : هذا مثل يضرب لتحرك الشيطان وتسلطه . فإنه مع بروز الشمس يتحرك الشيطان ويتسلط .

قال القرطبى : واختلف العلماء فى أصل الجن ، فمن قائل : إن الجن ولد إبليس كما أن الانس ولد آدم ، ومن هؤلاء مؤمنون وكافرون ، فالمؤمن ولى الله والكافر شيطان .(٥٨)

وقيل : إن الجن ولد الجان وليسوا بشياطين وهم يموتون ، ومنهم المؤمن ومنهم الكافر أما الشياطين فهم ولد إبليس لايموتون إلا مع إبليس .

إبليس إمام الشياطين

علمنا مما سبق أن إبليس كان اسمه « عزازيل » .

وذكر ابن جرير الطبرى أنه كان من أشراف الملائكة وأكرمهم قبيلة . كان من قبيلة من الملائكة يقال لها الجن وكان خازنا على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا وكان له سلطان على الأرض . [٨٦] .

---

(٨٣) الصافات ٦٥ .
(٨٤) لسان العرب لابن المنظور حـ ٤ ص ٢٢٦٥ .
(٨٥) تسفير القرطبى ـ سورة الجن ٦٧٩٨ .
(٨٦) تاريخ الأمم والملوك ص ٤٤ .

وقال المسعودى :

لقد أسكن الله الجن الأرض قبل خلق آدم ، وفيهم ابليس ونهاهم عن أن يسفكوا دم البهائم أو يظهروا المعصية بينهم فسفكوا ، وعدا بعضهم على بعض . فلما رآهم ابليس لايقلعون عن ذلك سأل الله تعالى أن يرفعه إلى السماء فصار مع الملائكة يعبد الله أشد عبادة . .

وحارب إبليس الجن مع الملائكة فطردوهم إلى جزائر البحار وقتلوا منهم الكثير ، وجعل الله إبليس على سماء الدنيا خازنا فوقع فى صدره كبر . (٨٧) ، واشتد حقده وحسده حين خلق الله آدم وجعله خليفة فى الأرض .

وحين صدر الأمر للملائكة بالسجود لآدم أبى واستكبر وقال : خلقتنى من نار وخلقته من طين . . فطرده الله من رحمته ولكنه أقسم بعزة الله ليغوين آدم وذريته أجمعين . .

ولكن الله سبحانه وتعالى أنجى من براثنه كل مخلص من عباده . وقال لإبليس اللعين : ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وظل إبليس يلقن العداوة لأبنائه ضد ذرية آدم ويحملهم على إغوائهم وإيذائهم . .

روى القزوينى عن مجاهد : أن لإبليس خمسة من الأولاد ، وقد جعل كل واحد منهم على شىء من أمره . أما أسماؤهم فهى : بيرة ، والأعور ، ومسوط ، وداسم وزلنبور .

أما بيرة فصاحب المصائب يأمر بالثبور وشق الجيوب .

وأما الأعور فانه صاحب الزنا ، يأمر به ويزينه فى أعين الناس .

وأما مسوط فصاحب الكذب . .

---

(٨٧) مروج الذهب جـ ١ ص ٢٢ .
(٨٨) الحجر ٤٢ .

وأما داسم فيدخل بين الزوجين ويوقع بينهما البغضاء .

وأما زلنبور فهو صاحب السوق ، فبسببه لايزال أهل السوق متخاصمين .

ويذكر الدميرى لابليس أولادا أكثر من ذلك . .

منهم (لاقيس) ومنهم (ولهان) وهو صاحب الطهارة والصلاة .

أى الذى يفسد على الناس صلاتهم وطهارتهم .

والهفهاف ، وهو صاحب الصحارى .

وَمرّة ، وبه يكنى

وبثر ، وهو صاحب المصائب .

والأبيض ، وهو الذى يوسوس للأنبياء ـ عليهم السلام .

والأعور ، وهو صاحب الزنا ينفخ فى إحليل الرجل وعجز المرأة .

وداسم ، وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله تعالى ، دخل معه ووسوس له فالقى الشر بينه وبين أهله ، وإن أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه .

ومطوس ، وهو صاحب الأخبار يأتى بها فيلقيها فى أفواه الناس ولايكون لها أصل ولاحقيقة .

وأمهم (طرطبة) وقيل : بل هى حاضنتهم .(٨٩) .

وذكر القزوينى ما رواه أبو أمامة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم .

« أن إبليس لما نزل إلى الأرض قال : يارب أنزلتنى وجعلتنى رجيما فاجعل لى بيتا . قال : الحمام

---

(٨٩) حياة الحيوان حـ ١ ص ٣٥٤ .

قال : اجعل لى مجلسا . قال : الأسواق ومجامع الطرق .

قال : فاجعل لى طعاما . قال : مالم يذكر اسم الله عليه .

قال : فاجعل لى شرابا . قال : كل مسكر .

قال : فاجعل لى مؤذنا . قال : المزامير .

قال : فاجعل لى قرآنا . قال : الشعر .

قال : فاجعل لى حديثا . قال : الكذب .

قال : فاجعل لى مصائد . قال : النساء (٩٠) .

قال الدميرى : إن جميع الجن من ذرية إبليس . وبذلك يستدل على أنه ليس من الملائكة لأن الملائكة لايتناسلون ، لأنهم ليس فيهم إناث . .

وقيل : إن الجن جنس وإبليس واحد منهم ، ولاشك أن كفرة الجن ذريته بنص القرآن ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (٩١) .

ومن كفر من الجن يقال له : شيطان .

وذكر الحديث « لما أراد الله أن يخلق لابليس نسلا وزوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظية من نار فخلق منها امرأته » .

وسأل سائل الشعبى : أخبرنى هل لابليس زوجة ؟ .

فقال الشعبى ـ وكان مزّاحا ـ : إن ذلك العرس ماشهدته .

ثم تفكر قليلا وذكر قوله تعالى : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى » فقال : إنه لاتكون ذرية إلا من زوجة .

وقال الدميرى : روى أن الله ـ تعالى ـ قال لابليس : لا أخلق لآدم ذرية إلا ذرأت لك مثلها ، فليس من ولد آدم أحد إلا وله شيطان قد قرن به .

---

(٩٠) أخرجه الطبرانى فى الكبير ، وذكره المناوى فى الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور ١٢٣٠١ قال وفيه على بن يزيد الالحانى ضعيف .

(٩١) الكهف ٥٠ .

بم يقهر المؤمن الشيطان ؟

وقد علمنا أن عدواة الشيطان للإنسان قديمة ، وأنه لايهدأ للشيطان بال حتى يؤذيه أو يغويه وحتى يحول حياته إلى جحيم وشقاء ولذا يجب على الإنسان ان يعرف السلاح الذى يقهر به الشيطان وقد وضعه الله أمامه ، وجعله ميسورا لديه ، وهو الاستعاذة من شره . مصداقا لقوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (٩٣) .

ولذلك أمرنا الله تعالى بالاستعاذة من الشيطان الرجيم عند الشروع فى كل أمر من الأمور التعبدية حتى تكون خالصة لوجه الله تعالى ، وحتى لايدخل الشيطان بوسوسته فى نفس الإنسان فيفسدها قال ـ تعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٩٤) .

وقال تعالى :

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ (٩٥) .

ولايسأم المؤمنون من تكرار الاستعاذة كما لايسأم المريض من تكرار الدواء الذى فيه علاجه . فأطباء القلوب يقولون : إن الشيطان يفر إذا سمع الاستعاذة بالله منه ، لأن لله جنودا وكّلهم بعبده المؤمن ينصرونه إذا طلب النصر من الله واستعاذ به من كل شر . .

---

(٩٣) الأعراف ٢٠١ .
(٩٤) النحل ٩٨ : ١٠٠ .
(٩٥) المؤمنون ٩٧ ، ٩٨ .

وإذا استمر الخاطر السيء فى نفس الإنسان رغم استعاذته بالله من الشيطان فليعلم أنه خاطر نفسي وليس خاطرا شيطانيا . فعليه أن يستعمل علاجا آخر هو عصيان نوازع النفس وقهر شهواتها .

فالنفس أمارة بالسوء كما أخبر بذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (٩٦) .

وأشد مايكون الشيطان للإنسان عداوة حين يراه فى عبادة ..

وقد أعلن هو بنفسه ذلك حين قال - فيما أخبر به الله تعالى - بقوله :

﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ (٩٧)

وقد روى أنس عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قوله : أول مايحاسب العبد عليه يوم القيامة صلاته فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله .

قال : وكان يقول : حاذوا المناكب فى الصلاة فإن الشيطان يتخلل الصفوف كما يتخلل الحجل (٩٨) .

وذُكر أن عيسى - عليه السلام - لقى إبليس وهو يسوق خمسة أحمرة عليها أحمال ، فسأله عن الأحمال فقال : تجارة أطلب لها مشترين .

قال عيسى : وما التجارة ؟

قال : أحدها الجور .

قال : ومن يشتريه ؟ قال : السلاطين ..... والثانى الكبر .

---

(٩٦) يوسف ٥٣ .
(٩٧) الأعراف ١٦ .
(٩٨) حياة الحيوان حـ ١ ص ٣٩١ ، والحجل طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المنقار والرجلين .

قال : ومن يشتريه ؟ قال كثير من مختلف الناس . . . . . والرابع الخيانة .

قال : ومن يشتريها ؟ قال : عمال التجار . . . . . والخامس الكيد .

قال : ومن يشتريه ؟ قال : النساء (٩٩) .

ولعلها قصة رمزية ترمز إلى الصفات الغالبة على كل من ذكروا .

الإيمان بوجود الجن

بعض الناس لايصدقون بوجود الجن ، بل إن هناك من يؤكدون عدم وجود الجن ، وهؤلاء هم الذين يحكمون المادة فى كل شىء ، ولايؤمنون إلا بما هو محسوس . .

وأصحاب هذا المذهب ينقضون أساسا من أسس الدين وهو الإيمان بالغيب . . وقد أخبر الله بوجود الجن ، وتحدث عنهم ، وذكرهم فى مواضع متفرقة من كتابه الكريم ، وأرسل رسوله إليهم .

وقد ذكر الشيخ أحمد بن تيمية أن الإيمان بوجودِ الجن وبعثة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم كبعثته إلى الإنس أصل متفق عليه من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين أهل السنة والجماعة وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين (١٠٠) .

وقال القاضى أبو بكر الباقلانى : وكثير من القدرية يثبتون وجود الجن قديما وينفون وجودهم الآن ، ومنه من يقر بوجودهم ويزعم أنهم لايرون لدقة أجسامهم ونفوذ الشعاع فيها ، ومنهم من قال : إنما لايرون لأنهم لا ألوان لهم . . وقد أجمع كافة العلماء فى عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين ، والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ولايدفع مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بشىء من الدين . .

وقال إمام الحرمين فى كتابه الشامل : اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن كثيراً من الفلاسفة وجماهير القدرية وكافة الزنادقة أنكروا الشياطين والجن رأسا ، ولايبعد

---

(٩٩) المرجع السابق ص ٤٢٧ .

(١٠٠) الجن لابن تيمية ٣ .

لو أنكر ذلك من لا يتدبر ولا يتشبث بالشريعة ، وإنما العجب من إنكار القدرية مع نصوص القرآن وتواتر الأخبار واستفاضة الآثار .

وقال أبوالقاسم الأنصارى فى شرح الإرشاد : وقد أنكرهم بعض المعتزلة ودل إنكارهم على قلة مبالاتهم وركاكة دينهم ، فليس فى إثباتهم مستحيل عقلى ، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على إثباتهم ، وحق على اللبيب المعتصم بحبل الدين أن يثبت ماقضى العقل بجوازه ونص الشرع على ثبوته .

النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والجن :

توجه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الطائف يدعو أهلها إلى الله ، ويستنصر بهم على قومه الذين اشتد أذاهم له بعد وفاة عمه أبي طالب ، فاستقبلوه أسوأ استقبال .

قال واحد منهم : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟

وقال آخر : والله لا أكلمك كلمة أبداً ، إن كان الله قد أرسلك كما تقول فانت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب فما ينبغى لى أن أكلمك .

ثم أغروا به سفهاءهم وغلمانهم يشتمونه ويقذفونه بالحجارة حتى أدموه .

فلجأ إلى حائط بستان لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، وناجى ربه قائلاً :

« اللهم إنى أشكو إليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، لمن تكلنى ؟

إلى عبد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بى غضبك أو يحل علىَّ سخطك ، ولا حول ولا قوة إلا بك » . .

ورآه ابنا ربيعة ، فرحماه ، وأرسلا إليه قطفا من عنب مع غلام لهما نصرانى . . فأكل منه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحمد الله . .

وانصرف يائساً من ثقيف . . حتى إذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلى . . فمر به نفر من جن نصيبين . .

وكان الجن قبل ذلك يسترقون السمع فلما حرست السماء بالشهب انقطعت عنهم أخبار السماء ، فأرسل إبليس جنوده يستطلعون الأخبار لعله يعرف سبب ذلك . .

فمر هؤلاء النفر فاسترعى أسماعهم هذا القرآن الذى يتلوه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلى . فوقفوا منصتين يستمعون له . .

فلما فرغ من قراءته عادوا إلى قومهم منذرين .

وهذا ماتقصه علينا الآيات التالية :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[١٠١]

وهذه القصة التى رواها ابن هشام فى سيرته ، وذكرها القرطبى فى تفسيره احدى أسباب نزول هذه الآيات . .

---

(١٠١) الأحقاف ٢٩ : ٣٢ .

وهناك قصة أخرى فى سبب نزولها ذكرها القرطبى أيضاً ..

قال العلماء : أمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بتبليغ دعوته إلى الجن وقراءة القرآن عليهم ، فصرف الله إليه نفراً من الجن من نينوى وجمعهم له .

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : إنى أريد أن أقرأ القرآن على الجن الليلة فأيكم يتبعنى ؟ فأطرقوا ، ثم قال الثانية ، فأطرقوا ، ثم قال الثالثة ، فأطرقوا ..

فقال ابن مسعود : أنا يارسول الله ..

قال ابن مسعود : ولم يحضر معه أحد غيرى ، فانطلقنا ، حتى إذا كنا بأعلى مكة دخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ شعباً يقال له شعب « الحجون » وخط لى خطاً ، وأمرنى أن أجلس فيه ، وقال : لاتخرج منه حتى أعود اليك .

ثم انطلق حتى قام ، فافتتح القرآن ، فجعلت أرى أمثال النسور تهوى وتمشى فى رفرفها وسمعت لغطاً وهمهمة ، حتى خفت على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وغشيته جماعات كثيرة حالت بينى وبينه ، حتى ما أسمع صوته .

ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين .

ففرغ النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الفجر .. فقال : أنمت ؟

قلت : لا ، والله لقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس ، حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول : اجلسوا

فقال : لو خرجت لم آمن عليك أن يخطفك بعضهم .

ثم قال : هل رأيت شيئاً ؟

قلت : نعم ، يارسول الله ، رأيت رجالاً سودا مستنفرى[١٠٢] ثياباً بيضاً .

فقال : هؤلاء جن « نصيبين » سألونى المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة .

---

(١٠٢) الاستنفار : أن يدخل الانسان ازاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه .

فقالوا : يا رسول الله يقذرها الناس علينا .

فنهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يُسْتَنجى بالعظم والروث .

قلت : يانبى الله ، وما يغنى ذلك عنهم ؟

قال : إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ، ولا روثة إلا

وجدوا فيها حبها يوم أكلت .

فقلت : يارسول الله ، لقد سمعت لغطاً شديداً .

فقال : إن الجن تدارأت فى قتيل بينهم فتحاكموا إلىَّ فقضيت بينهم بالحق(١٠٣)

نزول سورة الجن :

ذكر القرطبى فيما ذكر من أسباب نزول سورة الجن أنهم كانوا يصعدون إلى السماء يستمعون الوحى ، فإذا سمعوا كلمة زادوا فيها تسعاً ، فأما الكلمة فتكون حقاً وأما ما زادوا فيكون باطلاً .

فلما بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مُنِعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم تهوى قبل ذلك ، فقال لهم إبليس : ما هذا إلا من أمر قد حدث فى الأرض فبعث جنوده ، فوجدوا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قائماً يصلى بين جبلين ـ أراه قال مكة ـ فأتوه فأخبروه ، فقال : هذا الذى حدث فى الأرض . .

وجاء فى رواية أخرى : أنهم لما أتوا إبليس بعد أن منعوا قال لهم : إيتونى من كل أرض بقبضة تراب أشمها ، فأتوه ، فشم ، فقال : صاحبكم بمكة ، فبعث نفراً من الجن كانوا سبعة أو تسعة منهم زوبعة .

ولما قدم الرهط على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم من أقوى الجن شوكة وأشدهم قوة وسمعوا القرآن من النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ آمنوا . .

---

(١٠٣) تفسير القرطبى ـ سورة الأحقاف ـ ص ٦٠٣١ .

فنزل قوله تعالى :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾[١٠٤]

هل يرى أحد الجن ؟ :

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[١٠٥]

مفهوم هذه الآية الكريمة يوحى أن الجن والشياطين لا يراهم الإنس ، ولكنهم هم الذين يرون الإنس .

وهذا من رحمة الله بالناس ..

لأن الله خلقهم على صور بشعة يفزع الناس من رؤيتها ، أما الناس فقد سواهم الله على صور بديعة وأشكال حسنة قال تعالى :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[١٠٦]

ولكن هذه الرؤية اذا امتنعت بالنسبة لعموم البشر فهى ممكنة لمن يختصه الله بذلك كالأنبياء والأولياء .

وطريق رؤيتهم أن يروا فى صورة محسوسة ، كصورة قط أوكلب أو حية أو شخص أو غير ذلك فيرون .. لقد أعطاهم الله القدرة على التشكل ..

وقد رآهم بعض الناس فى هذه الصورة التى تشكلوا فيها ..

وهذه بعض الأمثلة :

---

(١٠٤) سورة الجن ١ ، ٢ .
(١٠٥) الأعراف ٢٧ .
(١٠٦) التين آية ٤ .

- جاء الشيطان فى صورة شخص نجدى وأوحى إلى الكفار فى مكة أن يختاروا من كل قبيلة شاباً جلداً ليضربوا النبى ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل ولا يقدر الهاشميون على المطالبة بدمه .

قال الإمام ابن تيميه[١٠٨] : والجن يتصورون فى صور الإنس والبهائم ، ويتصورون فى صور الحيات والعقارب وغيرها وفى صور الإبل والبقر والخيل والبغال والحمير ، وفى صور الطير وفى صور بنى آدم ، كما أتى الشيطان قريشاً فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم ، لما أرادوا الخروج إلى بدر قال - تعالى - :

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾[١٠٩]

- وذكر ابن الأثير فى أسد الغابة قوله : أقبل على النبى - صلى الله عليه وسلم - شيخ من نجد متكىء على عكازه فقال النبى - صلى الله عليه وسلم - : مشية جنى ونغمته . قال الشيخ : أجل . قال له : من أى الجن أنت ؟ قال : أنا هامة بن الهيم بن لاقيس بن إبليس .

قال : لا أرى بينك وبينه إلا أبوين .

قال : أجل

قال : كم أتى عليك ؟

قال : أكلت عمر الدنيا إلا أقلها ، كنت يوم قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام .

وذكر أنه تاب على يد نوح - عليه السلام - وآمن معه ، وأنه لقى شعيباً وابراهيم الخليل وعيسى - عليهم السلام - وقد آمنت بك .

فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جميع الرسل السلام ، وعليك

---

(١٠٨) اكتاب الجن لابن تيمية ص ٥٢ .
(١٠٩) الأنفال ٤٨ .

باهامة ، وعلمه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشر سور من القرآن .

قال عمر بن الخطاب : فمات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم ينعه لنا ، وما أراه إلا حياً[110]

ـ روى البيهقى فى دلائل النبوة عن الحسن أن عمار بن ياسر ـ رضى الله عنه ـ قال : قاتلت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجن والإنس فسئل عن قتال الجن فقال : أرسلنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى بئرٍ أستقى منها ، فرأيت الشيطان فى صورته ، فصارعنى فصرعته ثم جعلت أدمى أنفه بحجر كان معى .

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأصحابه : إن عماراً لقى الشيطان عند البئر فقاتله .

فلما رجعت سألنى فأخبرته الخبر . فكان أبو هريرة يقول : إن عمار بن ياسر أجاره الله من الشيطان على لسان رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ[111]

وفى مسند الدرامى عن الشعبى قال :

قال عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ : لقى رجل من أصحاب محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجلاً من الجن صارعه فصرعه الإنسى ، فقال له الإنسى : إنى أراك ضئيلاً هزيلاً و كأن ذراعيك ذراع كلب ، فكذلك أنتم معشر الجن أم أنت من بينهم كذلك ؟

قال : لا والله ، إنى من بينهم لضليع ، ولكن عاودنى الثانية ، فإن صرعتنى علمتك شيئاً ينفعك .

قال : نعم ، فعاوده فصرعه الإنسى ، فقال له : أتقرأ « الله لا إله إلا هو الحى القيوم . . » ؟

قال : نعم .

---

(110) أسد الغابة فى معرفة الصحابة حـ ٥ ص ٢٧٩ .

(111) حياة الحيوان للدميرى حـ١ ص ٣٧١ .

قال : فإنك لا تقرؤها فى بيت إلا خرج منه الشيطان ، سريعاً لا يلوى على شىء ، ثم لا يدخله حتى يصبح .

وعلى كل فإمكان رؤية الجن مسألة خلافية ، وقد عقد عليها بعض الفقهاء أحكاماً فقهية ، حتى قال بعض الفقهاء : يصح انعقاد الجمعة بأربعين مكلفاً سواء كانوا من الجن أم من الإنس أم منهما .

ولكن الشافعى ـ رحمه الله ـ حكى عنه بعض تلاميذه قال : سمعت الشافعى ـ رضى الله عنه ـ قال : من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن ردت شهادته وعزر لمخالفته قوله ـ تعالى ـ « إنه يراكم هو وقبيلة من حيث لا ترونهم » إلا أن يكون هذا الزاعم نبياً . .

ولكن بعض الفقهاء حمل قول الشافعى على رؤيتهم على ما خلقوا عليه ، ويحمل كلام غيره على ما إذا تصوروا فى صورة بنى آدم أو غيره من المخلوقات التى تراها .

وللإمام الشعرانى كتاب اسمه « كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان » ذكر فيه أن أحد الجان تقدم إليه بأسئلة عددها ثمانون سؤالاً تدور حول أحكام فقهية وشرعية ، وقد أجابهم عنها ، والكتاب محقق ومطبوع بمطبعة حجازى بالقاهرة ومسجل بمحكمة مصر المختلطة .

هل هناك تزاوج بين الجن والإنس ؟

ذكر بعض الفقهاء الحكم فى ذلك فقال :

من موانع النكاح اختلاف الجنس ، فلا يجوز للإنسى أن يتزوج جنية لقوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾[١١٢]

---

(١١٢) سورة النحل ٧٢ .

وقوله تعالى :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴿٢١﴾ ﴾ (١١٣)

والمودة والرحمة لا يكونان إلا عند اتحاد الجنس .

ونص على منع النكاح بين الجن والإنس جماعة من أئمة الحنابلة وفى الفتاوى السراجية : لا يجوز ذلك لا ختلاف الجنس .

ونقل بعضهم عن الحسن البصرى قوله : يجوز بحضرة شاهدين . .

وروى بعضهم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ نهى عن نكاح الجن .

وكان بعض الناس يقول فى دعائه : اللهم ارزقنى جنية أتزوج بها تصاحبنى حيثما كنت .

ولكن المحققين من الفقهاء يأنفون من ذلك ، وربما أسقطوا من نظرهم من يعتد بذلك ، فقد ورد فى الكامل فى ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر مولى على بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن الطحاوى قال • حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال : قدم علينا نعيم بن سالم مصر فسمعته يقول : تزوجت امرأة من الجن . فلم أرجع اليه .

هذا من ناحية الحكم الفقهى .

ولكن هل يمكن تحقق هذا الزواج فعلاً ؟

يقول بعض العلماء : إن ذلك ممكن وهناك زيجات حدثت بالفعل وترتب عليها نسل وذرية . وهذا النسل والذرية يتحدث بلغتين لغة الجن ولغة الإنس . . واللغة الرسمية للجن هى السريانية . ومن الطرائف فى ذلك ما قصه أبو عبد الرحمن الهروى فى كتاب العجائب :

حدثنا أبو بشر عبد الرحمن بن كعب بن البداح بن سهل بن محمد بن عبد الرحمن بن كعب الانصارى ، وعقبة بن الزبير بن خارجة بن عبد الله بن

---

(١١٣) سورة الروم آية ٢١ .

كعب بن مالك الأنصارى عن بعض أشياخه ممن يثق بهم ، أنه رأى رجلاً معه ابن له ، فنهره ذات يوم وذكر والدته بما لا يجب ، فقال له الشيخ : لا تفعل ، فأجاب والد الصبى سأخبرك بالسبب :

قال : ركبت البحر فحدثت عاصفة أغرقت المركب ولكنى سلمت بعد أن ركبت لوحاً من الخشب أوصلنى إلى جزيرة أقمت بها ، وكان يحلو لى أن آوى إلى شجرة من أشجارها ، وذات ليلة رأيت منظراً لم أشاهد مثله ، إذ خرجت من البحر جوار ـ فتيات من الجن ـ مع كل واحدة كرة مضيئة ترمى بها ، ثم تعدو خلفها على هدى ضوئها لتأخذها ، وهكذا . .

ومكثت أراقبهن لأعرف خبرهن فأعجبنى هذا المنظر وشاقتنى أمورهن ، وذلك بأن أجلس كل ليلة فى أصل شجرة بحيث لا يبصروننى .

وذات ليلة عدوت فى اثرهن فتعلقت بشعر واحدة منهن وكان يجللها فجئت أقودها حتى شددتها بأصل الشجرة . .

وتزوجتها فحملت منى بهذا الغلام ، ولكنها امتنعت عن إرضاعه فما زلت أعذبها لترضعه حتى أرضعته سنة .

وفكرت فى حلها ولكنى خشيت على الطفل . . فلم أفعل حتى بلغ الفطام .

وماأن حللتها حتى خرجت تعدو وألقت بنفسها فى البحر وبقى الصبى بين يدى . . ومر بالجزيرة مركب فلوحت له فحملنى إلى بلدى .

فهذه قصة هذا الغلام . . (١١٤)

والتاريخ يحدثنا أن بلقيس ملكة سبأ كان أحد أبويها جنياً . . جاء فى الكامل لابن عدى فى ترجمة سعيد بن بشير أنه روى عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : أحد أبوى بلقيس كان جنياً .

---

(١١٤) حقيقة تحضير الأرواح لمحمد أنور القونى ص ٣٢ .

وقد ذكر ابن كثير فى تفسيره ذلك . .

وفى زواج الجنى من إنسية ورد هذا الخبر :

حدثنا محمد بن حميد الرازى وأبو الأزهر والأعمش عن شيخ من نجيل . قال :

أحب أحد أفراد الجن جارية لنا ، ثم خطبها إلينا ، وقال : إنى كرهت أن أنال منها محرماً فزوجناه منها .

فظهر لنا الجن يحدثنا فقلنا له : ما أنتم ؟

فقال : أمم أمثالكم ، وفينا قبائل كقبائلكم

قلنا : فهل فيكم هذه الأهواء ؟

قال : نعم فينا كل الأهواء .

وقد سئل مالك بن أنس ـ رضى الله عنه ـ فقيل له : إن ههنا رجلاً من الجن يخطب إلينا جارية يزعم أنه يريد الحلال .

فقال : ما أرى بذلك بأساً فى الدين ، ولكن أكره اذا حملت منه وسئلت : من زوجك ؟

قالت : من الجن كثر الفساد فى الإسلام[115]

وربما كان منع هذا الزواج أفضل لما فيه من سد الذرائع التى تفتح باب الفتنة والشر .

ربنا استمتع بعضنا ببعض :

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾[116]

---

(١١٥) المرجع السابق .

(١١٦) سورة الأنعام ١٢٨ .

يرى جمهور المفسرين أن الاستكثار معناه الإضلال ، يعنى أنكم أضللتم من الإنس كثيراً . .

وقد استساغ أولياؤهم من الإنس هذا الإضلال ورأوا فيه متعتهم ولذتهم ، وبهذا تمتع كل من الإنس والجن بالآخر . .

لقد وجد الجن لذة فى إغواء الإنس ، ووجد الإنس لذة فى هذا الإغواء . . إنه تلذذ بالغواية مشترك بين الشياطين وأوليائهم .

وإن هذه الأرواح الخبيثة تتعشق أجساد أوليائها من البشر ، وتلابسها بقدر استعدادها للباطل والشر ، ويجد كل منهما لذته فى ذلك حتى يبلغ الكتاب أجله .

فالتعبير بالفعل « استمتع » يدل على ما يشعر به كل منهما من متعة ولذة حين يتلبس الجنى بالإنسان ، ولكنها متعة مبنية على أساس باطل من الضلال والإضلال .

والإستمتاع - كما يقول صاحب تفسير المنار - : طلب الشيء لجعله متاعاً أو جعله متاعاً بالفعل والمتاع ما ينتفع به انتفاعاً طويلاً ممتداً وإن كان قليلاً[117]

يقول بعض العلماء : إن الجنى بطبيعته النارية يتبرد فى جسم الإنسان ؛ وقد يصعب تصور ذلك علمياً ، ولكنه إذا قيس بالميكروب الدقيق الذى يتخلل جسم الانسان وينتشر فى داخله أمكن تصور ذلك .

وإذا كان من المعقول أن يجد الجنى لذته فى تبرده بجسم الإنسان فكيف يجد الإنسان لذته فى سقمه وحرارته ؟

وربما أجيب على ذلك بالمدمن الذى يجد لذته فى تناول جرعته التى تهلكه وتودى بحياته ، والأجرب يجد لذة متناهية فى حك جلده مع ما فى ذلك من تمزق

---

(١١٧) تفسر المنار حـ ٨ ص ٥٦ .

جسده وسيلان دمه ..

إن ملامسة الجنى للإنسان يترتب عليها هياج دمه الذى يؤدى إلى صرعه ويصبح حاله كحال المصروعين الذين تغص بهم العيادات النفسية وغيرها من الأماكن التى يشتهر أصحابها بعلاج هذه الحالات ..

واستيلاء الجنى على الإنسان بكثرة وسوسته له يفقده سيطرته على نفسه وتحكمه فى إرادته فلا يعرف التمييز بين ما يضره وما ينفعه .

استهواء الجن للإنس :

ويلتحق بهذا الباب ما يروج بين الناس من استهواء الجن للإنس وقد ذكر بعضهم أن ابنة له اختطفت من سطح داره وهى بكر ، فشكا ذلك إلى رجل صالح مشهور فأمكنه بقدرة الله أن يردها عليه وقال : إنه قد اختطفها مارد من مردة الجن .

إن الجمال قد يستهوى الجن كما يستهوى الإنس تماماً .
وفى الجن شهوة كشهوة الإنس ..

وفى الأخبار التى رواها ابن ظفر فى كتابه ـ خير البشر بخير البشر ـ أن فاطمة بنت النعمان قالت : كان لى تابع من الجن فكان إذا جاء اقتحم البيت الذى أنا فيه اقتحاماً فجاءنى يوماً فوقف على الجدار ، ولم يصنع كما كان يصنع ، فقلت له : ما بالك لم تصنع ما كنت تصنع قبل ؟

فقال : انه قد بعث اليوم نبى يحرم الزنا .. وكثير من أمثال هذه القصص يتردد فى الكتب وبين الناس ولكن ليس لها ما يوثقها أو يجزم بصحتها أو يقطع بصدقها .

والحق أن استهواء الجن للإنس هو تزيين الهوى والشر لهم ، بحيث يصبح المستهوى فى قبضته يصرفه كيف يشاء ..

وقد وردت الإشارة إلى ذلك فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ [118]

ويدخل فى هذا الباب ما يطلق عليه اسم (المس) وهو إصابة الإنسى بمرض نتيجة مس الجنى له . . وهذا ما يشير اليه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴿٢٧٥﴾ [119]

ويظهر لهذا المس عوارض فى الممسوس تختلف من شخص لآخر . فقد تكون هذه العوارض صرعاً أو غيبوبة أو مرضاً أو غير ذلك .

قال محمد رشيد رضا فى تفسيره :

« وفعل جنة الشياطين فى أنفس البشر كفعل هذه الجنة التى يسميها الأطباء (الميكرويات) فى أجسادهم وفى غيرها من أجسام الأحياء تؤثر فيها من حيث لا ترى فتتقى »

والعاقل عادة يلجأ إلى اتقاء الميكرويات بوسائل الوقاية المعروفة فعليه أن يلجأ إلى اتقاء إصابات الجن بوسائل الشرع ، وهى اللجوء إلى الله والاستعاذة به من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس .

• وكما أن هناك أطباء يعالجون الأمراض الجسمية فإن هناك أطباء يعالجون الأمراض الروحية . .

---

(١١٨) الأنعام ٧١ .

(١١٩) البقرة ٢٧٥ .

وقد ذكر صاحب تفسير المنار وقائع حدثت منه مع بعض المرضى بإصابات من الجن وتمكن من شفائهم بقدرة الله ـ تعالى ـ[120]

وليس ذلك عجباً ، فإن الصالحين لهم عند الله منزلة ، وقد منحهم قوة فى أرواحهم يقهرون بها قوى الجن وأسلحتهم .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يشفى المصروع بنظره إليه ، أو بمسح جسمه بيده الشريفة . .

حدَّث الحكم بن عبد الله الثقفى قال : خرجنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى بعض أسفاره فتعرضت امرأة بصبى فقالت : يا رسول الله إن ابنى عرض له ـ تعنى ما يعتريه من الصرع ـ فدعا له فشفى[121]

وروى مرة العامرى قال : سافرت مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سفراً فرأيت منه عجباً أتت امرأة بابن لها به لمم ، فقال له رسول الله : اخرج ياعدو الله أنا رسول الله فبرأ[122]

ووفد زارع بن عامر على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مع الأشج العصرى ومعه ابن له مجنون أو ابن أخت له فلما قدموا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : يا رسول الله إن معى ابنا لى أو ابن أخت لى مجنوناً أتيتك به لتدعو الله له ، فقال : ائتنى به ، فأتاه به ، فدعا له فبرأ ، ولم يكن فى الوفد من يفضل عليه[123]

وروى عطاء بن رباح قال : قال لى ابن عباس : ألا أريك امرأة من أهل الجنة ؟ قلت : بلى قال : هذه المرأة السوداء : أتت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت : إنى أصرع وإنى أتكشف فادع الله ـ عز وجل ـ تعنى أن يشفينى .

قال : إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك .

---

(١٢٠) راجع تفسير المنار حـ ٨ ص ٣٢٤ ومابعدها .

(١٢١) أسد الغابة حـ ٢ ص ٣٩ .

(١٢٢) أسد الغابة حـ ٥ ص ١٤٨ .

(١٢٣) أسد الغابة حـ ٢ ص ٢٤٥ ، حـ ٥ ص ١٨٧ وذكر الخبر ابن تيمية فى كتاب الجن ص ٦٩ .

فقالت : أصبر . ثم قالت : فإنى أتكشف فادع الله أن لا أتكشف . فدعا لها[١٢٤]

وذكر أحمد فى مسنده قال : حدثنا عبد الله بن نمير عن عثمان بن حكيم ، عن عبد الرحمن بن عبد العزيزعن يعلى بن مرة ، قال : لقد رأيت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثلاثاً مارآها أحد قبلى ولا يراها أحد بعدى :

لقدَ خرجت معه فى سفر ، حتى إذا كنا ببعض الطريق مررنا بامرأة جالسة معها صبى لها ، فقالت : يا رسول الله هذا صبى أصابه بلاء ، وأصابنا منه بلاء ، يؤخذ فى اليوم ما أدرى كم مرة ، قال : أحضريه فرفعته اليه ، ثم فغر فاه ، فنفث فيه ثلاثاً ، وقال : باسم الله ، أنا عبد الله اخسأ عدو الله ، ثم ناولها إياه . وقال لها : أقبلى إلينا فى الرجعة فى هذا المكان فأخبرينا مافعل .

قال : فذهبنا ورجعنا ، فوجدناها فى ذلك المكان معها ثلاث شياه ، فقال : ما فعل صبيك ؟

فقالت : والذى بعثك بالحق ماأحسسنا منه شيئاً حتى الساعة ، فاجتزر هذه الغنم

قال : انزل خذ منها واحدة ورد البقية[١٢٥]

وعلى هذا الطريق من علاج المصابين من الجن مضى الصالحون ومن أعطاهم الله طاقات روحية قوية يتمكنون بها من قهر الجن والشياطين .

قال العلامة ابن القيم فى الهدى النبوى : وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التى فيه ويقول : قال لك الشيخ : اخرجى فهذا لا يحل لك ، فيفيق المصروع ،وربما خاطبها بنفسه وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب فيفيق المصروع ولا يحس بألم .

وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً ،وكان كثيراً ما يقرأ فى أذن المصروع ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[١٢٦]

---

(١٢٤) الاصابة لابن حجر حـ ٤ ص ٤٣٤ وأسد الغابة حـ ٧ ص ٣٣٣ ، وورد مثل هذا الخبر فى ترجمة سعيرة الاسدية . أسد الغابة ٧ ١٤٢° .

(١٢٥) الجن لابن تيمية ص ٧٠ .

(١٢٦) سورة المؤمنون ١١٥ .

وحدثنى أنه قرأها فى أذن المصروع فقالت الروح : نعم ؟ ومد بها صوته .
قال : فأخذت له عصا وضربته بها فى عروق عنقه حتى تخلت يداى من الضرب ، ولم يشك الحاضرون بأنه يموت لهذا الضرب ففى أثناء الضرب قالت : أنا أحبه . . فقلت لها : هو لا يحبك . قالت : أنا أريد أن أحج به . .

فقلت لها : هو لا يريد أن يحج معك . .

فقالت : أنا أدعه كرامة لك

قال : لا ، ولكن طاعة لله ولرسوله

قالت : فأنا أخرج منه . .

فقعد المصروع يلتفت يمنياً وشمالاً . وقال : ما جاء بى إلى حضرة الشيخ ؟

قالوا له : وهذا الضرب كله ـ يعنى كأنك لم تحس بهذا الضرب كله ـ ؟

فقال : وعلى أى شيء يضربنى الشيخ ولم أذنب ؟ ولم يشعر بأنه وقع عليه ضرب البتة .

وكان الشيخ ـ أى ابن تيميه ـ يعالج بآية الكرسى ، وكان يأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه لها ، وقراءة المعوذتين .

قال ابن القيم : فهذا النوع من الصرع وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة ، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على من تسلط عليهم يجيء من جهة قلة دينهم وخراب قلوبهم وألسنتهم من الذكر والتعاويذ والتحصنات النبوية والإيمانية ، فتلقى الأرواح الرجل الأعزل ـ أو المرأة العزلاء ـ لا سلاح معه أو معها فيؤثر فيه أو فيها .
ولو كشف الغطاء لرأيت النفوس البشرية صرعى مع هذه الأرواح الخبيثة وهى فى أسرها وقبضتها تسوقها حيث شاءت(١٢٧)

عمار المكان :

نسمع فى الأخبار أن العرب كانوا اذا رحلوا وحلوا فى مكان نادى مناديهم قائلاً : نعوذ بعامر هذا المكان ، أو نعوذ بسيد هذا المكان .

---

(١٢٧) هامش كتاب الجن لابن تيمية ص ٧٤ .

قال القرطبي : وكان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ، ثم من بني حنيفة ، ثم فشا ذلك في العرب ، فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم ، قال ابن أبي السائب : خرجت مع أبي إلى المدينة أول ما ذكر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فآوانا المبيت إلى راعي غنم ، فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حَمَلاً من الغنم ، فقال الراعي : يا عامر الوادي أنا جارك ، فنادى مناد : يا سِرحان أرسله ، فأتى الحمل يشتد ، وأنزل الله على رسوله بمكة :

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ (١٢٨)

أي زاد الجنُّ الإنسَ رهقاً أي خطيئة وإثماً وتعباً(١٢٩)

والعمار جمع عامر ، وهم فئة من الجن قريبة من الإنس دائماً وتلازم الناس في مساكنهم وديارهم ومحال أعمالهم . .

وكل عامر مكان يلازمه ولا ينتقل منه إلا بتكليف ممن هم فوقه من رؤسائه .

وربما كان عمار المساجد ودور العبادة أرقى من عمار المنازل وهؤلاء أرقى من عمار الأماكن المهجورة(١٣٠)

ومما رد في ذلك ما ذكره الإمام مالك في الموطأ أن رجلاً حديث عهد بعرس استأذن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في انتصاف النهار أن يرجع إلى أهله فأذن له ، فقال له : خذ عليك سلاحك فاني أخشى عليك بني قريظة ، فأخذ الفتى سلاحه ومضى ، فرجع إلى أهله، فوجد امرأته قائمة بين البابين فأهوى إليها بالرمح ليطعنها به وقد أصابته الغيرة ، فقالت : اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي أخرجني منه .

فدخل ، فإذا بحية عظيمة منطوية على الفراش فأهوى عليها بالرمح فطعنها ، فاضطربت عليه فنهشته فماتا معاً . .

فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إن هذه البيوت عوامر فإذا رأيتم منها شيئاً

---

(١٢٨) سورة الجن آية ٦ .

(١٢٩) تفسير القرطبي سورة الجن ص ٦٨٠ .

(١٣٠) حقيقة تحضير الأرواح ص ٢٥ .

فحرِّجوا عليها ثلاثاً فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر ، وقال : اذهبوا فادفنوا صاحبكم[١٣١]

واختلف العلماء في التحريج والانذار

فقيل : ثلاثة أيام ، وقيل ثلاث مرات

يقول فيه : أنشدكن بالعهد الذى أخذه عليكم نوح وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ ألا تؤذونا .

ومما يروى في أخبار العمّار والعياذ بهم ، ماروى حول إسلام نصر بن حجاج .

قيل : إنه قدم مكة في ركب ، فأجنهم الليل بواد مخيف ، موحش فقال له : أهل الركب : قم فخذ لنفسك أماناً ولأصحابك ، فجعل يطوف بالركب ويقول :

أعيذ نفسى وأعيذ صحبى   من كل جنى بهذا النقب

حتى أعود سالماً وركبى

فسمع قائلاً يقول :

﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴿٣٣﴾ ﴾[١٣٢]

فلما قدم مكة أخبر كفار قريش بما سمع ، فقالوا : صبأت يا أبا كلاب ، إن هذا الذى قلته يزعم محمد أنه أنزل عليه .

فقال : والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معى .

ثم أسلم وحسن إسلامه ، وهاجر إلى المدينة وابتنى بها مسجداً يعرف به .

القرين :

قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ ﴾[١٣٣]

---

(١٣١) القرطبى تفسير سورة الجن ص ٦٧٩٩ ـ والتحريج التضييق .
(١٣٢) الرحمن ٣٣ .
(١٣٣) الزخرف ٣٦ .

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ۝٢٧ ﴾ ما[134]

القرين والملازم والمصاحب ..

ولكل إنسان قرين من الجن يصاحبه ويلازمه والمؤمن يعينه الله على قرينه فيستسلم له طائعاً ، ويكون مع حفظته من الملائكة ..

روى مسلم : ما منكم من أحد إلا وكل الله به قرينا من الجن ..

قالوا : وإياك يارسول الله ؟ قال : وإياى .. ولكن الله قد أعاننى عليه فأسلم ..

وفى رواية أخرى :

ان عائشة ـ رضى الله عنها ـ حدثت أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج من عندها ليلاً ..

قالت : فغرت عليه .

فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : مالك ياعائشة ، أغرت ؟

فقالت : ومالى لايغار مثلى على مثلك ..

فقال : أوقد جاءك شيطانك ؟

فقالت : يارسول الله ، أو معى شيطان ؟

قال : نعم ، ومع كل انسان .

قالت : ومعك يا رسول الله ؟

قال : نعم ولكن ربى عز وجل أعاننى عليه حتى أسلم ، فما يأمرنى ألا بخير وحق[135]

قال العلماء :

إن القرين يلازم صاحبه ، ويغار عليه ، وإذا أسلم هذا القرين ، يحافظ على صاحبه ، مع الملائكة ، أما إذا ظل على شركه وكفره فكثيراً ما يعنت صاحبه

---

(١٣٤) ق ٢٧ .

(١٣٥) حقيقة تحضير الأرواح ص ٢١ .

وربما أغواه وأضله ..

ولكنه على الرغم من عقيدته يحب جسد صاحبه ويود ألا يفارقه ويكره أن يموت وبخاصة اذا كان الموت غيلة بسبب قتل أو حرق أو غير ذلك ..

ويذكر صاحب كتاب « حقيقة تحضير الأرواح » كلاماً غريباً فى ذلك ، مؤداه أنه اذا حدث لصاحب القرين قتل أو حرق لازم قبره ثم يعود ليتعقب القاتل فينتقم منه .. وينقل قصة نشرتها إحدى الصحف اليومية ، تقول : إن غراباً طارد إسرائيليا فى كل مكان يسير فيه بعد خروجه من منزله ، حتى انهار الاسرائيلى عصبياً وأوشك أن يصاب بالجنون ..

وفسر الكاتب هذه الظاهرة بأن الغراب هو قرين لرجل آذاه هذا الاسرائيلى بصورة ما ، فقرر الانتقام منه بعد أن تشكل فى صورة غراب .. وربما تشكل فى هذه الصورة لأن الغراب يثير التشاؤم وصوته فيه ازعاج .

وقال فى تفسير معنى القرين : القرين يولد من قرينة أم الطفل المتزوجة هى الأخرى من قرين والده .. ويولد مع صاحبه ، وينخس صاحبه عند ولادته فيبكى وهذا هو سر بكاء الطفل عندما ينزل من بطن أمه واستشهد على ذلك بحديث رواه الإمام مسلم قال : ما من مولود إلا نخسه الشيطان بأصبعه فيستهل صارخاً من نخسه ..

والشيطان هو قرينه الذى ولد معه..

ولم يسلم من النخس إلا عيسى ووالدته مريم ـ عليهما السلام ـ لأن أم مريم قالت معوذة لابنتها وذريتها

﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾[١٣٦]

وقال : إن القرين يطابق قرينه وهو ظل ظليل له ..

---

(١٣٦) آل عمران ٣٦ .

ولكنه لا يطابقه فى العمر غالباً ، لأن الجن معروفون بطول العمر . .

كما لا يطابقه أحياناً فى العقيدة فقد يكون الإنسان مسلما وقرينه ليس كذلك .

وهوالذى يوسوس له بترك العبادة وركوب المعاصى واقتراف الشر[١٣٧]

الاستعانة بالجن :

من معجزات سيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ أن الله سخر له الجن .

قال تعالى :

﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[١٣٨]

وقال ـ تعالى ـ

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[١٣٩]

وقال ـ تعالى ـ

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾[١٤٠]

وتسخير الجن معجزة لسليمان عليه السلام أعطاها الله له ومكنه منها ، فكانت الجن تأتمر بأمره ، وتسرع لتنفيذ ما يريد ، وهذا من جملة الملك الذى طلب من الله أن يؤتيه له ولا ينبغى لأحد من بعده . .

وذكر القزوينى فى كتابه ـ عجائب المخلوقات ـ ما روى حول تسخير الله الجن

---

(١٣٧) راجع : حقيقة تحضير الأرواح ص ٢١ .
(١٣٨) سبأ ١٢ ، ١٣ .
(١٣٩) الأنبياء ٨٢
(١٤٠) صورة ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

لسليمان قال :

حكى أن الله تعالى لما سخر الجن لسليمان ـ عليه السلام ـ نادى جبريل ـ عليه السلام ـ أيتها الجن والشياطين أجيبوا بإذن الله ـ تعالى ـ لنبيه سليمان بن داود ، فخرجت الجن والشياطين من المغارات ومن الجبال والآكام ، والأودية والفلوات والآجام ، وهى تقول : لبيك لبيك ، تسوقها الملائكة سوق الراعى لغنمه ، حتى حشرت لسليمان طائعة ذليلة ، وهى يومئذ أربعمائة وعشرون فرقة ، فوقفوا بين يدى سليمان فجعل ينظر إلى خلقها وعجائب صورها ، وهم بيض وسود وصفر وشقر وبلق ، على صور الخيل والبغال والسباع ، ولها خراطيم وأذناب وحوافر وقرون .

فسجد سليمان لله تعالى وقال : اللهم ألبسنى من القوة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم . فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ وقال : إن الله تعالى قواك عليهم ، قم من مكانك ، فقام والخاتم فى اصبعه فخرت الجن والشياطين ساجدة ،ثم رفعت رؤوسها وقالت : يابن داود ، إنا قد حشرنا إليك وأُمِرنا بالطاعة لك . فجعل سليمان ـ عليه السلام ـ يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم ، وهم يجيبونه ، فقال لهم : مالكم صوركم مختلفة وأبوكم الجان واحد ، فقالوا : إن اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا وذنوبنا وتزاوجنا .

فنظر سليمان ـ عليه السلام ـ فرأى المردة يهمون بالفساد ، والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالأعمدة ، فصفد المردة وفرقهم فى الأعمال المختلفة من عمل الحديد والنحاس ، وقطع الأحجار والصخور والأشجار ، وأبنية الحصون ، وأمر نسائهم بغزل القز والإبريسم والقطن ، ونسج البسط والنمارق ، وأمر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل ، وجفان كالجواب ، وقدور راسيات فاتخذوا له قدوراً من الحجارة ، كل قدر يأكل منها ألف نسمة ، وأشغل طائفة منهم بالطحن ، وطائفة بالخبز ، وأخرى بالذبح والسلخ ، وطائفة بالغوص فى البحار لاستخراج الجواهر واللآلىء ، وطائفة لحفر الآبار والقنوات وشق الأنهار ، وطائفة لاستخراج الكنوز من تحت الأرض ، وطائفة بالمعادن واستخراجها وطائفة برياضة الخيل الصعاب .

فأشغل كل طائفة منهم بأمر صعب ليقل فسادهم ، ويقوى ملكه .

قال وهب بن منبه : كان سليمان ـ عليه السلام ـ إذا شرب الماء كلحت الشياطين فى وجهه ،وهو لا يراهم ، لأن الكوز كان يمنعه ، فكره ذلك منهم ، فاتخذ له صخر الجنى الأوانى من القوارير ، كان يشرب منها ولا يمنعه ذلك من رؤية الشياطين ، ثم أمره أن يتخذ له مدينة من القوارير لا تحجب سقوفها وحيطانها شيئاً ، فبنى مدينة على طول عسكر سليمان عليه السلام ـ وعرضه وجعل لكل سبط من الأسباط فيها قصراً فى طول ألف ذراع وعرض مثله ، وفى كل قصر دور ومجالس وبيوت ، وغرف للرجال والنساء ، ثم بنى مجلساً فى طول ألف ذراع وعرض مثله ، ليجلس فيه العلماء والقضاة ، ثم بنى لسليمان ـ عليه السلام ـ قصراً رفيعاً عجيباً فى طول خمسة آلاف ذراع وعرضه مثله وزخرفه بأنواع القوارير ، ورصعه بأنواع الجواهر .

وكان سليمان ـ عليه السلام ـ اذا ركب الريح على بساطه فى هذه المدينة يرى كل شىء فيها لصفاء القوارير ، حتى الطباخين والخبازين ، وجميع من ركب بساطه من الجن والإنس والخيل والخدم والحشم ، وكان الكل بمرأى من سليمان ـ عليه السلام ـ على صور عجيبة : منهم من كانت وجوههم إلى أقفيتهم ، ويخرج النار من فيه ، ومنهم من كان يمشى على أربع ، ومنهم من كانت رؤوسهم رؤوس الأسد وأبدانهم أبدان الفيلة .

فرأى سليمان ـ عليه السلام ـ شيطاناً نصفه صورة كلب ونصفه صورة السنور له خرطوم طويل ، فقال له : من أنت ؟ فقال . أنا مهر بن هفان بن فيلان : فقال سليمان : ما عندك من الأعمال ؟ فقال : عندى عمل الغناء وعصر الخمر وشربه ، وأزين الشرب والغناء لبنى آدم فأمر بتصفيده . .

ثم مر به شيطان آخر قبيح الشكل أسود ، له سمج الكلاب ، والدم يقطر من كل شعرة على بدنه ، وهو قبيح الشكل جداً ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الهلهال بن الفحول . فقال له : ما عملك ؟ فقال : سفك الدماء ، فأمر بتصفيده ، فقال : يانبى الله لا تقيدنى . فإنى أحشر إليك الجبابرة من الأرض وأعطيك العهد والميثاق أن لا أفسد فى مملكتك ، فأخذ عليه الميثاق وختم على عنقه وأطلقه .

ومر به آخر فى صورة قرد له أظفار كالمناجل ، وهو قابض على بربط ، فقال له : من أنت ؟ فقال : أنا مرة بن الحارث ، فقال له : ما عملك ؟ فقال : أنا أول من وضع هذا البربط وحركه فلا يجد أحد لذة الملاهى إلا بى . فأمر بتصفيده(١٤١)

الناس والاستعانة بالجن :

ليس هناك ما يمنع من أن يعطى الله القدرة لمن يشاء على تسخير الجن . . إلا أن هذا باب قد يدخل منه الصادق والكاذب ، والدجالون فى هذا الميدان كثيرون . .

ومن أعطاه الله القدرة على تسخير الجان يجب عليه أن يمتاز بالصلاح والتقوى ولا يستغل هذه القدرة فى استنزاف موارد الناس المالية كما يحدث من مدعى القدرة على ذلك . .

والصادق لا يسخر الجن إلا فى الخير . وهذا سيدنا سليمان لم يستعمل الجن إلا فى تنفيذ أعمال خيرية تعميرية وفى مقدمتها بناء بيت المقدس .

وقد استجاب له عفريت ـ والعفريت هو المارد القوى ذو الدهاء والمكر ـ حين طلب عرش بلقيس فعرض عليه نقله إليه فى فترة وجيزة ، وحكى القرآن ذلك بقوله :

﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(١٤٢)

ولكن سليمان أعرض عنه ، وَنَقِل العرش إليه بواسطة من عنده علم من الكتاب ، فكان أسرع فى نقله من العفريت . .

وقد حكى رواة الأخبار كثيراً من قصص الاستعانة بالجن ، فى تحقيق الأغراض ، كما تحدثوا عن السحر ـ الذى ستتحدث عنه حديثاً خاصاً إن شاء الله ـ وعن قدرة السحر على تسخير الجن والشياطين . .

---

(١٤١) القوزينى ـ كتاب عجائب المخلوقات ص ٢٦٠ والبربط : العود فارسى معرب وهو من آلات الملاهى .

(١٤٢) النمل ٣٩

وفى العهد القديم إشارات إلى إمكانية تسخير الجن والشياطين لدى بعض الناس .

جاء فى الاصحاح الثامن والعشرين : « قال شاول لعبيده : فتشوا لى عن امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها . فقال له عبيده : هوذا امرأة صاحبة جان فى عين دور . فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلاً وقال لها : اعرفى لى بالجن وأصعدى لى من أقول لك . فقالت له المرأة : أنت تعلم ما فعل شاول كيف قطع أصحاب الجن والتوابع من الأرض ، فلماذا تضع شركاً لنفسى لتميتها . فحلف لها شاول بالرب قائلاً : إنه لا يلحقك إثم فى هذا الأمر ، فقالت المرأة : من أصعد لك ؟

فقال لها : أصعدى لى صموئيل . فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم ، وكلمت شاول قائلة : لماذا خدعتنى وأنت شاول . فقال لها الملك : لا تخافى . . »(١٤٣)

فهذا النص يشهدنا أن هناك من كان يستعين بالجن ، وأن هناك امرأة كانت لها القدرة على ذلك . .

وقد تتابع ذلك فى العصور ، حتى جاء العصر الجاهلى وكثرت فيه الكهانة ، وحفظت لنا الروايات أخباراً فى ذلك ، منها على سبيل المثال ما جاء فى شأن عبد المطلب حين هم بذبح ابنه عبد الله وفاء بنذره الذى كان قد نذره : لئن رزقه الله بعشرة ذكور ليذبحن أحدهم . .

فقالت له قريش : لاتفعل ، وانطلق به إلى الحجاز فإن به عرافة لها تابع فَسَلْهاَ ، وأنت على رأس أمرك ، إن أمرتك بذبحه ذبحته ، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته ، فانطلقوا حتى قدموا المدينة ، فوجدوها ـ فيما يزعمون ـ بخيبر ، فركبوا حتى جاءوها ، فسألوها ، وقص عليهاعبد المطلب خبره وخبر ابنه ، وما أراد به ونذره فيه ، فقالت لهم : ارجعوا عنى اليوم حتى يأتينى تابعى فأسأله فرجعوا من عندها ، فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ، ثم غدوا إليها ، فقالت لهم : قد جاءنى الخبر ، كم الدية فيكم ؟ . .(١٤٤) إلى آخر القصة

(١٤٣) العهد القديم ـ سفر صموئيل الأول ـ الاصحاح السابع والعشرون .

(١٤٤) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٦٦

وقد مر ذكرها فى العدد الخاص عن زمزم .

كانت الكهانة فاشية فى العرب ، ومثلها العرافة ، وقيل : هما شيء واحد وهو الإخبار بالمغيبات ماضية أو مستقبلية أو حالية ، اعتماداً على القرائن أو على النجوم أو الجن .. أو بقياس المستقبل على الماضى ..

وكان العرب يفزعون إلى كهانهم فى تعرف الحوادث أو الفصل فى الخصومات أو علاج المرضى أو معرفة المستقبل أو تعبير الرؤى ، كما كان الحال عند غيرهم من الأمم القديمة كمصر وبابل وغيرهما .

حتى جاءت الشريعة الإسلامية فأبطلت ذلك ، ونهى النبى - صلى الله عليه وسلم - عن تصديق الكهنة أو إتيانهم ، وقال فى ذلك : (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد)

وذلك لكثرة الكذب فيما يخبر به هؤلاء ، ولما يقع من وراء ذلك من استغلال سيء للسذج من الناس الذين يصدقون ما يقال لهم ، ولما فى ذلك من إضلال للعقول وتزييف للوقائع وإثارة للشكوك والأكاذيب .

ويظن بعض الناس أن الكهانة نقلت إلى العرب على يد الصابئة مع المعارف بالنجوم مستدلين بأن العرب يسمون الكاهن (حازياً) وهذا اللفظ كلدانى معناه الناظر أو البصير ، ويدل عندهم على الحكيم والنبى .

فكان الكهنة ببلاد العرب من الصابئة أولاً ، ثم اليهود ، وبعد ذلك ظهرت فى العرب ، وادعاها منهم رجال ونساء كثيرون .

ومن أشهر هؤلاء عراف اليمامة الذى كان اسمه : رباح بن عجلة ، وعراف نجد واسمه : الأبلق الأسدى ، وفيهما يقول الشاعر :

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفيانى

فقالا : شفاك الله ، والله مالنا ... بما حملت منك الضلوع يدان

وقد اشتهر فى الجاهلية كاهنان متعاصران أما أحدهما فشق وأما الآخر فسطيح ، وقد ولدا فى يوم واحد ، وهو اليوم الذى توفيت فيه كاهنة مشهورة أيضاً اسمها (طريفة) كانت من حمير ، وهى التى تنبأت بتهدم سد مأرب ، ويقال : إنها قبل أن تموت دعت بكل من شق وسطيح فتفلت فى فميهما ، وقد

عمرا طويلاً .

وكان شق ـ واسمه : شق بن صعب بن يشكر بن رهم ينتهي نسبه إلى نزار ـ نصف إنسان . له يد واحدة ورجل واحدة ، وعين واحدة وأذن واحدة . . هو شق إنسان . . وكان سطيح ـ واسمه ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن ينتهي نسبه إلى غسان ـ ولقب بسطيح لأنه لم يكن فى جسمه عظم ، وكان منسطحاً على الأرض لا يقدر على قيام ولا قعود وكان وجهه فى صدره ، وليس له رأس ولا عنق .

وعجائب المخلوقات ـ كما يقول الشيخ عبد الجواد رمضان ـ كثيرة ، ولكن يظهر أن مانسب الى هذين الكاهنين مبالغ فيه . .

ومازالت العامة تتأثر بعجيبى الخلقة وتثق بأخبارهم وتظن أنهم مستودع الأسرار ومحل عطف الخالق القهار . .(١٤٥)

ومن الأخبار الشائعة حول هذين الكاهنين تلك الرؤيا التى أشار اليها ابن هشام فى السيرة وغيره من الرواة . قال :

« رأى مالك بن نصر اللخمى رؤيا هالته ، فبعث إلى جميع الكهان ، فقال لهم : إنى رأيت رؤيا فظعت بها ، فقالوا : قصها علينا نخبرك بتأويلها ، فقال : لا أصدق فى تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها ، فقالوا : لا يقدر على ذلك إلا شق وسطيح .

فأحضر سطيح ، فسأله : فقال : رأيت حممة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بأرض تهمة ، وأكلت منها كل ذات جمجمة .

فقال مالك : صدقت ، فما تأويلها ؟

فقال سطيح : أحلف بما بين الحرتين من حنش ، ليهبطن أرضكم الحبش ، وليملكن ما بين أبين إلى جرش .

فقال مالك : إن هذا لنا لغائظ ، فهل هو فى زمنى أو بعده ؟

فقال : بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين .

---

(١٤٥) الادب العربى وتاريخه فى العصر الجاهلى لعبدالجواد رمضان وحامد مصطفى ص ١٣١ .

قال : أفيدوم لهم ملكها أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع بعد بضع وسبعين من السنين .. ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين .

قال : ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟

قال : يليه إرم بن ذى يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن ؟

قال : أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع ..

قال : ومن يقطعه ؟

قال : نبى زكى ، يأتيه الوحى من العلى ..

ثم سأل شقا ، كما سأل سطيحاً . فقال له :

رأيت حممة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نسمة .

قال : أصبت ، فما عندك من تأويلها ؟

فقال : أحلف بما بين الحرتين من انسان ، لينزلن أرضكم السودان وليملكن ما بين أبين إلى نجران .

فقال : إن هذا لنا لغائظ ، فهل يكون فى زمانى أو بعده ؟

قال : بعده بزمان ، ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شأن ، ويذيقهم أشد الهوان .

قال : ومن هذا عظيم الشأن ؟

قال : غلام ليس بدنى ولا مدن ، يخرج عليهم من بيت ذى يزن .

قال : أفيدوم سلطانه أم ينقطع ؟

قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ، يكون الملك فى قومه إلى يوم الفصل ..[146]

---

(١٤٦) سيرة ابن هشام ص ١١

والحممة : القطعة من النار ، والتهمة : لغة فى تهامة وهى الأرض المتصوبة إلى البحر ـ والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء ـ والحنش : الحية . جرش : على وزن عمر : مخلاف باليمن جهة مكة .

التبشير بالنبى

وهذا الخبر يشير إلى تبشير كل من الكاهنين ببعثة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تواترذلك على ألسنة الكهان يتلقونه عن تابعيهم من الجن ، وقد أخبر بذلك كثير من الرواة ، وأورد من ذلك ابن ظفر فى كتابه « خير البشر بخير البشر » جملة صالحة من الأخبار ، ومن ذلك :

قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يوماً لابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : حدثنى بحديث تُعَجِّبنى به .

قال : حدثنى أبو خزيم بن فاتك الأسدى أنه خرج يوماً فى الجاهلية فى طلب إبل قد ضلت . فأصابها فى « أبرق العزاف » ـ هو اسم مكان سمى بذلك لأنه يسمع فيه عزيف الجن ـ

قال فعقلتها وتوسدت ذراع بكر منها . ثم قلت : أعوذ بعظيم هذا المكان ـ وفى رواية بكبير هذا الوادى ـ

قال : واذا بهاتف يهتف بى ويقول :

ويحك عذ بالله ذى الجلال — منزل الحرام والحلال

ووحد الله ولا تبال — ماهول ذا الجنى من الأهوال

فقلت :

يا أيها الداعى فما تخيل — أرشد عندك أم تضليل

فقال :

هذا رسول الله ذو الخيرات — جاء بياسين وحاميمات

وسور بعد مفصلات — يدعو إلى الجنة والنجاة

يأمر بالصوم وبالصلاة — ويزجر الناس عن الهنات

قال : فقلت من أنت أيها الهاتف يرحمك الله ؟

قال : أنا مالك بن مالك ، بعثنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى جن أهل نجد .

قال : فقلت لو كان لى من يلى إبلى هذه لأتيته حتى أومن به .

فقال : إن أردت الإسلام فأنا أكفيكها حتى أردها إلى أهلك سالمة إن شاء الله تعالى .

قال : فامتطيت راحلتى ، وقصدت المدينة ، فقدمتها فى يوم جمعة ، فأتيت المسجد فإذا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يخطب ، فأنخت راحلتى بباب المسجد وقلت : ألبث حتى يفرغ من خطبته .

فإذا أبو ذر قد خرج فقال : إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أرسلنى إليك ، وهو يقول لك : مرحباً بك ، قد بلغنى إسلامك ، فادخل فَصَلِّ مع الناس .

قال : فتطهرت ودخلت فصليت ، ثم دعانى وقال : ما فعل الشيخ الذى ضمن أن يرد إبلك إلى أهلك ؟ أما إنه قد ردها إلى أهلك سالمة .

فقلت : جزاه الله خيراً ورحمه الله .

فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أجل رحمه الله فأسلم وحسن إسلامه(١٤٧)

وهذا الخبر يدلنا على بشارة الجن بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد كانت الجن تعلم ببعثه من لدن انقطاع خبر السماء عنها ورجمها بالشهب .

وقد جاء على لسانهم فى القرآن الكريم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾(١٤٨)

وقد وردت فى حراسة السماء ورجم الشيطان أخبار . قال القرطبى نقلاً عن عبد الله بن عمر : لما كان اليوم الذى نبىء فيه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منعت الشياطين ورموا بالشهب(١٤٩)

ونقل عن عبد الملك بن سابور قوله : لم تكن السماء تحرس فى الفترة بين عيسى ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ فلما بعث محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حرست السماء ورميت الشياطين بالشهب ومنعت من الدنو من السماء .

---

(١٤٧) خير البشر بخير البشر لابن ظفر ـ مخطوط ـ ص ١١٩ .
(١٤٨) الجن ٨ ، ٩ .
(١٤٩) تفسير القرطبى ـ سورة الجن ـ ص ٦٨٠٥ .

وقال نافع بن جبير : كانت الشياطين فى أيام الفترة تسمع فلا ترمى ، فلما بعث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رميت بالشهب ..

الجن واستراق السمع ، وعلم الغيب :

كانت الجن تسترق السمع ، تصعد إلى السماء ، وتتلقف الأخبار فربما وصل إلى سمعها حديث الملائكة ، وربما كان فى أثناء هذا الحديث إخبار بالنبى الموعود .

فلما بعث ـ صلى الله عليه وسلم ـ منعت من الاستراق ، وكان ذلك من علامات النبوة وإشارات البعث ..

ويتطرق الحديث هنا إلى علم الجن بالغيب ..

فهل كانت الجن تعلم الغيب ؟

الحقيقة التى لا شك فيها أن الجن لا يعلمون الغيب مصداقاً لقوله تعالى فى حق سليمان :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ (١٥٠)

فهذا نص صريح على أنهم لا يعلمون الغيب .. ولو كانوا يعلمون الغيب لعرفوا أن سليمان قد لقى ربه منذ عام ..

وقصة ذلك كما وردت فى كتب التفسير :

أمر سليمان الجن ببناء بيت المقدس ، فلما دنت وفاته قال لأهله : لاتخبروهم بموتى حتى يتموا بناء المسجد ، وكان قد بقى لاتمامه سنة .

وكان ملك الموت قد وضع له علامة دنو وفاته ، وهى أن تخرج فى موضع سجوده شجرة يقال لها « الخروبة » .

فظهرت هذه الشجرة يوما فسألها : ماسمك ؟ وكانت تلك عادته حين تظهر نبتة جديدة ، يسألها عن اسمها ومنافعها ثم يغرسها فى بستان له ـ

فقالت له : اسمى الخروبة .. فعلم سليمان أن أجله قد حان .

---

(١٥٠) سبأ : ١٤ .

فقال : اللهم غم عن الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب . .

•كانت الجن تخبر الإنس أنهم يعلمون من الغيب أشياء . . وأنهم يعلمون مافى غد . .

وقام سليمان يصلى واتكأ على عصاه فمات ولم تعلم الجن إلى أن مضت سنة وتم بناء المسجد . .

وكانت الأرضة قد رعت العصا وأكلتها ، فسقطت ، وسقط سليمان فتنبهت الجن لموته حينذاك . .

ولكن يبدو أن الجن لم تكن مسخرة فى ذلك الوقت فى بناء المسجد ، ولكنها كانت مسخرة فى بناء شىء آخر سوى المسجد ، لأن المشهور عند العلماء أن بناء المسجد تم فى حياة سليمان لا بعد موته . .

وأنه بعد أن أتمه جعل هذا اليوم عيداً ، وقام على الصخرة المقدسة ودعا بهذا الدعاء :

اللهم أنت وهبت لى هذا السلطان وقويتنى على بناء هذا المسجد ، اللهم فاوزعنى شكرك على ما أنعمت على وتوفنى على ملتك ، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى ، اللهم إنى أسألك لمن دخل هذا البيت خمس خصال : لا يدخله مذنب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ، ولا خائف إلا أمنته ، ولا سقيم إلا شفيته ، ولا فقير إلا أغنيته ، وأن لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه إلا من أراد الحاداً أو ظلماً يارب العالمين(١٥١)

أما ما توهمه الناس من علم الجن بالغيب فقد كان من قبيل اختطافهم الأخبار من السماء ، وهذا ما أخبر به الله تعالى بقوله :

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ (١٥٢)

---

(١٥١) تفسير القرطبى ـ سورة سبأ ـ ص ٥٣٦٣ .
(١٥٢) الصافات ٦ : ١٠ .

روى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : بينما النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالس فى نفر من أصحابه إذ هوى نجم فقال : ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية ؟ قالوا : كنا نقول : يموت عظيم أو يولد عظيم .

فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ، ولكن ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ إذا قضى أمراً فى السماء سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل كل سماء حتى ينتهى التسبيح إلى هذه السماء ، يستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كل سماء حتى ينتهى الخبر إلى هذه فتتخطفه الجن فيرمون بالشهب ، فما جاءوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه(١٥٣)

وروى فى ذلك أن الشياطين تصعد إلى السماء فتقعد للسمع واحداً فوق واحد ، فيتقدم الأجسر نحو السماء ثم الذى يليه ثم الذى يليه ، فيقضى الله تعالى لأمر من أمر الأرض فيتحدث به أهل السماء فيسمعه منهم الشيطان الأدنى فيلقيه الى الذى تحته فربما أحرقه شهاب وقد ألقى الكلام .وربما لم يحرقه فتنزل تلك الكلمة إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة ، وتَصْدُق تلك الكلمة ، فيصدِّق الجاهلون الجميع ..

وعلى هذا فلا علم للجن بالغيب والله ـ تعالى ـ يقول :

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴿٢٧﴾﴾(١٥٤)

وما يزعمه الكهان قديماً من معرفتهم بالغيب فإنما هو من قبيل ما كان يتخطفه الجن من أخبار السماء فيلقونه اليهم ، فلما بعث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ انقطع ذلك تماماً

وأما ما يزعمه الزاعمون الآن من معرفة بالغيب فذلك افتراء وباطل فإن الجن والشياطين لا يستطيعون استراق السمع أو الاقتراب من السماء ..

على أن الغيب أنواع منه معرفة ما يدور فى المستقبل وهذا يستحيل معرفته على جن أو غيره ..

ومنه معرفة ما كان فى الماضى أو الحاضر مما لا علم لنا به .. وهذا ليس غيبا على من يعرفه ، بل هو غيب بالنسبة لمن لا يعرفه ..

---

(١٥٣) القرطبى تفسير سورة الجن .
(١٥٤) الجن ٢٦ ، ٢٧ .

فعلماء الآثار مثلاً ـ يعلمون عن أخبار الماضين ما لايعرفه غيرهم ..

وأهل الخبرة والعلم يعرفون من الأسرار ما لايعرفه غيرهم ..

وما يحدث فى هذا المكان الآن غيب بالنسبة لمن لا يقيمون فيه ، كما أن ما يحدث فى أى قطر آخر هو غيب بالنسبة لنا ..

وهذا الغيب النسبى ليس مستحيلاً معرفته ، فقد يتمكن الذى لديه القدرة على تسخير الجان أن يسألهم عما يريد من أخبار مضت أو حدثت فى التو فيجيبون إما بالانتقال إلى مكان الحادث أو بسؤال إخوانهم من عمار المكان الذين يقيمون فيه عما أرادوا من أحداث فيخبرونهم فيلقونها الى متبوعيهم .. ومن هذا ندرك كذب من يخبر عما يحدث فى المستقبل .. وقد جاء فى الأثر كذب المنجمون ولو صدقوا .. والمنجمون هم الذين يستنطقون النجوم ويخبرون الناس بما يحدث لهم فى مستقبل أيامهم ..

وقد بطلت الكهانة برسالة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى ذلك : ليس منا من تكهن ..

ومن يزعم أن له صلة بالجن وأنها تأتيه بالأخبار فذلك أفاك أثيم بنص القرآن

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٣) ﴾ (١٥٥)

من عادة الجن الكذب

جاء فى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة : قال : وكلنى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحفظ زكاة رمضان ، فأتانى آت فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته وقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : إنى محتاج ولى عيال ولى حاجة شديدة ، فخليت عنه ، فأصبحت ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا أبا هريرة ، ما فعل أسيرك البارحة ؟

قلت : يارسول الله شكا الحاجة الشديدة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله ..

قال : أما إنه قد كذبك وسيعود ، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ـ صلى

---

(١٥٥) الشعراء ٢٢١ : ٢٢٣ .

الله عليه وسلم ـ فرصدته فجاء يحثو من الطعام ، فأخذته فقلت : لأرفعنك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : دعنى فإنى محتاج ولى عيال ولن أعود ، فرحمته فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يا أبا هريرة ما فعل أسيرك ؟

قلت : يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته ، وخليت سبيله . .

قال : إما إنه كذبك وسيعود

فرصدته الثالثة ، فجاء يحثو من الطعام فأخذته ، فقلت : لأرفعنك الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا آخر ثلاث مرات ، إنك تزعم لا تعود ثم تعود .

قال : دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بها .

قلت : ماهن ؟

قال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى . . الله لاإله إلا هو الحى القيوم ، حتى تختم الآية فإنك لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت سبيله ، فأصبحت ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مافعل أسيرك البارحة ؟

قلت : يارسول الله زعم أنه يعلمنى كلمات ينفعنى الله بها ، فخليت سبيله . .

قال : ماهى ؟

قلت : قال لى : إذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى من أولها حتى تختم الآية : الله لاإله إلا هو الحى القيوم . .

وقال لى : لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ـ وكانوا أحرص الناس على الخير ـ فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما إنه صدقك وهو كذوب . .

تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟

قلت : لا

قال : ذاك شيطان[١٥٦]

---

(١٥٦) الجن لابن تيمية ص ٦٦ ط مكتبة الايمان .

فقد أخبر النبى - صلى الله عليه وسلم - بكذب الجن فيما يخبرون به وقد كذب الشيطان على أبى هريرة - رضى الله عنه - فى هذه القصة مرتين .. ولولا خوفه من عقاب النبى - صلى الله عليه وسلم - لاستمر فى الكذب ..

وهم أشد كذباً بالنسبة لأوليائهم من الإنس ..

هذا وليس ببعيد أن يكون قصد الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله هذا شيطان . إنه شيطان من الإنس .... ولانجاة للإنسان من شرهم إلا بالإستعاذة بالله منهم ..

ولاتجدى الاستعاذة باللسان ، مالم يصحبها الاخلاص وحسن النية ، وقوة العقيدة ورسوخ الإيمان وأنه بعمق الإيمان وصدق العقيدة وقوة الالتجاء الى الله يتمكن المسلم من التغلب على الشيطان والسيطرة عليه بل والتحكم فيه ..

النبى يقهر الشيطان

وقد جاء فى الصحيحين عن أبى هريرة أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : إن الشيطان عرض لى فشدَّ علىَّ ليقطع الصلاة علىَّ ، فأمكننى الله منه ، فذعته - أى خنقته أو دفعته - ولقد هممت أن أوثقه الى سارية حتى تصبحوا فتنظروا إليه ، فذكرت أخى سليمان « رب هب لى ملكاً لا ينبغى لأحد من بعدى » وقد رد الله الشيطان عنى خاسئاً .

وإن الشيطان عدو الله ، وعدو أوليائه وأصفيائه وربما زين له غروره التصدى للنبى - صلى الله عليه وسلم - كما يتصدى لغيره .. ولكن الله أمكن النبى منه فارتد على أعقابه خاسئاً .

وقد أعطى الله للمؤمن سلاحاً قوياً يقهر به كيد الشيطان ومكره ..

وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق ونذكر المؤمن بقوله - تعالى -

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

(ـــ) الأعراف ٢٠٠ : ٢٠١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

السحر والسحرة في القرآن الكريم

- مزاعم يهودية عن ملك سليمان.
- مفهوم السحر...
- كلمة السحر في القرآن الكريم...
- قصص السحر في القرآن...
- هاروت وماروت...
- سحرة فرعون...
- النفاثات في العقد....
- قول المشركين عن القرآن بأنه سحر.
- من متعلقات السحر:

  تحضير الأرواح

  التنجيم

  قراءة الكف والفنجان

  الزار

  الرقى والتمائم

- دعاء يبطل السحر..

مزاعم اليهود عن ملك سليمان:

جاء فى كتاب « أسباب النزول للسيوطى » فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]

أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال : قالت اليهود : انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء ، أفما كان ساحراً يركب الريح ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وأخرج ابن حاتم عن أبى العالية أن اليهود سألوا النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أمور من التوراة لا يسألونه عن شىء من ذلك إلا أنزل الله ما سألوا عنه فلما رأوا ذلك قالوا :

هذا أعلم بما أنزل إلينا منا ، ثم أنهم سألوه عن السحر ، فأنزل الله : « واتبعوا ما تتلو الشياطين . . »[2]

---

(١) البقرة ١٠٢

(٢) أنظر لباب النقول فى أسباب النزول ص ١٤ ط دار التحرير

فمن هذه الأخبار ندرك أن اليهود زعموا أن ملك سليمان قد قام على السحر ، وشبهتهم فى ذلك ما كان يقوم به من أعمال خصه الله بها ، ولم يقم بها أحد غيره ممن تقدمه من الأنبياء كتسخير الريح ، وتسخير الجن والشياطين التى كانت تقوم له بمختلف الأعمال التى سبق أن أشرنا اليها فيما سبق . .

والآية التى سقناها فى بداية هذا الحديث تبطل مزاعم اليهود ، وتثبت أن سليمان ـ عليه السلام ـ لم يكن ساحراً ، ولكنه كان نبياً مؤيداً بالمعجزات ، أما الذين اتبعوا السحر فهم هؤلاء الذين أخطأوا الحق فى شريعة موسى ، واتبعوا ما تتلو الشياطين . .

وكثير من اليهود ينكرون نبوة سليمان ـ عليه السلام ـ وينظرون إليه على أنه ملك من ملوك الدنيا ، أقام ملكه على السحر وتسخير الشياطين .

وقد جاء الاسلام لينزه أقدار الأنبياء ، ويؤكد قوة اتصالهم بالله وأن الله أمدهم بمعجزات من عنده تثبت نبوتهم وتصدق أقوالهم فيما أخبروا به عن ربهم . .

ولقد جاءت هذه الآية المتقدمة بعد آية أخرى تتحدث عن اليهود بأنهم نبذوا التوراة وراء ظهورهم ، وكذبوا بالقرآن الذى جاء مصدقاً للتوراة . . وهذه الآية هى قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) ﴾ (٣)

---

(٣) سورة البقرة ١٠١

وكلا الكتابين يثبت العصمة للأنبياء والتبرأ من باطل الشياطين ولغوهم .

وان من باطل الشياطين السحر الذى أغتر به كثير من الناس ، وأقبلوا عليه يتعلمونه ويعلمونه وقد ضل بسبب ذلك كثير منهم ، ولحقهم الضر والأذى مما حدا بنا إلى إفراد السحر بحديث خاص بعد حديثنا عن الجن .

مفهوم السحر :

قال الأزهرى : أصل السحر صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره ، فكأن الساحر لما صور الباطل فى صورة الحق وخيل الشيء على غير حقيقته قد سحر الشيء عن وجهه أى صرفه . وقوله تعالى فى القرآن الكريم :

﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾[٤] معناه : فأنى تصرفون ، ومثله قوله تعالى:

﴿ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[٥]

فالإفك والسحر سواء ، والعرب يقولون : ما سحرك عن وجه كذا وكذا ؟ أى ما صرفك ؟[٦] .

وقال القرطبى : السحر أصله التمويه بالحيل والتخاييل ، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعانى ، فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هى عليه ، كالذى يرى السراب من بعيد فيظن أن ما يراه ماء ، وكراكب السفينة السائرة سيراً حقيقياً يخيل إليه أن ما يراه من الأشجار والجبال سائرة ، وهو مشتق من سحرت الصبى إذا خدعته كما قال لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

وسحرت الصبى إذا غذيته أو خدعته

---

(٤) المؤمنون ٨٩

(٥) الأنعام ٩٥ ، ويونس ، ٣٤ ، وغافر ٦٢

(٦) لسان العرب لابن منظور جـ٣ صـ١٩٥٢

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٧)

أى من الذين يغذون بالطعام والشراب أو من المخدوعين

ومن ذلك قول الشاعر :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب

أى نغذى أو نخدع .

ومن معانى السحر الفساد ، وطعام مسحور إذا فسد ، وأرض مسحورة إذا أصابها المطر أكثر مما ينبغى فأفسدها ، ومن معانى المادة أنها تدل على الخفاء .

فالسحر ـ بسكون الحاء وفتحها ـ والسحر بضم السين وسكون الحاء .

ما لصق بالحلقوم والمرىء من أعلى البطن وهو الرئة ، ويقال للجبان : انتفخ سحره أى ملأ الخوف جوفه ، حتى رفع القلب إلى الرئة وهو ما ينطبق عليه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾ (٨)

ومن السحر بمعنى الرئة قول عائشة ـ رضى الله عنها ـ « توفى النبى ـ صلى الله عليه سلم ـ بين سحرى ونحرى » أى توفى مستنداً إلى صدرها .

ومن معانى السحر الأخذة ـ يقال فلان مأخوذ أى مشدوه حين يرى أو يسمع ما يذهله أو يؤثر فيه .

والسحر يطلق على البيان المؤثر فى النفس فى فطنة وذكاء ، ومنه قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « إن من البيان لسحراً » وقد أورد الحصرى فى زهر الآداب هذا المثل النبوى الكريم غير المسبوق .

---

(٧) الشعراء ١٥٣

(٨) الأحزاب ١٠

وقصة ذلك كما جاءت فى كتب السنن والرواة : أن قيس بن عاصم المنقرى والزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم قدموا على النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فسأل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن الأهتم عن الزبرقان بن بدر . . فقال عمرو : « مانع لحوزته مطاع فى أدنيه » فقال الزبرقان : يارسول الله إنه يعلم من شرف أكثر مما قال ولكنه حسدنى شرفى . . فقال عمرو : « أما لئن قال ما قال فو الله ما علمته إلا ضيق الصدر زَمِر المروءة ، لئيم الخال ، حديث الغنى » .

فلما رأى أن قوله الآخر خالف قوله الأول ، ورأى الإنكار فى عينى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « يارسول الله رضيت فقلت : أحسن ما علمت ، وغضبت فقلت أقبح ما علمت ، وما كذبت فى الأولى ولقد صدقت فى الآخرة » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً »[9] .

وقد تناول أهل اللغة هذا الحديث بالتعليق فقال أبو عبيد :

كأن المعنى ـ والله أعلم ـ أنه يبلغ من ثنائه أنه يمدح الانسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكأنه قد سحر السامعين بذلك .

ومما يروى فى تأثير الكلام حتى يوصف بأنه سحر حلال ما ذكره الحصرى أيضاً من أن غلاماً دخل مع وفد الحجاز يهنىء عمر بن عبد العزيز بالخلافة ، فأراد أن يتكلم ، فقال له عمر : يا غلام ليتكلم من هو أسن منك . . فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، إنما المرء بأصغرية قلبه ولسانه ، فإذا منح الله عبده لساناً طلقاً وقلباً حافظاً فقد أجاد له الاختيار ، ولو أن الأمر بالسن لكان هاهنا من هو أحق منك بمجلسك ، فقال عمر : صدقت . . تكلم فهذا هو السحر الحلال .

(٩) البيان والتبيين حـ١ ص٥٣ . . زَمِر المروءة : قليلها

وقد أخذ أبو تمام عبارة السحر الحلال فضمنها قوله معاتباً صديقاً :

فأين قصائد لى فيك تأبى ... وتأنف أن أهان وأن أذللا
هى السحر الحلال لمجتليه ... ولم أر قبلها سحراً حلالاً (١٠)

أما قول النبى - صلى الله عليه وسلم - إن من البيان لسحراً . فقد خرجه بعضهم مخرج الذم ، حيث ان صاحب البيان صوّب الباطل حتى توهمه السامع أنه حق . .

وخرجه آخرون مخرج المدح حيث ان صاحب البلاغة والبيان قادر على استمالة القلوب وإرضاء الساخط واستنزال الصعب .

وعلى كل فالبلاغة فى الكلام تكون محمودة إذا كانت فى أداء الحق وتأكيده وتقويتُه فى النفوس ، وهى مذمومة اذا ألبست الباطل ثوب الحق وموهت على الناس وزيفت الحقائق .

كلمة السحر فى القرآن :

وقد وردت كلمة السحر ومشتقاتها فى القرآن الكريم فى ثلاثة وستين موضعاً .

تتناول فى كثير منها وصف الكافرين للقرآن وما جاء به الأنبياء من آيات بالسحر ، ووصف الأنبياء بالسحرة .

فمما جاء فى وصف الكفار للقرآن بأنه سحر قوله - تعالى -

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا

---

(١٠) زهر الآداب جـ ١ ص ٤٠

جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [11]

﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [12]

وقوله تعالى حكاية عن الوليد بن المغيرة :

﴿ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [13]

ومما جاء فى وصف ما جاء به الأنبياء من آيات بالسحر قول الكفار فى حق موسى ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [14]

وما قالوه فى حق عيسى :

﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [15]

وذلك فى اثر ما رأوه من إبرائه الأبرص والأعمى وإحيائه الموتى وجعله من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله .

ومما جاء فى وصف الأنبياء بأنهم سحرة قوله ـ تعالى ـ على لسان آل فرعون فى حق موسى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [16]

---

(١١) سبأ ٤٣

(١٢) الزخرف ٣٠

(١٣) المدثر ٢٣ ـ ٢٥

(١٤) القصص ٣٦

(١٥) المائدة ١١٠

(١٦) الأعراف ١٠٩

وما جاء على لسان الكفار فى كل زمان فى حق أى نبى مبعوث

﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (١٧)

لقد كثر فى القرآن الكريم ما جاء فى وصف موسى بالسحر ، لأن معجزته كانت فى تحدى السحر الذى كان رائجاً فى قوم فرعون ، ومن ثم ألقى عصاه التى تلقفت عصى السحرة الذين حشرهم فرعون لتحدى موسى . وسوف نعرض لذلك بالتفصيل بعد قليل .

وقد كان وصف الأنبياء بالسحرة ووصف آياتهم بالسحر سنة متبعة لدى الكفار ، لأن دعوة الأنبياء غريبة على الأذهان ، وهى تحاول صرف العقول عن عقيدة إلى عقيدة وعن رأى إلى رأى آخر ، ومنطق الحق قوى وحجته واضحة وبرهانه ساطع يأخذ بمجامع القلوب ويستولى على مشاعر أصحاب الفطر السليمة من الناس . .

إلا أن هناك قصصاً فى القرآن الكريم عرضت أحداثاً أو أشارت إلى أحداث حول السحر وأثره فى النفوس . . فمن القصص التى وردت فى القرآن :

قصة هاروت وماروت

قصة موسى مع السحرة

قصة النفاثات فى العقد

قصة الوليد بن المغيرة حين سمع القرآن الكريم

وسنعرض لكل من هذه القصص بالتفصيل . .

---

(١٧) الذاريات ٥٢ : ٥٣

أولا : حول قصة « هاروت وماروت » :

اختلف العلماء حول حقيقة كل من هاروت وماروت فقال بعضهم : إن هاروت وماروت من الملائكة . . ولما كثر الفساد من الناس فى عهد ادريس انتقدتهم الملائكة وعيرتهم وقالت لهم : لو كنا مكانكم ما ضللنا كما ضللتم .

فقال الله - تعالى - : أما لو كنتم مكانهم وركِّبت فيكم ما رُكِّب فيهم من طبائع وغرائز وشهوات لفعلتم ما فعلوا ولضللتم كما ضلوا .

وكأنهم استكثروا على أنفسهم أن يفعلوا ذلك وقالوا : حاشا وكلاَّ ما ينبغى أن نشرك بربنا أحداً ، أو نجور عن القصد الذى رسمته الشريعة لنا . .

فقال الحق لهم : فاختاروا ملكين من خياركم أبتليهم بما ابتلى به بنو آدم من طباع وشهوات ، ثم انظروا ما يحدث منهم . .

فاختاروا ملكين اسمهما هاروت وماروت .

فأنزلهما الله إلى الأرض ، فركب الله فيهما الشهوة ، فلما مرت بهما فترة فى الأرض ، جاءتهما امرأة جميلة تختصم إليهما ، وكانا قاضيين . .

ولعل الله اختارهما للقضاء لما فيه من الفتنة والابتلاء . .

ورأى هاروت وماروت المرأة ففتنا بجمالها ، فراوداها عن نفسها ، فقالت لهما : أنا لا أجيبكما إلى ما تطلبان إلا إذا دخلتما فى دينى . .

وكانت ذات وثن تعبده . .

فرفضا الاستجابة لها . .

وترددت عليهما مرة أخرى وهى أكثر فتنة من ذى قبل ، فعرضا عليها ما عرضاه فى المرة السابقة ، فرفضت أيضاً ، وقالت لهما : أنا أجيبكما إلى

ما تطلبان إذا فعلتما واحدة من ثلاث : إما أن تشربا الخمر ، أو تقتلا هذا الرجل ، أو تعبدا هذا الوثن .

ففكرا قليلاً ، ثم قالا الخمر أهون الثلاثة شراً ..

فشربا الخمر ، فغابا عن وعيهما .. فقتلا الرجل ، وفجرا بالمرأة .. ولذلك سميت الخمر أم الخبائث

فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، لأنه ينقضى أما عذاب الآخرة فهو دائم ..

أما المرأة فيقال إن اسمها هو الزهرة وكانت قد عرفت أنهما ملكان ، وسألتهما عن الاسم الذى يصعدان به إلى السماء فعلّماها إياه ..

فبعد أن ارتكبا الخطيئة ، قرأت هذا الاسم فى محاولة للصعود الى السماء ، فصعدت ولكن الله مسخها كوكباً ، هو كوكب الزهرة .

وهذان الملكان ، مازالا فى سرب تحت الأرض يعذبان فى بابل .. ويقومان بتعليم الناس السحر .

وذكر القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات » عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : لما خرج آدم من الجنة عرياناً نظرت إليه الملائكة وقالت : ربنا هذا آدم بديع فطرتك ، أقله ولا تخذله ، فمر بملأ من الملائكة فوبخوه على نقضه عهد ربه ، وكان ممن وبخه يومئذ هاروت وماروت .

فقال آدم : يا ملائكة ربى ، ارحموا ولا توبخوا فذلك الذى جرى علىّ كان قضاء ربى ..

فابتلى الله ـ تعالى ـ هاروت وماروت حتى عصيا الله ومنعا من الصعود الى السماء ..

فلما كان أيام إدريس ـ عليه السلام ـ صارا إليه وذكرا له قصتهما ، ثم قالا له : هل لك أن تدعو لنا حتى يتجاوز عنا ربنا ؟

فقال إدريس ـ عليه السلام ـ : كيف لى العلم بالتجاوز عنكما ؟
قالا : ادع لنا ، فإن رأيتنا فهى الاستجابة ، وإن لم ترنا هلكنا . .

فتوضأ إدريس وصلى ودعا الله تعالى ثم التفت فلم يرهما فعلم أن العقوبة حلت بهما ، وذهبا إلى أرض بابل ثم خُيِّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا ، فهما مسلسلان معذبات فى بئر بأرض بابل إلى يوم القيامة (١٨)

ومثل هذه القصص مردودة ، وقد ضعفها المحققون من العلماء لأسباب لا تجهل . .

أهمها أن ذلك ينافى عصمة الملائكة الذين ورد فى حقهم قوله ـ تعالى ـ

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١٩)

وقوله تعالى :

﴿ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ (٢٠)

وقوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (٢١)

وقد تعقب القرطبى هذه الرواية بالمناقشة حتى ردها .

---

(١٨) عجائب المخلوقات للقزوينى ص ٦١
(١٩) الأنبياء ٢٦ : ٢٨
(٢٠) التحريم ٦
(٢١) سورة الأنبياء ٢٠

وبما يدل على عدم صحتها أن الله تعالى خلق النجوم والكواكب حين خلق السماء ففى الخبر : « أن السماء لما خلقت خلق فيها سبعة دوراة ـ زحل والمشترى وبهرام وعطارد والزهرة والشمس والقمر » وهذا معنى قوله تعالى :

﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝ ﴾(٢٢)

فثبت بهذا أن الزهرة قد كان قبل خلق آدم .

وقال الفخر الرازى فى كتابه « مفاتيح الغيب » : واعلم أن هذه الرواية مردودة غير مقبولة ، لأنه ليس فى كتاب الله ما يدل على ذلك ، بل فيه مايبطلها من وجوه :

الأول ، ما تقدم من الدلائل الدالة على عصمة الملائكة عن كل المعاصى .

وثانيها : أن قولهم : إنهما خُيِّرا بين عذاب الدنياوعذاب الآخرة فاسد ، بل كان الأولى أن يُخيرا بين التوبة والعذاب لأن الله تعالى خير بينهما من أشرك به طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك

وثالثها : أن من أعجب الأمور قولهم : إنهما يعلمان السحر فى حال كونهما معذبين ، ويدعوان اليه وهما يعاقبان .

إذا علمنا أن هاروت وماروت ليسا ملكين من الملائكة ، فمن يكونان إذن ؟

قال بعض العلماء : إنهما مَلِكان ـ بكسر اللام ـ مثنى مَلِك

قال الحسن : كانا ملكين ببابل

وقيل : كانا رجلين صالحين .

---

(٢٢) يس ٤٠

وقد قرأ بكسر اللام بعض القراء المشهورين ، وممن قرأ هذه القراءة ابن عباس وابن الرازى والضحاك والحسن ، ولكن مع ذلك ، ما تزال قراءة الملكين بفتح اللام هى المشهورة .

قد تكون القراءة بكسر اللام أنسب وأقرب لتنزيه مقام الملائكة عما يشين . .

ولكن تبقى قراءة الفتح محتاجة إلى توضيح . . لهذا حاول العلماء استنباط فهم آخر يتفق مع القراءة بالفتح ولا يقدح فى مقام الملائكة . .

فقالوا :

إن هاروت وماروت من الملائكة أنزلها الله ، ولكن لم تحدث منهما معصية كما يقول من زعم ذلك ، وأنزلها لأسباب أشار إليها الفخر الرازى ـ رحمه الله ـ[٢٣]

من هذه الأسباب أن السحرة كثروا ، واستنبطوا أبواباً غريبة فى السحر ادعوا بها النبوة وتحدوا الناس فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس أبواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة هؤلاء الذين يدعون النبوة كذباً ، ولا شك أن هذا من أحسن الأغراض والمقاصد .

ومنها أن العلم بكون المعجزة مخالفة للسحر متوقف على العلم بماهية المعجزة وبماهية السحر . .

والناس كانوا جاهلين بحقيقة السحر فتعذرت عليهم معرفة حقيقة المعجزة ، واختلط الأمر عليهم ، فبعث الله الملكين ليعرفا الناس حقيقة السحر ليدركوا حقيقة المعجزة .

ومنها أن السحر الذى يوقع الفرقة بين أعداء الله والألفة بين أولياء الله كان مباحاً أو مندوباً ، وقد بعث الله الملكين لتعليم السحر لهذا الغرض ، إلا أن

(٢٣) مفاتيح الغيب

القوم تعلموا ذلك منها واستعملوه فى الشر وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والألفة بين أعداء الله .

ومنها أن الجن كانت لديهم أنواع من السحر لم يقدر البشر على الإتيان بمثلها ، فبعث الله الملكين ليعلموا البشر أمور يقدرون بها على معارضة الجن .

ومنها أنه يجوز أن يكون ذلك تشديداً فى التكليف من حيث انه إذا علَّمه ما يمكنه أن يتوصل به إلى اللذات العاجلة ثم منعه من استعمالها كان ذلك فى غاية المشقة ، فيستوجب به الثواب الزائد ، كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فى قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴿٢٤٩﴾ ﴾ [٢٤]

والذى يدل على أن هذين الملكين أنزلهما الله لتعليم الناس السحر ليعرفوه ويحترسوا من شره هو قوله تعالى : « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر » . .

أى إن الذى نصفه لك وإن كان الغرض منه أن يتميز به الفرق بين السحر وبين المعجزة فإنه يمكنك أن تتوصل به إلى المفاسد والمعاصى ، فإياك بعد وقوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه أو تتوصل به إلى شيء من الأغراض العاجلة [٢٥]

وفى ذلك يقول الزمخشرى فى الكشاف : أنزل الله على الملكين علم السحر ابتلاء من الله للناس ، من تعلمه منهم وعمل به كان كافراً ، ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه بحيث لا يغتر به كان مؤمنا على نحو قول الشاعر :

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه [٢٦]

---

(٢٤) البقرة ٢٤٩

(٢٥) السحر والسحرة فى القرآن الكريم ص ١٨٤

(٢٦) تفسير الكشاف للزمخشرى حـ ١ ص ١٧٢ ، والبيتان لأبى نواس

حكم الدين فى السحر :

وفى ضوء هذه القصة نستخلص الأحكام الآتية :

أولاً : الســـحر :

السحر ـ كما عرفناه ـ هو كل أمر خَفِيَ سببه وتخيله الإنسان على غير حقيقته وهو يجرى مجرى التمويه والخداع .. وهو عند المعتزلة خداع لا أصل له ، وعند الشافعى وسوسة وأمراض .. وعند كثير من العلماء طلاسم تبنى على تأثير خصائص الكواكب والمواد كتأثير الشمس فى زئبق عصا فرعون . أو تعظيم الشياطين ليسهلوا ماعسر .. وهذا معناه أن وله حقيقة .

وقال أهل السنة : ان السحر حقيقة ، وجوزوا أن يقدر الساحر على أن يطير فى الهواء ، ويقلب الانسان حماراً والحمار انساناً . إلا أن الله هو الخالق لهذه الأشياء وذلك عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة . أما أن يكون المؤثر فى ذلك الفلك والنجوع أو الساحر فلا .

لقوله تعالى : « وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » .

وكثير من الكفرة كانوا يزعمون أن النجوم هى المدبرة لهذا العالم ، وكانوا يعبدونها ، وقد أبطل إبراهيم ـ عليه السلام ـ مقالتهم ..

وقد كان السحر فناً من الفنون القديمة ، وكان له عند قدماء المصريين ، مدارس تعلمه وتلقنه ، وينتظم فيها التلاميذ على مستويات مختلفة .

وكما كان عند قدماء المصريين كان كذلك عند الكلدانيين فى بلاد ما بين النهرين ، وعند البابليين ، وعند الهنود وغيرهم ..

وقد أثر عن الوثنيين أعمال سحرية غريبة اهتدى بعض العلماء فى العصور المتأخرة إلى تعليل بعضها وكشف حقيقتها ، ومازال بعضها غامضاً حتى الآن ..

وقد ذكر صاحب تفسير المنار أن المعنى الجامع للسحر أنه أعمال غريبة من التلبيس والحيل تخفى حقيقتها على الناس لجهلهم بأسبابها .. فإذا عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه(٢٧)

ولعل هذا هو السبب الذى جعل الكفار يطلقون على معجزات الرسل أنها سحر ، لعدم إمكانهم تعليل حدوثها .

ثانيا : السحر أنواع :

من السحر ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للساحر المجهولة عند من يسحرهم بها .. وقد لجأ سحرة فرعون إلى هذه الطريقة ، فوضعوا الزئبق فى حبالهم وعصيهم ، فلما حميت تحركت ، فتخيل الناس أنها تسعى ..

ـ وسيأتى حديث عن ذلك ـ

وقد يلجأ إلى ذلك بعض المتخصصين فى العلم فى مواجهة الجهلة من الناس فيعرضون أمامهم من خواص المادة ما يذهل ألبابهم . وقد وضع أحد السياح قطعة من الجليد على شكل عدسى بقدر ما يرى من قرص الشمس وقال للناس فى بعض البلاد الأفريقية التى يكثر فيها من يدعون السحر : إننى أستطيع أن أجعل فى يدى شمسا كشمس السماء .

ووجه عدسيته الى الشمس عند بزوغها واكتمال ضوئها ، فصارت الثلجة بإنعكاس الشمس عليها كالشمس ولم يستطع أدعياء السحر فى هذا البلد أن يثبتوا أعينهم فيها ، فخضعوا له .

---

(٢٧) تفسير المنار جـ ٩ ص ٤١

ومن السحر ما يسمى بالشعودة التى تقوم على خفة اليد ، وهذا النوع مشاهد فى المسارح ويعرض على أنظار الجمهور ، ويقوم أحياناً عارضوه بشرحه للمشاهدين .

وقد يلطف ما يقومون به جداً حتى يخفى على أولى الألباب ، ولا يعرف سره إلا بقوة الفطنة ، ومن ذلك ما رواه الكلبي من أن رجلاً خرج يتصيد ومعه كلبه وغلام ، فرأى ثعلباً ، فأغرى به كلبه ، فدخل الثعلب جحراً فدخل الكلب خلفه فلم يخرج ، فأمر الغلام أن يدخل وراءهما فدخل فلم يخرج ، فوقف الرجل وقد تهيأ للدخول ، واذا برجل يمر عليه فأخبره بشأن الثعلب والكلب والغلام .

فأخذ الرجل بيده فأدخله إلى هناك ، فمضيا إلى سرب طويل حتى أفضى بهما إلى بيت قد فتح له ضوء فى موضع ينزل إليه بمرقاتين ـ أى درجتين . .

فوقف به على المرقاة الأولى حتى أضاء البيت حيناً ، فقال له : انظر فنظر فإذا الكلب والغلام والثعلب قتلى واذا فى صدر البيت رجل واقف مقنع فى الحديد ، وفى يده سيف فقال له الرجل : أترى هذا ؟ لو دخل إليه هذا المدخل ألف رجل لقتلهم جيماً ؟

فقال : وكيف ؟

قال : لأنه قد رتب وهندم على هيئته متى وضع الإنسان رجله على المرقاة الثانية للنزول ، تقدم الرجل فضربه بالسيف الذى بيده ، فإياك أن تنزل .

فقال : فكيف الحيلة ؟

فقال : ينبغى أن تحفر من خلفه سرداباً يفضى بك إليه ، فإذا وصلت إليه من تلك الناحية لم يتحرك . .

فاستأجر الرجل أجراء حفروا له سرداباً من خلف التل ، فأفضوا إليه فلم يتحرك ، واذا رجل معمول من صفر ـ نحاس ـ قد ألبس السلاح وأعطى السيف . فقلعه من مكانه .

ورأى بابا آخر ففتحه ، فإذا هو قبر لبعض الملوك ميت على سريره وهذا ما يسميه العامة بالرصد (٢٨)

ومن ضروب السحر مايدعيه البعض من حديث الجن والشياطين وطاعتهم ، يتمكنون من ذلك بالرقى والعزائم ، والأدخنة والأدوية .

جاء فى مفاتيح الغيب للرازى : إن من النفوس البشرية ما يستعين بالأرواح الأرضية ، وان اتصال النفس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، وإن كانت القوة الحاصلة للنفس بسبب اتصالها بهذه الأرواح الأرضية أضعف من القوة الحاصلة لها بسبب اتصالها بتلك الأرواح السماوية (٢٩)

ولكن بعض العلماء يرى أن ذلك زعم وادعاء على نحو ماكان عليه أمر الكهان فى الجاهلية ، وقد اغتر بحال هؤلاء المدعين كثير من الناس ، ومنهم من وصل إلى منزلة اجتماعية كبيرة ، ذكروا أن المنتصر بالله الخليفة العباسى مع وفور عقله اغتر بقول هؤلاء .

وذلك أنه كان يظهر فى داره شخص فى يده سيف فى أوقات مختلفة ، وأكثر ما يكون فى وقت الظهر ، فإذا طلب لم يوجد ولم يقدر عليه وقد رآه بعينيه مراراً ،

---

(٢٨) تفسير المنار حـ ٩ ص ٤٧

(٢٩) نقلاً عن كتاب الروح ص ١٠٨

فاهتم لذلك ودعا بالمعزمين وانكشف الأمر عن أن أحد خدم القصر هو الذى كان يصنع ذلك (٣٠)

ومن ضروب السحر السعى بالنميمة والرماية ، وقد ورد فى ذلك المثل العامى المشهور : الالحاح على الأذن أقوى من السحر .

فما يزال الواشى ينمق لمن يريد الكلام حتى يتأثر به ويحدث منه ما يحدث للمسحور له .

ومما ورد فى ذلك أن امرأة أرادت الإفساد بين زوجين فذهبت إلى الزوجة تنم لها بأن زوجها معرض عنها وسوف يتزوج من غيرها وأن فى إمكانها أن تسحره لها حتى لا يحب سواها ، وطلبت منها أن تصنع ما تمليه عليها . .

قالت : خذى من شعر حلقه ثلاث شعرات بالموسى إذا نام دون أن يشعر ، وأنا أقوم بعمل له .

فصدقت الزوجة التى وقعت تحت تأثير الغيرة الشديدة .
وفى الوقت نفسه كانت المرأة قد ذهبت إلى الزوج ، محذرة تقول له : إن امرأتك لا تريدك وقد همت بقتلك ، وآية ذلك أنها ستذبحك حين تنام . .

وتناوم الرجل وإذا بزوجته جاءت بالموسى لتنتزع الشعرات الثلاث من حلقه . فلم يشك فى أنها جاءت لتذبحه فقتلها . . وأمثال هذه القصص كثيرة يقوم بها شياطين الإنس ليفسدوا المودة بين الناس ويقطعوا روابط الألفة والمحبة بين الإخوان . .

---

(٣٠) تفسير المنار جـ ٩ ص ٤٨

ومن السحر ما يقوم على قوة تأثير أصحاب النفوس القوية فى أصحاب النفوس الضعيفة ذات الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات .. ومن ذلك التنويم المغناطيسى .

وهذا النوع هو الذى يقال فى أصحابه إنهم يستعينون على أعمالهم بأرواح الشياطين ، ومنهم الذين يكتبون الأحجبة والطلاسم .

ثالثاً : سحر أهل بابل :

كان أهل بابل قوماً صابئين يعبدون الكواكب السبعة ، ويعتقدون أن حوادث العالم كله من أفعالها وقد أرسل الله إليهم سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذى حاجهم ، وقصة المحاجة أوردها القرآن الكريم فى قوله ـ تعالى :

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ

تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٣١)

وقد مرت بنا هذه المحاجة فى قصة إبراهيم -عليه السلام-

كان أهل بابل وأقاليم العراق ومصر والشام والروم يدينون بذلك وتفرع على هذه الديانة أقاويل وحكايات تحدث عنها الجصاص فى كتابه أحكام القرآن ، ولخص بعضها رشيد رضا فى تفسيره . .

ومن ذلك أن « بيوراسب » ملك بابل كان ساحرا وأنه ملك الأقاليم السبعة ، واستطاع أفريدون الذى ملك بعده أن يجيش ضده الجيوش وأن يحبسه فى جبل « دبناوند » بين الرى وطبر ستان ، ويعتقد الناس أنه حى مقيد وأن السحرة يأتونه هناك فيأخذون السحر عنه ، وأنه سيخرج فيغلب على الأرض وأنه هو الدجال الذى يأتى فى آخر الزمان .

ويلقب « بيوراسب » بالضحاك الذى قال فيه أحد الشعراء العرب اليمنيين مفتخراً به :

وكان منا الضحاك تعبده الجامل والوحش فى مساربها (٣٢)

وظل السحر شائعاً فى هذا الاقليم ، حتى ظهر الفرس على بابل وملكوها ، فأبطلوا السحر حتى أصبح الناس يتعبدون بقتل السحرة (٣٣)

---

(٣١) سورة الأنعام من ٧٦ - ٨٢

(٣٢) مروج الذهب للمسعودى حـ ١ ، ص ٤٤ ومعنى الجامل الجمال جمع جمل

(٣٣) تفسير المنار حـ ٩ ص ٤٤

خواص سحر أهل بابل :

وكان يغلب على سحر البابليين الحيل وأحكام النجوم ولهم أوثان يعبدونها أقاموها على أسماء الكواكبُ السبعة ، وجعلوا لكل واحد منها صنماً يتقربون اليه ويقدمون له الذبائح والقرابين . .

ولكل صنم باسم كوكب عمل خاص به
فالمشترى خاص بالخير والصلاح
وزحل له الشر والموت والحرب
والمريخ خاص بالبرق والحرق والطاعون وهكذا . .

وكان السحرة يستعملون رقىً يزعمون بها القدرة على استجلاب رضا هذه الآلهة ، أو تحريك غضبها ضد من يريدون . . وقد وصل السحرة بذلك إلى منزلة عظمى لدى الناس عامة وعند الملوك خاصة .

وعلى هذا النحو كان الأمر فى الممالك الأخرى ، وقد بلغ السحرة فى مصر مبلغاً عظيماً ورأينا كيف استعان بهم فرعون فى مواجهة موسى ـ عليه السلام ـ

وظل الأمر على ذلك فى بابل وغيرها حتى غلب على الممالك الوثنية من دانوا بالتوحيد ، أو دانوا بعقيدة أخرى ، فاضطهدوا السحرة وقتلوهم تقرباً إلى الله . .

لماذا اختار الله بابل لنزول الملكين ؟

بلغ السحر فى بابل مبلغاً كبيراً إلى درجة اعتقاد الناس أن السحرة لديهم

القدرة على فعل أى شىء وأنهم هم أو النجوم أو الآلهة المصورة باسمها قادرون على كل شىء .

والمصدق بذلك كافر من وجوه عدة ، لأنه صدق بوجوب تعظيم الكواكب وعبادتها من دون الله ، ولأنه اعتقد فى الكواكب القدرة على النفع والضر ، ولأنه اعتقد أن السحرة قادرون على خوارق العادات كالأنبياء . .

ومن أجل ذلك بعث الله الملكين فى هذا المكان يبينان للناس الحقيقة فى مزاعم هؤلاء السحرة ويكشفان للناس حقيقة السحر ، ويحذران المتعلم من الأضرار المترتبة على تعلمه ، هذه الأضرار التى قد تصل إلى درجة الكفر والعياذ بالله . .

أين بابل ؟

تقع بابل جنوبى بغداد على بعد أربعة وخمسين ميلاً منها ، على طريق بغداد ـ الحِلة ، وقيل إنها كانت تشمل مساحة مترامية الأطراف .

وهى على شاطىء الفرات وكان لها شأن عظيم ، فى القدم . .

ومن الأقوال التى وردت فى سر عظمتها أن آدم نفسه بعد خروجه من الجنة وكذلك قابيل وهابيل كان مقامهم فى بابل ، وكذلك سكنها نوح وأبناؤه .

وقيل إنها ثانى مدينة بنيت فى العالم بعد حران ، وإلى بابل ينسب برج بابل المشهور الذى بناه النمروذ ويسمى (المجدل) .

وقالوا : إن الله فرق أبناء نوح فى الأرض من بابل وفيها تبلبلت الألسن [٣٤]

وكانت بابل مقر النمروذ بن كنعان أول من ملك الأرض ، وهو الذى أُرسل إليه إبراهيم ـ عليه السلام ـ وكانت بعدذلك بقرون مقر (بختنصر) الذى دمر

---

(٣٤) سفر التكوين الاصحاح الحادى عشر ـ العهد القديم

بيت المقدس الذى بناه سليمان الحكيم [٣٥]

لقد رويت أساطير كثيرة حول بابل ـ ولا عجب فى ذلك ـ فهى مهد السحر والسحرة ، ومما رود فى ذلك ـ ماقاله الأعمش : كان مجاهد يحب أن يسمع من الأعاجيب ، وكان لا يسمع بشىء إلا صار إليه وعاينه ، فأتى بابل فلقيه الحَجَّاج ، فقال : ما تصنع هاهنا ؟ قال : لى حاجة أن تسير بى إلى رأس الجالوت لتريني هاروت وماروت .

فأرسل إلى رجل ، وقال له : اذهب بهذا فأدخله على هاروت وماروت لينظر إليهما . .

فانطلق به حتى أتيا موضعاً ، وكان هناك يهودى عارف بذلك الموضع ، فسألاه أن يريهما ، فرفع صخرة فإذا شبه سرداب ، فقال له اليهودى : انزل معى وانظر إليهما ولا تذكر اسم الله ـ تعالى ـ . .

قال مجاهد : فنزل اليهودى ونزلت معه فلم يزل يمشى بى حتى نظرت إليهما مثل الجبلين العظيمين منكسين على رءوسهما وعليهما الحديد من أعقابهما إلى ركبهما .

فلما رآهما مجاهد لم يملك نفسه أن ذكر الله ـ تعالى ـ فاضطربا اضطراباً شديداً حتى كادا يُقَطِّعان ما عليهما من الحديد .

ففر اليهودى وتعلق به مجاهد حتى خرجا .

---

(٣٥) دائرة المعارف الاسلامية حـ ٥ ص ٥٥٠

فقال اليهودى : أما قلت لك لا تفعل ؟ كدنا والله نهلك (٣٦)

رابعا : حكم السحر :

يرى بعض الفقهاء أن الساحر كافر وبخاصة إذا كان سحره متضمناً شركاً ومستلزماً رَيْباً فى معجزات الأنبياء والرسل ..
وحكمه القتل ..

قال القرطبى : من السحر ما يكون كفراً من فاعله مثل ما يدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم فى هيئة بهيمة وقطع مسافة شهر فى ليلة ، والطيران فى الهواء ، فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه .. ويقتل ..

وأما من زعم أن السحر خدع ومخاريق وتمويهات وتخييلات فلا يجب قتله إلا أن يقتل بفعله أحداً فيقتل به وعلى هذا فالساحر المسلم الذى يسحر بنفسه بكلام يكون كفراً يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ، لأنه أمر يبطن فى داخل النفس البشرية ويستر به كالزندقة والزنا ، وقد سمى الله السحر كفراً فى قوله ـ تعالى ـ « ومايعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر »

وهذا قول جمهرة من الفقهاء كالشافعى وابن حنبل وأبى ثور وأبى حنيفة ، وقد استدلوا بما روى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن « حد الساحر ضربه بالسيف » .

أما إذا كان سحره بكلام ليس فيه كفر فلا يقتل
فإن جاء الساحر تائباً قبل أن يشهد عليه بالسحر قبلت توبته .
والساحر الذمى..قيل يقتل ، وقال مالك لا يقتل إلا أن يقتل بسحره ، ويضمن

---

(٣٦) عجائب المخلوقات ص ١٤٩

ما جنى ، ويقتل إن جاء منه ما لم يعاهد عليه .

وقال بعضهم : يستتاب وتوبته الإسلام . .
ولايرث الساحر ورثته لأنه كافر ، إلا أن يكون سحره لا يسمى كفراً . .
والمرأة إذا عقدت زوجها عن نفسها لا تقتل ، ولكنها تعاقب ـ هذا ما قاله مالك ـ رضى الله عنه

خامسا : الفرق بين المعجزة والسحر :

المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد النبى لتأييد دعوته وهى على حقيقتها باطنها كظاهرها وكلما تأملتها ازددت بصيرة فى صحتها ، ولو جهد الخلق كلهم على مضاهاتها ومقابلتها بمثلها لعجزوا .

أما مخاريق السحرة فهى تخييلات وحيل وتلطف فى إظهار أمور لا حقيقة لها ، وما يظهر منها على غير حقيقتها يُعْرَفُ ذلك بالتأمل والبحث . فعصا موسى مثلاً أصبحت ثعباناً حقيقياً ابتلع كل ما أمامه من عصى السحرة وأما عِصِىّ السحرة فقد خيل للناس أنها ثعابين ، ولكنها لم تكن كذلك « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » .

هذا مع أن السحر فى مقدور الإنسان أن يتعلمه ، وهو يوجد من الساحر وغيره ، وقد يكون معروفاً لأكثر من شخص ويمكنهم الإتيان به فى وقت واحد كما حدث من سحرة فرعون فقد امتلأ الميدان بهم ، وقاموا بعمل جماعى كل منهم ألقى عصاه أو حبله . . أما المعجزة فإن الله لا يمكّن منها إلا نبيه ورسوله ، ولا يتاتى لاحد ان يأتى بمثلها أو يعارضها .

سادسا : علاقة الجن بالسحر :

ليس من شك فى أن هناك علاقة ما بين الجن والسحر ، وقد جاء فى الآية الكريمة :

« وماكفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر . . »

قال العلماء : إن الشياطين كتبوا السحر والنيرجات - التى هى أخذ كالسحر وليست به ، وإنما هى تشبيه وتلبيس - كتبوا ذلك على لسان آصف بن برخيا ، ودفنوه تحت مصلاه حين انتزع الله ملك سليمان ، ولم يشعر بذلك سليمان ، فلما مات استخرجوه وزينوا للناس أن سليمان ملك الناس بهذا السحر ، وأوحوا إليهم أن يتعلموه فأما العقلاء فقالوا : معاذ الله أن يكون ملك سليمان قام على السحر ، وأما سفلة الناس فأقبلوا عليه يتعلمونه من الجن والشياطين ويرفضون كتب أنبيائهم حتى بعث الله سيدنا محمداً - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله عز وجل عليه حقيقة شأن سليمان وأظهر براءته مما رمى به ظلماً وكذباً .

والشياطين لهم قدرة من غير شك ، ولديهم النية المتوفرة على إغواء الآدميين وصرفهم عن الحق ، وقد ورد أن الشياطين تجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق . وهم يوحون إلى أوليائهم بما يريدون .

والعقل لا يُحيل دخول الجن والشياطين فى جسم ابن آدم لأن أجسامهم رقيقة بسيطة ، حتى ولو كانت أجسامهم كثيفة يصح ذلك أيضاً كما يصح دخول الطعام والشراب فى الجسم ، وكما تتخلل الميكروبات الأجسام . .

ولا يبعد على من تستهويه الشياطين أن تسخره فيما تريد وهى فى سبيل ذلك تنفذ له بعض ما يريد .

ولا يبعد أن يكون لبعض الناس قدرة خاصة بما يتلونه من رقى وعزائم خاصة

على استحضار بعض هذه الأرواح اللطيفة التى بواسطتها يؤثرون على نحو ما التأثير الذى يريدون . .

وقد أشارت الآية المذكورة إلى أن هاروت وماروت يعلمان الناس السحر ، ولكنهما لا يعلمان حتى يحذرا المتعلم من سوء عاقبة ما يتعلمه ، فما يعلمان من أحد حتى يقولا : « إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضاربين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق » . .

ماورد فى شأن هذا التعليم :

ذكر ابن كثير فى تفسيره عن ابن جرير الطبرى فى خبر مسند إلى عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أن امرأة من أهل دومة الجندل جاءت

تريد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد موته قالت عائشة لعروة : يابن أختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى رحمتها

وهى تقول : إنى أخاف أن أكون قد هلكت ـ قالت عائشة : ولم ؟ قالت : كان لى زوج فغاب عنى فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت : إن فعلت ما آمرك به سأجعله يأتيك .

فلما كان الليل جاءتنى بكلبين أسودين ، فركبت أحدهما وركبت الآخر ، فلم يكن كشىء حتى وقفنا ببابل ، وإذا برجلين معلقين بأرجلهما ، فقالا ماجاء بك ؟ فقلت : أتعلم السحر . .

فقالا لى : إنما نحن فتنة فلا تكفرى ، يا أمة الله لا تختارى عذاب الآخرة بأمر الدنيا . فأَبَيْتُ .

فقالا لى : اذهبى إلى ذلك التنور فبولى على ذلك الرماد

فذهبت لأبول عليه ففكرت فى نفسى فقلت : لا فعلت

وجئت إليهما فقلت : قد فعلت

فقالا لى : ما رأيت ؟ فقلت : ما رأيت شيئاً .

فقالا لى : ما فعلت . اذهبى وافعلى

فذهبت وفعلت ، فرأيت كأن فارساً قد خرج منى مقنعاً بالحديد حتى صعد إلى السماء فجئتهما فأخبرتهما فقالا : ذلك إيمانك قد خرج عنك ، وقد أحسنت السحر ، فقلت : وماهو ؟

فقالا : لا تريدين شيئاً فتصورينه فى وهمك إلا كان .

فصورت فى نفسى حَبًّا من حنطة ، فإذا أنا بالحب

فقلت له : انزرع ، فانزرع ، وخرج من ساعته سنبلاً .

فقلت له : أنطحن ، فانطحن

فقلت له : انخبز ، فانخبز ، وصار خبزاً .

وانتهى الأمر إلى أنى لا أصور فى نفسى شيئاً إلا كان . .

قالت : فلما رأيت أنى لا أريد شيئاً إلا كان سقط فى يدى وندمت والله ـ ياأم المؤمنين ـ والله ما فعلت بعد ذلك شيئاً قط ولا أفعل أبداً . .

قال ابن كثير : ورواه ابن أبى حاتم عن الربيع بن سليمان مطولاً وزاد بعد قولها « ولا أفعله أبداً » . .

فسألت أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حداثة وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم يومئذ متوافرون ، فما دروا ما يقولون لها ، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه ، إلا أنه قد قال لها ابن عباس ـ أو بعض من

كان عنده ـ : لو كان أبواك حيين لو أحدهما ؟ (٣٧)

ويعنى بذلك التمنى أنه لو كان أحدهما حياً لشفع لهابرها به وكَفَّر عنها خطيئتها بعد أن حسنت توبتها .

وفى بعض الروايات :

فقالت لها عائشة ـ رضى الله عنها ـ : ليست لك توبة . . (٣٨)

وربما شكك بعضهم فى مثل هذا الخبر ، وزعم أن ذلك لا يمكن أن يكون . .

وعلى الرغم من الشك فى هذا الخبر فإن الحقيقة التى لا مجال للشك فيها أنه كان هناك تعليم للسحر وأن هاروت وماروت كانا يعلمان الناس السحر ويقولان لمن يعلمانه : إنما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزجه .

ومعنى هذا أن هناك تعليماً ، وأن هناك أثراً لهذا التعليم فى المتعلم ، وأن هناك قدرة أصبحت لهذا التعليم لدى المتعلم ، يؤثر بها فيمن يريد ، ومن هنا يأتى الخطر . .

ذكر العلماء عن الحسن البصرى أنه قال فى شأن قصة هاروت وماروت : نعم أنزل الملكان بالسحر ، ليعلما الناس البلاء الذى أراد الله أن يبتلى به الناس ، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحداً حتى يقولا : إنما نحن فتنة فلا تكفر ، رواه ابن أبى حاتم عنه ـ

---

(٣٧) تفسير ابن كثير حـ ١ ص ٢٠٤

(٣٨) ورد ذلك فى أحكام القرآن للجصاص حـ ١ ص ٤١ وفى مفاتيح الغيب للفخر الرازى

سابعا : هل يجوز تعلم السحر ؟

جاء فى الأخبار الصحيحة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « أنه من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقهما بقول فقد كفر بما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ » واذا كان هذا قد ورد فى شأن من جاء أليهما معتقداً فى صدق مايزعمون فهو من باب أولى وارد فى حق من جاء ليتعلم ما عندهم من علم . .

إلا أن بعض العلماء أجاز تعلم السحر للتوقى من شره ولمعرفة الفرق بين السحر والمعجزة ، وهذه الصلة تؤدى إلى أن تعلم السحر قد يكون واجباً فى بعض الأحيان . .

ولكن المنهى عنه هو استعماله بعد تعلمه فى الإضرار . .
والذى يتعلم السحر لا يستعمله غالباً إلا فى الإضرار بالناس .
وهذا هو معنى قوله ـ تعالى ـ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم » .

روى مسلم فى صحيحه : من حديث الأعمش عن أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : «إن الشيطان يضع عرشه ثم يبعث سراياه فى الناس فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة ، يجىء أحدهم فيقول : مازلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس لا والله ما صنعت شيئاً ويجىء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله . . قال : فيقربه ويدنيه ويلزمه ويقول : نعم أنت » [٣٩]

---

(٣٩) صحيح مسلم ـ كتاب صفة القيامة ٨ \ ١٣٨

وإنما تجيء التفرقة بواسطة السحر الذى يخيل لكلا الزوجين سوء منظر الآخر فيقبح فى نظره فينفر منه . .

وغالباً لا يكون السحر إلا فى الضرر . . لأن الله يقول « ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون » .

قال ابن خلدون فى مقدمته :

« علوم السحر علوم تقتدر النفوس المستعدة بها على التأثير فى عالم العناصر ، ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره كانت كتبها كالمفقودة بين الناس إلا ما وجد فى كتب الأقدمين فيما قبل نبوة موسى ـ عليه السلام ـ مثل النبط والكلدانيين وغيرهما . . » . .

كيف يكتسب الساحر قدرته ؟

قال ابن خلدون :

النفوس الساحرة على مراتب ثلاث

أولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين ، وهذا هو الذى يسمونه السحر .

والثانية المؤثرة بمعين من مزاج الافلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ، ويسمونه الطلسمات ، وهو أضعف مرتبة من الأول .

والثالثة ، تأثيرها فى القوى المتخيلة ، وذلك بأن يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة فيتصرف فيها بنوع من التصرف ، ويلقى فيها أنواعا من الخيالات

والمحاكاة ، وصورا مما يقصده من ذلك ، ثم ينزلها إلى حس الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه ، فينظر الراءون كأنها فى الخارج وليس هناك شيء من ذلك ، وهذا ما يسمى الشعبذة أو الشعوذة .

ثم إن هذه الخاصية تكون فى الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها ، وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة .

ورياضة السحر كلها إنما تكون بالتوجه إلى الأفلاك والكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل ، فهى لذلك وجهة إلى غير الله وكفر ، فلهذا كان السحر كفرا ، والكفر من مواده وأسبابه . .

ولهذا اختلف فى قتل الساحر هل لكفره السابق على فعله ؟ .

أو لتصرفه بالإفساد وما ينشأ عنه من الفساد فى الأكوان ؟

ثامنا : عقاب بعض السحرة فى الإسلام . .

يشير قول الله ـ تعالى ـ

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٤٠)

إلى وصم السحرة بالكفر . وقد ورد فى حد الساحر ضربه بالسيف وقد نفذ هذا الحكم فيمن ثبت أنه ساحر .

جاء فى تفسير ابن كثير أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ كتب إلى ولاته أن اقتلوا كل ساحر وساحرة قال راوى الخبر : فقتلنا ثلاث سواحر .

وصح أن حفصة أم المؤمنين سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت .

وروى من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه ،

---

(٤٠) سورة البقرة ١٠٣

فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه .

فقال الناس : سبحان الله يحيى الموتى ، ورآه رجل من صالحى المهاجرين ، وهو جندب بن كعب الأزدى ، فلما كان الغد جاء مشتملا على سيفه ، وذهب الساحر يلعب لعبه .

فاخترط جندب سيفه فضرب عنق الساحر ، وقال : إن كان صادقا فليحى نفسه ، وتلا قوله ـ تعالى :

﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ ﴾ [41]

فغضب الوليد إذ لم يستأذنه فى ذلك . فسجنه ثم أطلقه [42] .

تاسعا : شبهة اليهود فى رمى سليمان بالسحر

والذى حمل اليهود على اتهام سليمان بالسحر انه كان يسخر الجن والشياطين .

وتسخير الجن والشياطين لسليمان كان معجزة له خصه الله بها ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

وكعادة اليهود فى إنتهاز الفرص أقبلوا على تعلم السحر زاعمين أن ذلك سنة لهم عن نبى من أنبيائهم . .

وهناك خبر رواه الواحدى قال : أخبرنا سعيد بن العياش كتابة أن الفضل بن زكريا حدثهم عن أحمد بن نجدة عن سعيد بن منصور عن عثمان بن بشير قال : كان سليمان إذا نبتت شجرة قال : لأى داء أنت ؟ فتقول : لكذا وكذا . فكان يعرف لكل داء علاجه . فلما توفى جعل الناس يقولون عند مرضهم . لو كان مثل سليمان . أى هل يوجد شخص مثل سليمان يعرف المرض وطريقة علاجه .

« ٤١ » سورة الانبياء آية ٣

(٤٢) انظر هذه القصة فى اسد الغابة جـ ١ ص ٢٦١

فأقبلت الشياطين فكتبوا كتابا وجعلوه فى مصلى سليمان ، وقالوا : نحن ندلكم على ماكان سليمان يداوى به ، فانطلقوا فاستخرجوا ذلك ، فاذا فيه سحر ورقى . فأنزل ـ تعالى ـ ﴿ واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان ﴾ .

وقيل : إنه فى زمن سليمان كتبوا السحر فانشغلوا بتعلمه فأخذ سليمان تلك الكتب فدفنها تحت كرسيه ، ونهاهم عن ذلك ، ولما مات سليمان كان الشياطين يعرفون مكان دفن الكتب ، فتمثل شيطان على صورة إنسان فأتى نفرا من بنى إسرائيل وقال لهم : هل أدلكم على كنز لاتأكلونه أبدا ؟ قالوا : نعم . قال : فاحفروا تحت الكرسى فحفروا فوجدوا تلك الكتب .

فلما أخرجوها قال الشيطان : إن سليمان ضبط الجن والإنس والشياطين والطيور بهذا . فأخذ بنو إسرائيل تلك الكتب فلذلك أكثر ما يوجد السحر فى اليهود . فبرأ الله عز وجل سليمان من ذلك [٤٣] .

إن دعوى اليهود أن سليمان كان ساحرا هو من قبيل المثل العربى المشهور : رمتنى بدائها وانسلت . .

وأين تلبيس السحرة وافترائهم من معجزة ظاهرة لالبس فيها ولاتشبيه ولا افتراء ؟ ؟ .

إن سليمان ـ عليه السلام ـ كانت لديه القدرة أن ينادى أى عفريت باسمه فيأمره فيطيع دون لجوء إلى تلاوة اسماء أو قراءة أو غير ذلك مما يلجأ إليه عادة هؤلاء الذين يتمتمون بكلمات غير مفهومة وعبارات غريبة يزعمون فيها أنها أسماء ملوك الجان أو من بيدهم الأمر فى هذا الكون . . وقد يجيبهم شيطان إلى

---

(٤٣) أسباب النزول للواحدى، ص ٢١

مايريدون لأن هدفه من وراء إجابته الإضرار ، وهذا غاية مايبتغيه ، بل يشتهيه . .

عصمنا الله من شر هؤلاء وهؤلاء وهو حسبنا ونعم الوكيل . .

ثانيا : سحرة فرعون

وردت قصة موسى ومعجزته وتحدى فرعون وسحرته له فى عدة مواضع فى القرآن الكريم :

وردت فى سورة الأعراف ، وفى سورة يونس ، وفى سورة طه ، وفى سورة الشعراء ، وفى سورة النمل ، وفى سورة القصص ، وفى سورة غافر ، وفى سورة الزخرف . . وفى غيرها ، بعضها مفصل وبعضها موجز .

وقد ذكرنا فى قصة موسى - عليه السلام - التقاء موسى بالسحرة وعجزهم عن مواجهة موسى ثم إيمانهم فى النهاية وتعذيب فرعون لهم .

ونتحدث هنا بما يتفق وأهداف هذا الحديث الخاص عن السحر فى القرآن الكريم . . ونعرض أولا بعضا مما ورد حول ذلك فى كتاب الله الكريم : قال تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[٤٤]

---

(٤٤) طه ١٧ : ٢٤

ثم قال :

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ (٤٥)

---

(٤٥) من ٥٦ ـ ٧١ سورة طه

هذه قصة موسى ـ عليه السلام ـ مع السحرة التى وردت فى سورة طه، وورد مثلها بإيجاز أو غيره فى سور أخرى . .

وهى تشير إلى الدلائل الآتية :

أولا : تدريب موسى على مواجهة السحرة . .

كان موسى قد تلقى الوحى فى طريق عودته من مدين إلى مصر ، وفاجأ زوجته المخاض فأقبل يلتمس لها نارا تدفئها . . فرأى من جانب الطور نارا فاقترب يتطلب جذوة منها . . فإذا به يسمع النداء الإلهى الذى يكلفه بالرسالة ويحمله تبعاتها ويأمره بالذهاب إلى فرعون الذى يدعى الربوبية من دون الله ، ويطلب منه إنقاذ بنى إسرائيل من براثن هذا المتجبر . .

وعلم موسى أن هذه المهمة ليست سهلة ، وأنها قد تكلفه حياته ، وهى من أجل ذلك فى حاجة إلى سلاح يقهر به خصمه . . وسلاح الأنبياء عادة هو المعجزات . .

وجرت العادة أن تحدث المعجزة وقت الحاجة إليها . . ولم يكن موسى فى حاجة إليها فى ذلك الوقت . . إذ مازال أمامه وقت حتى يصل إلى فرعون فهو فى غير حاجة إلى معجزة الآن . . إلا أن الله أراد أن يدربه على استعمال المعجزة التى سيواجه بها فرعون منذ الآن . . حتى لايهوله الموقف يوم الحاجة إليها ، فمعجزته من نوع آخر غير الذى جاء به الرسل قبله . . إن معجزته عصاه التى سوف تتحول إلى ثعبان مهول يفزع من منظره كل من يراه فكيف يكون حال موسى حين يفاجىء فرعون بهذه المعجزة انه سيفاجأ بها أيضا وفزعه فى هذه الحالة لن يكون أقل من فزع فرعون ، لأن موسى لم يكن قدر رأى تحول العصا إلى ثعبان قبل ذلك ؟ .

إذن كان إعداد موسى لهذه المعجزة وتدريبه عليها أمرا ضروريا .

وتم إعداد موسى للمعجزة بوسائل كثيرة منها .

ـ انه آنسه بسؤاله عما فى يده . قال له : وماتلك بيمينك ياموسى ؟ فأجاب بأنها عصاه التى يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ، وله فيها مآرب أخرى .

لقد نظر موسى إلى منافع العصا القريبة ، فأراد الله أن يلفت نظره إلى أن هناك منافع أعظم وأكثر . . وأن هذه المنافع يمكن أن تكون قهر سحر السحرة وردع البغاة المعاندين . . وهذا ماتم معرفته بعد ذلك . .

ـ قال الحق ـ سبحانه وتعالى ـ لموسى ألقها ياموسى . .

وفى طلب الالقاء إعداد وتهيئة . .

فألقاها ، فإذا هى حية تسعى .

وفوجىء موسى بها تنقلب حية . . وفزع من هول المنظر ، وجرى خائفا منها . . ولكن الله ناداه مطمئنا « إنى لايخاف لدى المرسلون » .
ـ قال له خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الأولى . .

فالتقطها فعادت عصا كما كانت . .

وامتلأ قلب موسى بالاطمئنان ، وأدرك الأمان . .

وقد أجاب (الرازى) فى كتابه مفاتيح الغيب عن السؤال التالى : « ماالحكمة فى قلب العصا حية فى ذلك الوقت » ؟ .

وهو سؤال يتعلق بما نحن بصدده من هذا الحديث . . ثم ذكر أن فى الإجابة وجوه منها . . أنه تعالى قلبها حية لتكون معجزة لموسى ـ عليه السلام ـ يعرف بها

نبوة نفسه . وذلك لأنه إلى هذا الوقت ماسمع إلا النداء ، والنداء وان كان مخالفا للعادات إلا أنه ليس معجزاً لاحتمال أن يكون ذلك من نداءات الملائكة أو الجن . ومن أجل ذلك قلب الله العصا حية ليصير ذلك دليلا قاهرا .

أنه عرض عليه ذلك ليشاهده أولا فإذا شاهده عند فرعون لايخافه .

أنه كان راعيا فقيرا ، ثم نصب لهذا العمل العظيم ، فلعله بقى فى قلبه تعجب من ذلك ، فقلب العصا حية تنبيهاً له علي أن الله لما قدر على ذلك فإنه قادر على نصرة مثله فى إظهار الدين ؟[٤٧] .

ثانيا : وصف العصا بعد تحولها . .

ورد فى القرآن الكريم أن العصا حين ألقاها موسى . . تحولت إلى حية تسعى - وفى موضع آخر : تحولت إلى ثعبان مبين . وفى موضع ثالث : كأنها جان . .

ففى سورة طه ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾[٤٨] .

وفى سورة الأعراف والشعراء

﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾[٤٩] .

وفى سورة القصص ﴿ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾[٥٠]

---

(٤٧) قصة السحر والسحرة فى القرآ ص ٨٢

(٤٨) سورة طه ٢٠

(٤٩) الأعراف ١٠٧ ، والشعراء ٣٢

(٥٠) القصص ٣١

وليس هناك تعارض فى هذا الوصف . لأنها حين ألقيت فى أول أمرها كانت حية دقيقة صغيرة ، والحية الصغيرة يطلق عليها الجان ثم تضخمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا . فالحية والجان فى أول أمرها والثعبان فى نهايته .

وقد يراد بالجان تصوير هيئتها فى أثناء تحولها وسرعة حركتها . .

ثالثا : موسى فى مواجهة فرعون والسحرة

الآن وقد امتلأ قلب موسى بالاطمئنان ، واكتسبت العصا فى يده مزية جديدة . أقبل فى ثقة متزايدة ومعه أخوه هارون على فرعون ليبلغاه رسالة الله عز وجل .

وأراه الآية الكبرى . .

فكان الظن المتردد فى نفس فرعون أنه ساحر . . قال فرعون لموسى :

﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾ (١٠١) [٥١]

لماذا قال فرعون ذلك ؟

لأنه رأى شيئا غريبا ، لم يستطع تفسيره إلا بما كان يشاهده فى سحرة عصره .

ذلك أن الفراعنة كانوا قد بلغوا فى مصر القديمة مبلغا فى السحر لم يبلغ شأوه أحد ، وكانت للسحر مدارسه وجامعاته يقوم عليها متخصصون ، وكان السحرة فى القمة عند الناس والملوك ، وكانوا يتعالون على الناس بالعلم والسحر والخيال والمخاريق .

والمسحور بمعنى الساحر . مثل حجاب مستور بمعنى ساتر . .

وقد يكون المعنى بأنه مسحور أى مخبول وقع عليه السحر من غيره فهو لايدرى مايقول . .

---

(٥١) الاسراء ١٠١

وقد يكون المعنى بأنه أعطى علم السحر فهو يأتى بالعجائب . .

وكان رد موسى عليه بأن هذهِ الآيات التى أعطيها إنما هى من رب السموات والأرض . وأنك يافرعون مثبور بمعنى محبوس عن الخير . . ولم يكن إلا التحدى بالسحرة . . فقد قال فرعون لموسى كما حكى القرآن الكريم .

﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾(٥٢)

وقبل موسى التحدى . .

وكان الموعد يوم زينتهم الذى يتزينون فيه ، وهو يوم العيد . قيل : هو يوم النيروز وقيل غير ذلك .

واشترط موسى أن يجتمع الناس فى ضحوة النهار .

وإنما وعدهم ذلك لتعلو كلمة الله على رءوس الأشهاد ، ويظهر دينه بين كل العباد ، ويكبت السحرة فى كل واد ، ويقهر الكفر إلى يوم التناد .

وتولى فرعون جمع كيده ، وحشر السحرة ، وحشد نفوسهم بالأمانى ، واستجاب لمطالبهم وقيل إن السحرة اجتمعوا من كل مكان ، فمن لم يأت تلبية لدعوة فرعون جاء تلبية لدعوة نفسه وإظهار علمه . .

وحذرهم موسى عاقبة كفرهم وبغيهم . قال لهم : ويلكم لاتفتروا على الله

---

(٥٢) سورة طه ٥٧ : ٥٨

كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ..

ويبدو أن كلامه كان له صولة فى نفوسهم ، لذلك أقبلوا يتنازعون فيما بينهم ويتناجون ..

أما التنازع فهو الاختلاف الذى أحدثه كلام موسى بينهم ، بعضهم مال إليه وبعضهم أصر على مواجهته ..

أما التناجى فقد كان بين السحرة حول ماقاله موسى وأن هذا الكلام الذى يقوله ليس كلام ساحر بل هو منطق نبى تؤيده قوة لايدركونها .. فقال بعضهم لبعض : إن غلب موسى اتبعناه .

وقد حاول فرعون أن يثير عصبية السحرة ضد موسى وأخيه فقال لهم : إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى ..

وكان فى إثارته لهم يضرب على وتر حساس .. فقد أثار فيهم مشاعر الوطنية ونفرهم من هذين الرجلين اللذين جاءا لاخراجهم من وطنهم واحتلال ديارهم وتشريدهم من بلادهم . وقد نجح فرعون فى تحريك هذا الدافع الوطنى فى نفوسهم وهو حده كفيل بأن يجعل هؤلاء السحرة يقدمون كل مايقدرون عليه من كيد لقهر هذين اللذين جاءا لاذلال العباد وامتلاك البلاد ..

كما أثار فرعون فى نفوس السحرة دافعا آخر هو دافع المحافظة على المهنة والمنصب . والغيرة على العمل والشرف .

ولذلك حذرهم من أن موسى وهارون سيذهبان بطريقتهم المثلى .

والطريقة المثلى كما فسرها العلماء هى مايدينون به ويعتقدونه ، أو هى خاصة

بمهنة هؤلاء السحرة ، وهى العلم بالسحر وكانوا ينظرون إليه على أنه أعلى مراتب الرفعة والسمو .

وكأن فرعون أراد بقوله هذا أن يثير غريزة التنافس والحفاظ على مكانتهم حتى لايغلبهم أحد عليها .

وكما أغراهم بذلك حذرهم من الفرقة ، ودفعهم إلى اجتماع الكلمة فقال لهم : فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى .

ثالثا: السحرة فى مواجهة موسى:

وجاء يوم اللقاء المرتقب .

فقال السحرة لموسى : إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى . .

فأجابهم موسى بقوله : بل ألقوا أنتم . .

وموسى ـ عليه السلام ـ يعلم أن مايقوم به هؤلاء السحرة سحر والسحر كفر ، وهو لم يأمرهم بذلك إلا لإظهار عجزهم بسحرهم وكيدهم عن مواجهته ، وقد أراد بذلك هزيمتهم التى سوف تؤدى إلى إيمانهم . وهزيمة الباطل ظهور للحق ونصر للدين . .

وكأنه قد أراد أن يجابه تحديهم بمثله . . كما أمر الله الكفار أن يأتوا بمثل سورة من القرآن الكريم إن كانوا صادقين . .

لقد أراد موسى التوسل إلى اظهار بطلان السحر لا إثباته ، وصرح بذلك فيما جاء على لسانه فى سورة يونس)

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ

﴿عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨٢﴾ (٥٣)

هى مجاراة لاظهار الحق وليست مجاراة لإثبات الباطل ، وعلى هذا النحو جاءت محاجة إبراهيم ـ عليه السلام ـ لقومه حين أظهر أمامهم أنه يجاريهم فى عبادتهم ليتوصل بذلك إلى بطلان مايعبدونه قال تعالى :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٧٩ ﴾ (٥٤)

وألقى السحرة عصيهم فخيل لموسى وغيره أن هذه العصى ثعابين تسعى . وهنا توجس موسى وشعر بالخوف . . قال تعالى :

﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۝١١٦ ﴾ (٥٥)

وجاء فى سورة طه ﴿ فأوجس فى نفسه خيفة موسى ﴾ .

وكان السحر الذى قام به هؤلاء السحرة هو مارواه العلماء عن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا . فأقبلت يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى . .

---

(٥٣) يونس ٨١ : ٨٢

(٥٤) الأنعام ٧٦ : ٧٩

(٥٥) سورة الأعراف ١١٦

وكانوا فيما روى عن ابن إسحاق خمسة عشر ألف ساحر ، وأن الحيات التى أظهروها بخيال سحرهم كانت كأمثال الجبال قد ملأت الوادى .

وهذه مبالغات أريد بها تصوير مدى الهول الذى أصاب الناس وعظم السحر الذى حدث مع أن هذا يمكنً أن يتم بدون هذا العدد الضخم من السحرة والخشب والحبال .

إن هؤلاء السحرة لجأوا إلى عصى مجوفة قد ملئت زئبقا ، وإلى حبال مصنوعة من أدم ـ جلد ـ حشيت بالزئبق . وحفروا قَبْلَ ذلك تحت أرض المكان أسرابا أجُجُوا فيها النار ، فلما ألقيت هذه العصى والحبال ، وحمى الموضع حمى الزئبق كذلك فتحرك ، لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار تمدد ، فخيل للناس أن هذه العصى والحبال تتحرك ، ولكن هذا هو سر تحركها إنها حيلة صناعية لجأ إليها هؤلاء السحرة .

كما يمكن أن يكونوا قد لجأوا إلى حيل أخرى كاطلاق أبخرة أثرت فى أعين الرائين، فجعلتها تبصر ذلك . أو بجعل العصى والحبال على صورة الحيات وتحريكها بمحركات خفية سريعة لاتدركها أبصار الناظرين وكانت هذه الأعمال من الصناعات وتسمى السيمياء (٥٦)

ولسائل أن يسأل : كيف شعر موسى بالخوف وهو نبى ؟

والإجابة عن ذلك كما ذكرها الفخر الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب قال :

الجواب عنه من وجوه .

أحدها أن ذلك الخوف إنما هو طبع الآدمى الذى طبع على ضعف القلب وان كان قد علم أنهم لايصلون إليه وأن الله ناصره .

ثانيها : أنه خاف أن تدخل على الناس شبهة فيما يرونه فيظنوا أنهم قد ساووا موسى ، ويشتبه ذلك عليهم ، وهذا التأويل يؤكده قوله ـ تعالى ـ ﴿ قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى ﴾

. (٥٦) تفسير المنار جـ ٩ ص ٥٨

ثالثها : أنه خاف حيث بدأوا وتأخر هو أن ينصرف بعض القوم قبل أن يشاهدوا مايلقيه ، فيظلوا على اعتقاد الباطل .

رابعها : لعله كان مأموراً بأن لايفعل شيئا إلا بالوحي فلما تأخر نزول الوحي عليه فى ذلك الوقت خاف ألا ينزل عليه الوحي فيتعرض للخجل .

خامسها : لعله خاف من إبطال سحر هؤلاء أن يُحْشَد له غيرهم فيضطر إلى مواجهتهم كذلك وهكذا . .[٥٧] .

ولكنه عليه السلام مالبث أن استرد رباطة جأشه ، وطمأنه الحق سبحانه وتعالى بقوله : قلنا لاتخف إنك أنت الأعلى . .

ألق ياموسى عصاك . . إن الذى تراه إنما هو كيد ساحر . . والساحر لايفلح أبدا . .

وعادت إلى موسى بعد خطاب الحق له رباطة جأشه ، واسترد يقينه ، وألقى عصاه ، فإذا بها تلقف ماصنعوا ، أخذت هذه العصا بعد أن تحولت إلى حية تكبر وتكبر وهى تبتلع كل مافى طريقها من حيات القوم المصنوعة المتخيلة . حتى أدرك السحرة جميعا أن ماقام به موسى ليس سحرا ، وإنما هو قدرة خارقة ليست فى طوق البشر . .

ويرى بعض المفسرين أن عصا موسى لم تبتلع عصى السحرة أو حبالهم على اعتبار أن تلقف « ليس معناها تبتلع كما فسرها بذلك بعض اللغويين . . وإنما معناها « تصرف » .

فمعنى قوله تعالى ﴿ تلقف مايأفكون ﴾ أى تصرف الناس عن إفك السحرة وكذبهم .

---

(٥٧) قصة السحر والسحرة ص ١٣٣

وكان ذلك الصرف وابطال سحر السحرة بفعل من حية موسى . بحيث انها أخرجت الزئبق الذى فى عصى السحرة وحبالهم فظهر أمام الناس افتراء السحرة .

أو أنه ترتب على إلقاء موسى العصا أن رأى الناس الحبال والعصى على أصلها . ولو إبتلعتها لبقى الأمر ملتبسا على الناس إذ قصاراه أن كلا من السحرة وموسى قد أظهر أمرا غريبا ولكن أحد الأمرين كان أقوى من الآخر فأخفاه على وجه غير معلوم ولامفهوم ، وهذا لاينافى كونهما من جنس واحد . ولكن زوال غشاوة السحر وتخييله حتى رأى الناس أن الحبال والعصى التى ألقاها السحرة ليست إلا حبالا وعصيا لاتسعى ولاتتحرك ، وأن عصا موسى لم تزل حية تسعى هو الذى فرق بين الحق والباطل ، وعرف به الفرق بين الآية الإلهية ، والحيلة الصناعية ، وكل مافى الأمر أن عصا موسى أزالت هذا التخييل بسرعة وهو معنى اللقف ، وكان لها هذا التأثير لأنها آية إلهية حقيقية وليست أمرا صناعيا [٥٨] .

إيمان السحرة ..

لقد وقع الحق وبطل ماكان يعمل السحرة ..

رأوا حجة الله البالغة ، وقدرته القاهرة . وكان السحرة قد تناجوا فيما بينهم على أنه إذا ظهر موسى عليهم يؤمنون به . فلما ظهر موسى على الملأ من قوم فرعون وانقلبوا صاغرين ، ألقى السحرة ساجدين ..

أى خروا على وجوههم سجدا كأنما ألقاهم ملق ، وانتزع الله من قلوبهم كل خوف من فرعون وهيبة له ..

وفى ايمان السحرة وردت تلك الآيات الكريمة قال تعالى :

﴿ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [٥٩]

---

(٥٨) تفسير المنار جـ ٩ ص ٦٠ وهذا الرأى نقله صاحب تفسير عن محى الدين بن عربى

(٥٩) الأعراف ١١٩ ، ١٢٠

وقال :

﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) ﴾ (٦٠)

وقال : ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥) فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ (٤٦) ﴾ (٦١)

انتقام فروعون من السحرة :

لم يطق فرعون صبرا على إيمان السحرة بموسى ، وسجودهم لله ـ جلت قدرته ـ الذى أظهر هذه المعجزة الخارقة على يد موسى ـ عليه السلام ـ وفضح بها زيف السحرة وإفكهم ، وصدق ماقال الشاعر .

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

وقد خاب أمل فرعون تماما باستسلام السحرة ، وهم عدته التى كان يعدها للانتقام من موسى والتشهير به ، أما وقد آمن السحرة فلم يعد لفرعون مكانة فى نفوس قومه وأصبحت ربوبيته التى كان يزعمها سرابا . .

وحاول أن يستنجد ببقية كاذبة من كبريائه المزعومة ، فألقى على السحرة تهمة المكر الخداع والكيد للمصريين لقد اتهمهم بالتواطؤ مع موسى للتمكين لبنى اسرائيل فى مصر ، ولم يكن هذا الاتهام قائما على أساس ولكنه كان تمويها من فرعون على قومه حتى لايتبعوا السحرة فى الإيمان بموسى . إنه يعلم أن السحرة لهم مكانتهم الروحية وسلطتهم الدينية فمتى آمن هؤلاء فقد استسلم بقية الشعب معهم . وربما بطشوا بفرعون وبطانته .

---

(٦٠) طه ٦٩ ، ٧٠

(٦١) الشعراء ٤٥ ، ٤٦

ولذلك جاء اتهامه للسحرة من قبيل مايزيفه الحكام من اتهامات ضد من يخشون بأسهم . قال صاحب تفسير المنار : « كان اتهام فرعون للسحرة تمويها على قومه المصريين لئلا يتبعوا السحرة فى الإيمان ، ويقع ماخافه وقدره . . ففرعون على عتوة على الخلق وعلوه فى الأرض قد خاف عاقبة إيمان الشعب ، ولهذا حاول أن يوهم الناس بأنه لاينتقم من السحرة إلا حبا فيهم ودفاعا عنهم واستبقاء لاستقلالهم فى وطنهم ومحافظتهم على دينهم ، وكذلك يفعل كل ملك وكل رئيس مستبد فى شعب يخاف أن ينتفض عليه بإجتماع كلمته على زعيم آخر بدعوة دينية أو سياسية ، وما من شعب عرف نفسه وحقوقه وتعارف بعض أفراده ـ وتعاونوا على صون هذه الحقوق إلا وتعذر استبداد الأفراد فيهم وإن كانوا ملوكا جبارين »[٦٢] .

حوار بين فرعون والسحرة:

قال فرعون للسحرة : آمنتم به قبل أن آذن لكم ؟ .

وكأن الإيمان فى زعم فرعون يحتاج إلى استئذان من ينازع الله فى سلطانه . .

لقد وهم فرعون فى قوله . وماحمله على ذلك إلا الخوف والقلق والحيرة والاضطراب . ثم محاولة الاستمساك بسلطان ذاهب لامحالة .

ثم أطلق تهديده : فسوف تعلمون . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل . . وبكل إيمان وثقة واطمئنان أجاب السحرة قائلين . .

إنَّا إلى ربنا منقلبون . وماتنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا .

ثم لجأوا إلى الله ليكون معهم فيما هم مقبلون عليه من تعرض للعذاب قائلين : ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين .

---

(٦٢) تفسير المنار حـ ٩ ص ٦٣

وقالوا له : إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر .

لقد علم السحرة أن الله هو الذى يغفر الخطايا ، أما فرعون فهو الذى يدفع رعيته إلى ارتكاب الخطايا . . ومن ألوان ذلك تزيين السحر للسحرة وإكراههم على إتيانه وممارسته . .

لقد كان السحرة فى قمة الإيمان والشجاعة وهم يواجهون طغيان هذا الطاغية المتجبر . وليس ذلك عجيبا فالمؤمن يستمد طاقة روحية قوية من إيمانه وهو يشعر بأن وراءه قوة قادرة تؤيده وتحميه وتنصره ، وهذا يحمله على مواجهة المخاطر بشجاعة ، واستقبال الموت براحة عجيبة . انظر إلى المؤمنين مع قلة عددهم كيف استطاعوا أن يواجهوا أضعاف عددهم فى بدر ، وينتصروا عليهم وعادت الكثرة المدلة بنفسها إلى مكة كسيرة مهزومة . .

نكتة بلاغية :

قال السحرة حين بهرتهم معجزة موسى :

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٦٣)

وفى موضع آخر يقول الحق على لسانهم :

﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ (٦٤)

إن قيمة قولهم آمنا برب موسى وهارون ، تظهر فى الرد على مزاعم فرعون

---

(٦٣) الشعراء ٤٧ ، ٤٨

(٦٤) طه ٧٠

الذى كان يزعم لقومه أنه لا إله غيره فقد قال ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾[٦٥] وقال :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴿٣٨﴾ ﴾[٦٦]

فلو أنهم قالوا : آمنا برب العالمين وسكتوا. لربما فهم المشاهدون أنهم آمنوا بفرعون الذى يدعى الألوهية فلقطع هذا الإيهام قالوا هذه العبارة .

أما تقديم موسى على هارون فى سورة الشعراء ، وتقديم هارون على موسى فى صورة طه فلرعاية الفاصلة ورعاية الفاصلة لها سر بلاغى جميل حيث يؤدى إلى حسن النغم وتناسق الصوت .

وقال الفخر الرازى فى كتابه مفاتيح الغيب : إنهم قدموا ذكر هارون على موسى لأن فرعون كان يدعى ويتوهم ربوبيته لموسى بناء على أنه رباه فى قوله كما حكى القران الكريم

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[٦٧]

فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون لاجرم قدموا ذكر هارون على موسى قطعا لهذا التوهم .

ولكن هذا التعليل يرده تقديم موسى على هارون فى الآية الأخرى .

التعذيب :

والتعذيب الذى أعده فرعون للسحرة كان قاسيا فقد أقسم على أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأن يصلبهم فى جذوع النخل . .

---

(٦٥) النازعات ٢٤

(٦٦) القصص ٣٨

(٦٧) الشعراء ١٨

والعجيب أنه وجه تهديده للسحرة ، ولم يوجه لموسى تهديدا فى هذا الوقت ، وإن كان فيما بعد قد قال لقومه :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ (٦٨)

مع أن السحرة لم يعلنوا عصيانهم لفرعون وإيمانهم بالله إلا بعد يقينهم بمعجزة موسى فكان الأولى بالتهديد موسى أولا ثم السحرة ثانيا .

وربما كان السبب فى ذلك أنه كان مازال واقعا تحت سيطرة الخوف من ثعبان موسى الذى حاول الانقضاض على كرسى فرعون فوجه التهديد إلى من لايخشى منهم الأذى .

وقد أورد الرازى اعتراضا وأجاب عليه . قال :

فان قيل : إن فرعون مع قرب عهد مشاهدة انقلاب العصا حية ورؤيته لتلك العظمة والقوة التى جعلته يستغيث بموسى من شرها كيف يعقل أن يهدد السحرة ويبالغ فى وعيدهم إلى هذا الحد ، ويستهزىء بموسى ـ عليه السلام ـ فى قوله

﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ « ٦٩ »

قلنا : لم لايقال : إنه كان فى أشد حالات الخوف فى باطنه إلا أنه كان يظهر التجلد والوقاحة تمشيا مع ناموسه وترويجا لأمره ، ومن استقرى أحوال الناس علم أن العاجز قد يفعل أمثال هذه الأشياء ، ومما يدل على صحة ذلك أن كل عاقل يعلم بالضرورة أن عذاب الله أشد من عذاب البشر ومع ذلك نجد كثيرا منهم يعصون الله ...كان فرعون عالما بأنه كاذب فى قوله « إنه لكبيرهم الذى علمكم السحر » لأنه كان يعلم ان موسى ـ عليه السلام ـ ماخالطهم قط ،

---

(٦٨) غافر ٢٦

« ٦٩ » سورة طه ٧١

ومالقيهم وكان يعرف أستاذ كل ساحر من هؤلاء ؟ وكيف حصَّل ذلك العلم ؟ ثم انه مع ذلك كان يقول هذه الأشياء .

فثبت أن سبيله فى كل ذلك هو المكابرة والعناد . لقد أراد فرعون أن يجعل من السحرة عبرة ونكالا . . وقد نفذ تهديده القاسى فيهم فعلا ، وإن كان لم يرد فى القرآن مايبين تنفيذ التهديد . . ولكنه ملك يريد أن يثبت وجوده ويبين للشعب أن كلمته نافذة ، فلا بد أن يكون تهديده قد تم . ولو أن التهديد لم يتم لأشار القرآن إلى ذلك . . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : **(كانوا فى أول النهار سحرة وفى آخره شهداء)** .

وقد أشار الشيخ الشعراوى فى عرض خواطره حول القرآن إلى قيمة استخدام « فى » بدلا من « على » فى قوله تعالى ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴿٧١﴾ ﴾[70] إلى أن فى تدل على مبالغة فرعون فى تشديد وثاق السحرة فى الجذوع ، وإحكام ربطهم فيها حتى لكأنهم من شدة الربط دخلوا فى الجذوع .

ثامنا : عظات وعبر :

تدلنا قصة إيمان السحرة بموسى على مواضع من العبرة نذكر منها مايأتى :

١ ـ وهَنُ السحر وضعفه ، لأنه باطل ، فهو لم يستطع الوقوف والثبات أمام قوة الحق وصولة المعجزة التى أيد الله بها نبيه موسى ـ عليه السلام .

٢ ـ السحر خطيئة وذنب ، ولذلك لجأ السحرة إلى الله ليغفر لهم هذه الخطايا ، قائلين ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ ﴾[71]

---

(٧٠) سورة طه ٧١

(٧١) صورة طه ٧٣

وكان لذلك الاكراه وجوه أشار إليها المفسرون منها :

ـ ان الملوك قديما كانوا يأخذون بعض رعيتهم ويحملونهم على تعلم السحر ، فإذا شاخ أحدهم بعثوا إليه بعض الأحداث ليعلمهم فيكون فى كل وقت من يحسن هذا العلم . فلذلك اعتبر السحرة أنفسهم مكرهين على تعلم السحر . وهذا القول محكى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما .

ـ كان رؤساء السحرة اثنين وسبعين منهم اثنان من القبط والباقون من بنى إسرائيل . فقالوا لفرعون :

أرنا موسى نائما ، فرأوه فوجدوه تحرسه عصاه ، فقالوا : ماهذا بساحر ، الساحر اذا نام بطل سحره ، فأبى فرعون إلا أن يعارضوه .

ـ نسب إلى الحسن قوله : إن هؤلاء السحرة حشروا من مختلف المدن لمعارضة موسى ، وأكرهوا على الحضور لمواجهته ، وأكرهوا أيضا على إظهار السحر .

ـ ونسب إلى عمرو بن عبيد قوله : إن دعوة السلطان فى حد ذاتها إكراه ، ولكن هذا القول ـ كما يقول الرازى ضعيف ـ لأن دعوة السلطان مالم يكن معها خوف أو تهديد ليست إكراها .

٣ ـ الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب يبدل أطوار النفس وينقلها من حالة الى حالة أخرى فى أسرع من لمح البصر .

فهؤلاء السحرة كانوا أشد الناس كفرا ، ولكن الله حين نظر إليهم بعين الرعاية والرحمة تبدل حالهم من الكفر إلى الإيمان ، وأصبح فرعون فى نظرهم أتفه من ذبابه ، ولذلك خاطبوه قائلين اثر تهديده لهم بالتقطيع والصلب :

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٧٢)

---

(٧٢) سورة طه ٧٢

٤ ـ إن علامة الإيمان الصادق هى التضحية بالنفس فى سبيل الله ، وليس الإيمان بالتمتمة والتظاهر بالعبادة . . ولذلك سرعان ما أقبل هؤلاء السحرة على الاستشهاد فى سبيل الله دون خوف أو فزع ، على الرغم من تيقنهم صدق فرعون فى تنفيذ وعيده ، ولذلك قال الحسن البصرى ـ رضى الله عنه : « سبحان الله ،

القوم كفار وهم أشد الكافرين كفراً ، ثبت فى قلوبهم الإيمان فى طرفة عين ، فلم يتعاظم عندهم أن قالوا « فاقض ماأنت قاض » .

والله إن أحدكم ليصحب القرآن ستين عاما ، ثم إنه يبيع دينه بثمن حقير .

٥ ـ الإيمان تصحبه الخشية من الله ، والفزع من يوم العرض ، والاشفاق من عذاب الاخرة . . وإن المؤمن ليكاد يعاين ذلك معاينة حقيقية ، كما ورد عن حارثة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : أصبحت مؤمنا حقا ، فقيل له : وماحقيقة إيمانك ؟ .

فقال : رأيت كأن عرش ربى بارزا ، وكأن أهل النار يتعاوون فيها ، وكأن أهل الجنة يتزاورون فيها . فقيل له : قد عرفت فالزم .[٧٣]

وهؤلاء السحرة لم يملكوا إلا أن قالوا لفرعون :

﴿ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾

ثم قالوا له :

﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ ﴾[٧٤]

٦ ـ والإيمان لابد معه من العمل الصالح ، كما ترشدنا إليه هذه الآية :

﴿ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ ﴾

---

(٧٣) هذا الخبر بطوله فى أسد الغابة ترجمة حارثة بن سراقة جـ ١ ص ٤٢٥

(٧٤) طه ٧٤-٧٥

ولو تتبعنا آيات الإيمان فى القرآن الكريم لوجدنا الإيمان فيها يقترب بالعمل الصالح . .

ومن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢) ﴾[٧٥]

وقوله:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾[٧٦]

وقوله :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٢) ﴾[٧٧]

وقوله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) ﴾[٧٨]

وقوله:

﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾[٧٩]

---

(٧٥) النساء ١٢٢

(٧٦) النحل ٩٧

(٧٧) طه ١١٢

(٧٨) الكهف ١٠٧ ، ١٠٨

(٧٩) سورة العصر

وغير ذلك من الآيات الكريمة .

٧ ـ ان العمل الصالح يمحو آثار السيئات ويكفر الخطايا قال تعالى

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (٨٠)

وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية ما رواه الواحدى . قال : أخبرنا الشيخ أبومنصور البغدادى قال : أخبرنا أبوعمرو بن مطر قال : جاء رجل إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : يارسول الله ، إنى عالجت امرأة فى أقصى المدينة وإنى أصبت منها دون أن آتيها . وأنا ذا فاقض فىَّ ماشئت .

قال : فقال عمر : لقد سترك الله ، لو سترت نفسك ؟ .

فلم يرد عليه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانطلق الرجل ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فدعاه وقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ **أقم الصلاة طرف النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ .

فقال رجل : يارسول الله هذا له خاصة ؟].

قال : لا ، بل للناس كافة(٨١) .

وهناك روايات أخرى لهذا الحديث تدور حول هذا المضمون . .

٨ ـ السحر إفساد ، ومهما طال أمده يبطل . ولذلك قال موسى ـ عليه السلام ـ

﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٨٢)

---

(٨٠) هود ١١٤

(٨١) الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٠٠ ، وورواه مسلم والبخارى

(٨٢) يونس ٨١ ، ٨٢

وقد ظهر زيف سحرة فرعون ـ كما ظهر زيف غيرهم قبلهم وبعدهم إلى أن تقوم الساعة .

٩ ـ ومن أجل أن السحر إفساد فقد أنكر الإسلام على مدعيه ومروجيه ومتبعيه .

ومن ذلك ماورد عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم .

من أتى كاهنا أو عرافا فصدقهما بقول فقد كفر بما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

وصف الوليد بن المغيرة للقرآن بأنه سحر

قال ـ تعالى ـ :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ ﴾(٨٣)

لهذه الآيات الكريمة قصة ذكرها المفسرون فى كتبهم ، وهى تدور حول الوليد بن المغيرة وموقفه من القرآن الكريم وقوله عنه إنه سحر .

وقبل أن نتحدث عن هذه القصة نشير إلى الحقائق الآتية :

أولا : القرآن الكريم

هو ذلك الكتاب الذى لاريب فيه هدى للمتقين ، أنزله الله نورا على قلب رسوله ـ سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون معجزة خالدة له ، باقية إلى الأبد ، ودليلا على صدق رسالته ونبوته ، وقد أنزل الله هذا الكتاب ليكون قوام الدين والدنيا معاً ، وضمن به السعادة لمن اتبعه وسار على نهجه واستضاء بنوره .

---

(٨٣) المدثر ١١ : ٢٦

وقد تضمن هذا القرآن الكريم حِكَماً بالغة ، وأمثالا تأخذ بمجامع القلوب ، وحججا تخرس الألسنة وتقطع على الباطل الطريق ، وقد تحدى الله بهذا القرآن العرب البلغاء الفصحاء ، وجعل منهم أمه قوية متماسكة مَنَّ الله عليها بقوله

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[٨٤]

لقد عبد الناس بالقرآن ربهم فى كل مكان ، وذل له كل سلطان ، وثلت به العروش ، وهو القرآن الذى يتغير كل شيء وهو محفوظ لايتغير ولايتبدل .

لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد[٨٥] .

وقد نزل هذا القرآن على قلب سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليكون حجة الله على العالمين . . تحدى به العرب فى فصاحتهم وبلاغتهم وكانوا قد بلغوا المنزلة القصوى فى البلاغة والفصاحة ، وقد جرت العادة أن تكون معجزة كل نبى من جنس مابرع فيه قومه . .

وأثبت القرآن عجز الناس عن الإتيان بمثله فقال :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[٨٦]

فقد تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فلم يستطيعوا وقال الله تعالى فى ذلك :

---

(٨٤) آل عمران ١٠٣

(٨٥) الأدب العربى وتاريخه لمحمود مصطفى جـ٢ ص ١١

(٨٦) الاسراء ٨٨

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٨٧)

ثم تحداهم أن يأتوا بسورة فلم يستطيعوا وقال فى ذلك :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٨٨)

ثانيا : العرب يقرون بفصاحة القرآن :

وقد أجمع أهل العلم على أن القرآن لايدانيه فى بلاغته كلام عربى مهما ارتقت درجته وعلت ذروته .

وقد أقر العرب أنفسهم بذلك وأخذوا بجماله وجلاله .

سمع أعرابى قارئا يقرأ قوله تعالى ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ (٨٩) . فسجد فسئل عن سبب سجوده ، فقال : سجدت لفصاحته .

وسمع أعرابى آخر قوله الله ـ تعالى ـ

﴿ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ (٩٠)

فقال : أشهد أن مخلوقا لايقدر على مثل هذا الكلام .

وقد كانت بلاغة القرآن سببا فى إسلام عمر بن الخطاب على ماعرف عنه من بطش وشدة وعداء للمسلمين ، فقد سمع فى بيت أخته قرآنا يتلى ، فلم يملك نفسه أن اعترف بجمال هذا الكلام وجلاله ، وأنه لم يقله بشر ، بل هو من عند الله ، وذهب إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فوره وأعلن إسلامه .

---

(٨٧) هود ١٣-١٤

(٨٨) البقرة ٢٣ : ٢٤

(٨٩) الحجر ٩٤

(٩٠) يوسف ٨٠

لقد استنبط العلماء من القران الكريم علوما كثيرة وألفوا فى ذلك مؤلفات شتى ، وكانت هذه العلوم لخدمة القرآن أولا ، ثم لخدمة العقل والحضارة والإسلام ووجوه الحياة المختلفة التى يحتاج إليها الناس فى آجلهم عاجلهم ثانيا .

ثالثا : سر إعجاز القرآن :

تحدث العلماء عن سر إعجاز القرآن وذكروا فى ذلك وجوها متعددة .

منها ماانطوى عليه من الاخبار بالمغيبات ، مما لم يكن قبل القرآن عِلْم به لاحد من الناس فوقع كما أخبر ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾[91]

إخباره بأخبار القرون السالفة والأمم الماضية والشرائع القديمة التى لايعلم عنها أحد شيئا إلا الواحد أو الاثنين من أهل الكتاب ، والنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمى لايقرأ ولايكتب ولم يتلق علما من أحد ، ولاالتقى بأحد من أهل الكتاب يعرف منه أخبار ماتضمنه القرآن من قصص .

ـ حسن تأليفه والتئام كلمه وتخير ألفاظه وجمال مقاطعه وحسن مطابقة نظامه لمقتضيات الأحوال ، هذا مع جلال الغرض وسمو المعانى وصفاء الحكمة وصدق المثل .

ونعود بعد هذا الاستطراد إلى :

قصة الوليد مع القرآن الكريم :

كان الوليد بن المغيرة المخزومى من رجالات قريش المعدودين ، وكان ذا مال وفير وعيش نضير ، وجاه كبير ، وعدد كثير من الأولاد يشهدون معه كل مجلس ويحضرون معه فى كل ناد . .

وكان ماله ممدودا بين مكة والطائف يتنوع بين الإبل والغنم والجنان والعبيد

---

(٩١) الروم من ١ ـ ٥

والجوارى ، وتغل بساتينه مالاً لايحصى ، ولاتنقطع ثمار حدائقه طوال العام . .

وكان مقتضى هذه النعم الوفيرة من مال وولد أن يشكر ربه الذى أنعم بها عليه وخوله إياها . . ولكنه كذب وعصى واستكبر ونأى بجانبه عن ربه وتزعم بطانة الكفر والشقاق فى مكة . .

ومع كفره بالنعم وكفره بالله وتكذيبه بالنبى المبعوث كان يطمع فى الزيادة من هذه النعم . . وبلغ من اعتداده بنفسه وتكبره أنه كان يقول : إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لى .

وذكر الرواة أن الوليد ذهب إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - يوما ولعله كان يريد أن يصده عن دعوته ولكن النبى أسمعه شيئا من القرآن . قيل إنه أسمعه قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

فرق الوليد لهذا القول . .

وانصرف إلى بيته مفكرا فيما سمع . .

وكأن الكفار كانوا ينتظرون أوبة الوليد إليهم ، فلما لم يعد ، واعتكف فى بيته مفكرا فيما سمع ، قالوا فيما بينهم : لقد صبأ الوليد ، واغتموا لذلك لأنهم كانوا يعدونه من صناديدهم ، فإذا إنضم إلى صفوف محمد خسروا بذلك مناوئنا كبيرا وخصما عنيدا لمحمد . .

فقال أبوجهل بن هشام : أنا أكفيكم شأنه .

فانطلق إليه حتى دخل عليه بيته وقال له : ترى قومك قد جمعوا لك مالا .

فقال الوليد : وقد إرتاع لهذه الكلمة : ولم ؟ ألست أكثرهم مالا وولدا ؟ .

فأجابه أبوجهل : إنهم يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة - يعنون أبابكر - لتصيب من طعامه .

---

(١) سورة النحل آية ٩٠

وكان الوليد يلقى أبابكر ليسمع منه القرآن الذى رق له قلبه .

فقال الوليد : أو قد تحدث به عشيرتى فلا والله لأقرب ابن أبي قحافة ولاعُمَر ولا ابن أبي كبشة ـ يعنى بذلك محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبوكبشة هو زوج حليمة السعدية مرضعة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو أبوه من الرضاعة .

وماقول محمد إلا سحر يؤثر . هذا ماذكره القرطبى . .

وذكر ابن هشام فى سيرته قال : اجتمع إلى الوليد بن المغيرة مع نفر من قريش ، وكان ذا سن فيهم ، وقد حضر الموسم وأخذ الحجاج يفدون إلى مكة من كل فج .

فقال الوليد : يامعشر قريش ، إنه قد حضر الموسم ، وإن العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ـ يعنى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولاتختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا . .

قالوا : فأنت ياأبا عبدشمس فقل وأقم لنا رأيا نجمع عليه .

قال : بل أنتم قولوا أسمع .

قالوا : نقول إنه كاهن .

قال : لا والله ماهو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة(٢) الكاهن ولاسجعه .

قالوا : نقول مجنون .

---

(٢) الزمزمة : الكلام الخفى الذى لا يفهم

قال : ماهو بمجنون ،لقد رأنا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولاتخالجه [٣] ولاوسوسته .

قالوا : نقول إنه شاعر .

قال : ماهو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه [٤] فما هو بالشعر .

قالوا : فماذا نقول ياأبا عبدشمس .

قال : والله ان لقوله لحلاوة ـ وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولايعلى عليه[٥]

ولكن أقرب القول فيه أن نقول : هوساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته .

فتفرقوا عنه فرحين بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لايمر بهم أحد الا حذروه إياه ، وذكروا لهم أمره . فأنزل الله تعالى ﴿ ذرنى ومن خلقت وحيدا . . الآيات ﴾ .

فجعل أولئك النفر يقولون ذلك فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمن لقوا من الناس ، وصدرت العرب من ذلك الوسم وقد علموا بأمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها[٦] .

---

(٣) التخالج : اضطراب الأعضاء ، والوسوسة ما يلقيه الشيطان فى النفس

(٤) هذه كلها أنواع من الشعر

(٥) الغدق : الكثير الشعب والأطراف ، وقيل غدق بمعنى كثير الماء

(٦) سيرة ابن هشام حـ ١ ص ٢٨٤

وهكذا صدقت الحكمة القائلة : رب ضارة نافعة . . فما أراده القرشيون من الاضرار بدعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان سببا فى انتشارها .

وذكر الواحدى فى أسباب النزول ، والسيوطى فى لباب النقول فى أسباب النزول ، والقرطبى فى تفسيره ، وابن كثير فى تفسيره قصة الوليد بن المغيرة ، وهى لاتخرج عن مضمون ماذكرناه . ونذكر العبارة التى وردت فى لباب النقول للسيوطى على لسان الوليد لأنها تدل على تأثر قوى بجلال القرآن وروعته وقوته وأنه ليس من قول بشر وأنه ماصده عن الإيمان به إلا العناد .

قال أبوجهل للوليد : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له ، وأنك كاره له :

قال : وماذا أقول فو الله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذى يقوله شيئاً .

من هذا ، ووالله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مشرق أسفله ، وإنه ليعلو ومايعلى عليه وإنه ليحطم ماتحته .

قال : لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه شيئا يرضيهم .

قال : فدعنى حتى أفكر ـ فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر بنقل عن غيره فنزلت الآيات (٧) .

لم وصف الوليد القرآن بالسحر :

لقد وصف الوليد القرآن بأنه سحر ، لما يعرف الناس من أثر السحر فى النفوس .

وقد مر فى معانى السحر : أنه اظهار الباطل فى صورة الحق . وهذا مايعنيه الوليد . كأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى نظره ونظر المشركين يلبس الباطل

---

(٧) لباب النقول للسيوطى ص ١٧٦

ثوب الحق . . وهذا نظر قاصر وزعم باطل فما جاء النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا بالحق الصراح والخير الخالص . وماجاء إلا لينير الطريق ويكشف الزيف .

ومعنى ـ يؤثر ـ أى ينقله عن غيره ، والحديث المأثور هو الذى ينقله الخلف عن السلف . .

ولم يكتف المشركون باختراع هذا الوصف للقرآن بل اخترعوا من نقل عنه هذا السحر ، فزعموا كذبا وزورا أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ هذا الكلام الخادع عن سيّار وهو عبد لبنى الحضرمى ، كان يجالس النبى ـ صلى الله عليه وسلم فزعموا أنه تعلم منه ذلك .

وقالوا ايضا إنه تلقنه عن مسيلمة الكذاب .

وقالوا أيضا إنه تلقنه من أهل بابل .

وقالوا : إنه أخذه عن عدى الحضرمى الكاهن

وقالوا : إنما عرفه ممن ادعى النبوة قبله فنسج على منوالهم . . وقالوا غير ذلك .

لقد أدرك الكفار أن هذا القرآن له أثره القوى فى نفوس الناس ، وأنهم لم يلبثوا أن يخضعوا له حين يسمعونه ، ولذلك حاولوا إيهام الناس بأنه لن يزيد على ذلك السحر الذى يلقنه الكهنة للناس ، وأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تلقاه

عن بشر مثله ، ولقد زين لهم ضلالهم أن يزعموا أن الذى كان يلقن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حداد أعجمى بمكة اسمه بلعام ، وقد فضحهم الله بذلك

فقال

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣ ﴾ (٨)

ذكر الواحدى أسباب نزول هذه الآية قال :

أخبرنا أبونصر أحمد بن إبراهيم قال : أخبرنا أبوعبدالله محمد بن حمدان الزاهد ، قال : أخبرنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز قال : حدثنا أبوهاشم

الرفاعى ، قال : حدثنا أبو فضيل قال : حدثنا حصين عن عبيد الله بن مسلم قال : كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر ، اسم أحدهما يسار ، والآخر جبر وكانا يقرآن كتبا لهم بلسانهم فزعم المشركون أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم ـ يتعلم منهما ، فأنزل الله ـ تعالى ـ دليل كذبهم بقوله ﴿ لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ (٩) .

وقال السيوطى : أخرج ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عباس قال : كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يُعَلِّم قينا بمكة اسمه بلعام وكان أعجمى

اللسان وكان المشركون يرون رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يعلمه فقلبوا الأمر وقالوا : إنما يعلمه بلعام ، فأنزل الله ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ﴾ (١٠) .

---

(٨) النحل ١٠٣
(٩) أسباب النزول للواحدى ص ٢١٢
(١٠) لباب النقول ص ١٠٧

لقد اضطربت أقوال القرشيين حول الذى يزعمون انه علَّم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإنهم ليعلمون يقينا كذب أقوالهم ، فشتان بين هذا القول الرصين والكلام المبين ، وبين رطانة هؤلاء

وماجلس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قط إلى أحد يتعلم منه ، ولكنه كان يجلس ليُعَلِّم ويأخذ بيد من يعلمه إلى الخير ويهديه إلى الطريق الصحيح .

ذكر القرطبى قول ابن إسحاق : كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ كثيرا مايجلس عند المروة يعلم غلاما نصرانيا اسمه جبر . عبدبنى الحضرمى ، وكان يقرأ الكتب ، فقال المشركون : والله ما يُعَلِّم محمدا مايأتى به إلا هذا النصرانى . وقال النقاش : إن مولى جبر كان يضربه ويقوله له : أنت تُعَلِّم محمدا ، فيقول : لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى [11]. إن العاقل يدرك تماما أن المعلم لابد أن يكون أقوى من المتعلم فى مادته التى يلقنها له . فكيف يتأتى لمن لايستطيع أن يقيم لسانه كلمة عربية فصيحة أن يلقن أفصح العرب هذا القرآن الذى نزل بلسان عربى مبين .

انبهار العرب بالقرآن :

لقد انبهر العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة بهذا النسج المتين والبيان الرائع ، والمنطق العظيم ، الذى أنزله الله على قلب نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكانوا يصيخون له السمع ، وربما تلطفوا فى سماعه حتى لايشعر بهم أحد ، فقد

---

(١١) القرطبى تفسير النحل ص ٣٧٩٣

روى عن عمر بن الخطاب أنه كان يختبىء وراء أستار الكعبة فى جوف الليل ليستمع إلى قراءة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن .

وروى ابن هشام فى سيرته قال :

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى أنه حدث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب

الثقفى حليف بنى زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يصلى من الليل فى بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ،

فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض لاتعودوا فلو رآكم سفهاؤكم لأوقعتم فى نفوسهم شيئا ، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ماقالوا أول مرة ، ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل منهم مجلسه فباتوا يستمعون ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لانبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ، ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق

أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته ، فقال : أخبرنى ياأبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد . .

فقال : ياأبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف مايراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ومايراد منها .

قال الأخنس : وأنا والذى حلفت به كذلك .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل ، فدخل عليه بيته ، فقال : يا أبا الحكم مارأيك فيما سمعت من محمد فقال : ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبدمناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا : منا نبى يأتيه الوحى من السماء ، فمتى ندرك مثل هذه والله لانؤمن به أبدا ولانصدقه .. (١٢) .

إنه الحسد إذن . والحسد يزين لصاحبه مايشاء ويحجبه عن الحق ويدفعه إلى الكذب .

والحسد يصيب صاحبه بالكبر فيجعله يتجافى عن قول الحق وسماعه . وقد دفع ذلك بعضهم إلى أنهم يتصامون عن سماع القرآن ، أو يسخرون مما يسمعون .. ولذلك جاء قوله ـ تعالى ـ إخبارا عن حالهم :

﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (١٣) .

---

(١٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٣٣٨ وبعض الروايات تذكر أن الثلاثة هم الوليد بن المغيرة ، والأخنس ، وأبو جهل .

(١٣) الاسراء ٤٦ ، ٤٧

انظر . لقد وصفوه بأنه مسحور ، ومسحور بمعنى ساحر كما سبق أن قدمنا ، أو مسحور بمعنى من فَعَل فيه السحر فعله ، أو مسحور بمعنى لقنه غيره السحر .

عدم إصاخة العقلاء لدعوى السحر التى يزعمها الكفار:

وكان كثير من العرب لاتغره دعوى هؤلاء عن القرآن بأنه سحر ، وعن النبى - صلى الله عليه وسلم - بأنه ساحر . وربما كان هذا القول مغريا لهم بسماع القرآن بدلا من الإعراض عنه . فقد حدث الرواة أن الطفيل بن عمرو الدوسى قدم مكة ، فمشى إليه رجال من قريش فقالوا له : ياطفيل ، إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا - أى اشتد أمره وأعيانا - وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا ، وإنما قوله كالسحر ، يفرق بين الرجل وأبيه ، وبين الرجل وأخيه ، وبين الرجل وزوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا ، فلا تكلمه ولاتسمعن منه شيئا .

قال : فوالله مازالوا بى حتى صممت ألا أسمع منه شيئا ولا أكلمه وحتى حشوت فى أذنى كرسفا - قطنا - قال : فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم عند الكعبة ، فصرت منه قريبا ، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله .

قال : فسمعت كلاما حسنا ، فقلت فى نفسى : واثكل أمى ، والله إنى لرجل لبيب شاعر مايخفى علىّ الحسن من القبيح . فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقوله فان كان حسنا قبلته وإن كان قبيحا تركته .

قال : فلما انصرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بيته ، تبعته ،

حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت : يامحمد إن قومك قالوا لى كذا وكذا والله مابرحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف . ثم أبى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعت قولا حسنا ، فاعرض علىّ أمرك . .

فعرض علىّ الإسلام وتلا علىّ القرآن ، فلا والله ماسمعت قط قولا أحسن منه ولا أمرا أعدل منه . قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق (١٤) .

من عبر هذه القصة :

وتدلنا قصة الوليد بن المغيرة على عظات وعبر منها :

أن الكفر حين يغلب على القلب يزين لصاحبه الشر ، ويجعله يصف الحق بأنه باطل وقد غلب الكفر على قلب الوليد حتى اخترع فى القرآن ما اخترعه . .

- والباطل مهما أوتى من قوة فإنه لايستطيع مجابهة الحق أو الصمود أمامه ، وهؤلاء الكفار بقوتهم التى حشدوها ودعاواهم التى زيفوها لم يستطيعوا أن يصدوا الناس عن سماع القرآن .

- صاحب الخلق السيىء والعنصر الردىء يقابل النعمة بالجحود ، والجميل بالنكران . وقد أنعم الله على الوليد بنعم شتى ، من المال والولد والجاه ، ولكنه لم يرع حقا من هذه الحقوق ، وتزعم عصابة الباطل ، واخترع مقالة السوء فى القرآن وهو يعلم أنه كلام ليس فى مقدور بشر أن يقول مثله . .

---

(١٤) سيرة ابن هشام جـ١ ص٤٠٨

ـ وصف القرآن الوليد بأنه وحيد ، واختلف المفسرون حول مضمون هذا الوصف فقال بعضهم : لقد خلقه الله وحيدا لا ماله له ولا ولد ثم أعطاه ذلك ،

وقد خص هو من دون الناس بهذا الوصف مع أنهم يشاركونه ذلك لاختصاصه من بينهم بكفر النعمة وإيذاء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم : إنه كان يلقب بالوحيد وكان يقول عن نفسه : أنا الوحيد بن الوحيد ليس لى فى العرب نظير لأبى المغيرة نظير .

وقال بعضهم : الوحيد الذى لايعرف أبوه ، وكان الوليد معروفا بأنه دعىٌّ ، كما ذكر فى قوله ـ تعالى ـ

﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾[١٥] .

فمن معانى الزنيم : اللصيق فى القوم . وكان الوليد دعيًا فى قريش ليس من أصلهم ، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده وقال شاعرهم فى ذلك :

زنيم ليس يعرف من أبوه　　　بغى الأم ذو حسب لئيم

وقال آخر :

زنيم تداعاه الرجال زيادة　　　كما زيد فى عرض الأديم الأكارع[١٦] .

واذا صح هذا التفسير لكلمة وحيد فقد دل ذلك على أن كل إناء ينضح بما فيه

---

(١٥) القلم ١٣

(١٦) تفسير القرطبى ـ سورة القلم ص ٦٧١٢

ـ حق المال أن يبذل فى الدفاع عن الحق لاف الصد عنه ، وفى طلب الهداية لاطلب الكفر . وقد ورد فى وصف المؤمنين قوله ـ تعالى ـ

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾(١٧) .

أما هذا المدعو الوليد فقد استعمل جاهه ونفوذه فى الصد عن سبيل الله .
وكان له ثلاثة عشر ولدا لم يؤمن منهم إلا ثلاثة : خالد وهشام والوليد .

وبعد نزول هذه الآيات فى شأنه ، مازال فى نقصان فى ماله وولده حتى هلك .
وعيد الله للكافرين حق ، وقد توعد الله الوليد بسوء الخاتمة وشدة العذاب فى جهنم ، وكان هذا جزاء وفاقا لما قدمت يداه .

لقد قال الله فى حقه : سأرهقه صعودا ، والصعود جبل فى جهنم من نار يتصعد فيه حتى لايجد له نهاية ، وكلما صعد هوى ، كذلك أبدا . .

وقيل : المعنى ، سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيه . .
وقيل المعنى ان نفسه تصّاعد للنزع وان لم يتعقبه موت ليعذب من داخل جسده كما يعذب من خارجه . وهذه نهاية سيئة وعاقبة وخيمة فيها عبرة لمن يعتبر وعظة لمن يزدجر . .

---

(١٧) الحج ٤١

رابعا : قصة النفاثات فى العقد

قال ـ تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾[18] .

ذكر العلماء فى مناسبة نزول هذه السورة أسبابا ..

منها ماورد من أن جبريل ـ عليه السلام ـ جاء للنبى صلى الله عليه وسلم ـ فقال له : إن عفريتا من الجن يكيدك فإذا أويت إلى فراشك فاقرأ قل أعوذ برب الفلق .. وقل أعوذ برب الناس .

ومنها أن الله أنزل هذه السورة والتى بعدها لتكونا رقية من العين . فقد روى أن قريشا سلطت على الرسول رجلا كان معروفا عندهم بالعين . فأتاه فقاله له : ما أشد عضدك ، وأقوى ظهرك وأنضر وجهك ، فأنزل الله المعوذتين وقاية له من شر العين ..

ومنها ماذكره جمهور المفسرين وثبت فى الصحيحين من حديث عائشة ـ رضى الله عنها قالت : إن النبى صلى الله عليه وسلم ـ سحره يهودى من يهود بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى يخيل له أنه يفعل الشىء ولايفعله . فمكث

---

(١٨) سورة الفلق

كذلك ماشاء الله أن يمكث . ثم قال : ياعائشة أشعرت أن الله أفتانى فيا استفتيت فيه ، أتانى ملكان ، فجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى . .

فقال الذى عن رأسى للذى عند رجلى ماشأن الرجل

قال : مطبوب

قال : فمن طبه ؟

قال : لبيد بن الأعصم .

قال : فبماذا ؟

قال : فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذى أروان فجاء البئر واستخرجه . .[١٩] .

وفى رواية أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا الماء من تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة وهى الراعوفة ـ أى الصخرة تترك فى أسفل البئر يقف عليها المائح ـ الذى يستقى بالدلو .

وأخرجوا الجف ، فإذا مشاطة ، وأسنان من مشط وإذا وتر معقود فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر .

فأنزل الله تعالى هاتين السورتين « المعوذتين » وهما احدى عشرة آية على عدد تلك العقد ،وأمره الله أن يتعوذ بهما ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ، ووجد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خفة ، حتى انحلت العقدة الأخيرة فكأنما نشط من عقال ، وقام ليس عليه بأس .

---

(١٩) فى رواية مشاقة ـ بالقاف ـ وهى ما يستخرج من الكتان وجف الطلعة غشاؤها. والراعوفة : الحجر الناتىء على رأس البئر وذى أروان اسم بئر

وجعل جبريل يرقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر حاسد وعين ، والله يشفيك .

فقالوا : يارسول الله ، ألا نقتله .

فقال : أما أنا فقد شفانى الله وأكره أن أثير على الناس شرا .

قال القرطبي ـ بعد أن ذكر هذه الرواية ـ : ذكر القشيرى فى تفسيره أنه ورد فى الصحاح أن غلاما من اليهود كان يخدم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فدنت إليه اليهود ، ولم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والمشاطة مايسقط من الشعر عند المشط ، وأخذ عدة من أسنان مشطه ، فأعطاها اليهود فسحروا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان الذى تولى ذلك لبيد بن الأعصم اليهودى[٢٠] .

وذكر الواحدى والسيوطى فى أسباب النزول ذلك .

وتشير هذه القصة إلى بعض حقائق :

منها أن السحر حقيقة يتمكن منه بعض الناس ويستعملونه ، ولاينجومنه أحد حتى الأنبياء . .

وأن ذلك لاينافى عصمتهم . وأن ماحدث بالنسبة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يزد على كونه مرضا أصابه فى بدنه ، والمرض جائز على الأنبياء . .

---

(٢٠) تفسير القرطبي ـ للمعوذتين

وقد أنكر المعتزلة هذه الواقعة لأنها تنافى العصمة التى أثبتها الله للنبى - صلى الله عليه وسلم - فى قوله : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ ﴾[21]

ولأن تجويز ذلك يستلزم القدح فى النبوة .

وإذا صح ذلك من السحرة أمكنهم إلحاق الضرر بكل من يريدون ، وأمكنهم تحصيل كل شىء لأنفسهم بما فى ذلك الملك والسلطان . .

وقد ادعى الكفار على النبى صلى الله عليه وسلم - بأنه مسحور فقالوا كما حكى القرآن .

﴿ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴾[22] .

ولو كان سحر النبى حقا للزم صدق الكفار فى وصفهم إياه . .

واعتدوا بقوله - تعالى - فى حق السحرة :

﴿ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴾[23] .

وقد رد العلماء على هذا القول بعدة وجوه منها .

- أنه قد ثبت هذا الخبر فى الصحاح .

- أنه لاينافى عصمة النبى - صلى الله عليه وسلم - كما قلنا .

- أما قول الكفار عن النبى - صلى الله عليه وسلم - بأنه مسحور فإنهم كانوا يقصدون به الجنون ، وقد وقع هذا القول فى مكة ، والسحر الذى حدث حدث فى المدينة بعد الهجرة .

---

(٢١) المائدة ٦٧
(٢٢) الاسراء ٤٧
(٢٣) طه ٦٩

وأن هذا السحر لم يصبه إلا بأذى فى بدنه وهو مرض ، والمرض ليس غريبا على الأنبياء إلا إذا أصاب العقل أو كان منفرا يمنع من المخالطة .

- ولايترتب على تأثير السحر فى النبى أن يشتبه ذلك بالمعجزة التى يعطاها الرسول ، فالفرق واضح جدا بين المعجزة والسحر . وقد سبق بيان ذلك .

- أما تذرعهم بالآية الكريمة ﴿ ولايفلح الساحر حيث أتى ﴾ فذلك حق . لأن عدم الفلاح ملازم للساحر لاستعمال السحر فى الضرر ، والمقصود بعدم الفلاح أن الله عز وجل سيبطله ، وسوف يعاقب السحرة ، ولن ينتفع ساحر بسحره ولن يفلح به لأن الفلاح الحقيقى للمؤمنين كما قال سبحانه : « **قد أفلح المؤمنون** »[٢٤] .

ومن الحقائق التى تشير إليها هذه السورة أن السحر شر ، وممارسته كفر ، ومن أنواعه النفث ، والنفث هو النفخ . كانت الساحرات يعقدن العقد ثم ينفثن أى ينفخن فيها حين يرقين عليها .

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم - عن ذلك .

روى أبوهريرة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئا وكل إليه[٢٥] .

وكما نهت هذه السورة فى مضمونها عن السحر فقد نهت عن الحسد ، وقد قال النبى - صلى الله عليه وسلم : « إياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[٢٦]

---

(٢٤) المؤمنون ١

(٢٥) رواه النسائى

(٢٦) رواه أبو داود عن أبى هريرة وفى رياض الصالحين برقم ١٥٦٧

ـ ومن الحقائق التى لاجدال فيها أن الله وحده هو القادر على دفع الضر الكائن من اى جهة سواء كان من حاسد أو ساحر أو شيطان ، ولذا أمرنا بالاستعاذة به من كل سوء . .

خامسا : متعلقات بالسحر :

أما وقد عرضنا القصص الواردة فى القرآن الكريم حول السحر ، فقد بقى بعض متعلقات تتصل به نشير اليها فيما يأتى :

١ ـ التنجيم . .

جاء فى لسان العرب : المنجم والمتنجم الذى ينظر فى النجوم بحسب مواقيتها وسيرها ، ولكل نجم منزل وموقع . . ونظر فى النجوم : فكر فى أمر ينظر كيف يدبره ، ومنه قوله ـ تعالى ـ عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٣٧) .

وكان من عادة قومه أن ينظروا فى النجوم ، وكانوا يعتقدون قدرتها على النفع والضر . .

وقد أقسم الله بمواقع النجوم فقال :

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ (٢٨)

أما النظر فى النجوم ومعرفة مواقعها والنظر فى الحساب المتعلق بذلك فهو علم صحيح يسمى علم الفلك يندب إليه ، وهو من العلوم الشرعية .

---

(٢٧) الصافات ٨٨ ، ٨٩

(٢٨) الواقعة ٧٥ ، ٧٦

وكان العرب القدماء أصحاب معرفة بأسماء وأوقات طلوعها وغروبها ، دعاهم إلى ذلك اعتمادهم عليها فى سيرهم برا وبحرا ، وساعدهم فى ذلك صفاء جوهم واختلاطهم بغيرهم من الكلدانيين الذين عاش بعضهم ببلاد العرب . .

وقد عرف العرب السيارات السبع التى جمعها بعضهم فى قوله :

زحل شرى مريخه من شمسه   فتزاهرت لعطارد الأقمار

وعرفوا كذلك البروج التى جمعها الشاعر فى قوله

حمل الثور جوزة السرطان   ورعى الليث سنبل الميزان
ورمى عقرب بقوس لجدي   نزح الدلو بركة الحيتان

ومعنى ذلك أن العرب قسموا الفلك وهو مدار الشمس إلى اثنى عشر قسما ، كل قسم منها يسمى برجا ، وهو منطقة يجتمع فيها عدد من الكواكب الثابتة ، تضمها خطوط موهومة ، تعطى صورة معينة لشىء من الأشياء التى ذكرت فى البيتين .

وقد ربط العرب حياتهم بهذه النجوم ، حتى ضل بعضهم فى ذلك فأشركوا واعتقدوا أن النجوم تضر وتنفع فكانوا يقولون : أمطرنا بنوء كذا . .

ومن هنا جاء النهى عن صناعة التنجيم .

وصناعة التنجيم ادعاء القدرة على استنطاق النجوم وادعاء أنها تدلى بمعلومات حول ماتسأل عنه .

يزعم هؤلاء أن كل انسان له نجم يتعلق به ، ومنه يعرف كل ماخط له وقدر له ، وقد راج هذا الأمر حتى اننا نرى فى صفحات الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية بابا تحت عنوان : أنت والنجوم . .

ويكتب تحت كل برج من الأبراج كلمات مصنوعة يصدقها البعض فيتطيرون أو يتفاءلون ، وقد يترتب عليها توقف أمور وتعطيل مصالح . .

روى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قوله : **« من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد »**(٢٩) .

وجاء فى أسد الغابة فى ترجمة أبى محجن الثقفى أن أباسعيد البقال .

روى عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول : **« أخوف ما أخاف على أمتى ثلاث إيمان بالنجوم ، وتكذيب بالقدر ، وجور الأئمة »**(٣٠) .

ويلتحق بذلك مايزعمه الزاعمون حول قراءة الكف بزعم أنها تحمل خطوطا تمثل حظ الإنسان وقدره وعمره وشقائه وسعادته ، وأن ذلك يعرفه من أوتى علم ذلك . . وكل هذا محض افتراء ولا أساس له من الصحة . .

ومثله مايقاله حول قراءة الفنجان . . ولسنا نعرف حتى الآن جدوى ارتباط قدر الانسان بما تتركه متبقيات البن فى فنجان شاربه ولماذا كان البن بالذات ؟ ولماذا لاينطبق ذلك على مخلفات القرفة أو الكاكاو أو غيرهما مما تكون له آثار باقية

---

(٢٩) رواه أبو داود باسناد صحيح ، وذكره رياض الصالحين برقم ١٦٦٩

(٣٠) أسد الغابة لابن الأثير حـ ٦ ص ٢٧٦

فى الإناء وكيف كان الناس يعرفون أقدارهم قبل ظهور شراب القهوة ولم تظهر إلا منذ قرون قليلة .

هذا لعب بعقول السذج من الناس ..

تحضير الأرواح :

أما تحضير الأرواح فإنه يقوم أولا وأخيرا على الاتصال بالجن أو القرين .

أما روح الانسان الميت فهى بعيدة كل البعد عن الحضور إلى تلك الجلسات التى يزعم الزاعمون أنهم يستحضرون فيها أرواح الموتى ..

ذلك أن الميت اذا كان من أهل الجنة فهو فى شغل بنعيمه عن هذه الدنيا الفانية وأهلها ..

وإذا كان ـ والعياذ بالله من أهل الشقاء فهو فى شغل بشقائه عن الاستجابه لمن يدعوه .. وقد ورد أن القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ..

والروح المؤمنة المنعمة كيف تنزل عن درجة سعادتها للمشاركةفى عبث هؤلاء الذين يلعبون بعقول الناس

والروح الشقيةأنّى لها أن تستجيب لمن يدعوها وهى فى حيرة وشقاء واضطراب .

إذن فاستحضار الأرواح اذا ما أمكن حدوثه ، إنما هو استحضار للجن أو للقرين . . وذلك ممكن ولا استحاله فيه إذ توافرت الشروط المتاحة لذلك . .

وقد ذكر فى ذلك خبر ذكره صاحب كتاب (حقيقة تحضير الأرواح) . عن العلامة القاضى بدر الدين بن عبدالله الشبلى قال :

قال أبوبكر القرشى حدثنا عبدالله بدر عن يحيى بن يمان عن سفيان عن عمر بن محمد عن سالم بن عبدالله قال : كان أبوموسى الأشعرى ـ رضى الله عنه أميرا

للبصرة ، وقد أبطأ عليه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فاستدعى امرأة فى جنبها شيطان يتكلم ، فقال لها : مري صاحبك فليخبرنى عن أمير المؤمنين فقالت : إن صاحبى باليمن يوشك أن يأتى .

وبعد حضوره طلبت منه المرأة ما طلبه أبوموسى , قالت له : اذهب فأخبرنا عن أمير المؤمنين حيث أبطأ خبره عنه .

فرد الشيطان قائلا : ماخلق الله شيطانا يسمع صوت عمر إلا خر لوجهه .

وذكر أيضا أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أرسل جيشا ، وبعدها حضر شخص إلى المدينة وأخبر بانتصار الجيش على العدو . .

ولما شاع الخبر قال عمر ـ رضى الله عنه ـ : هذا أبوالهيثم بريد المسلمين من الجن وسيأتى بريد الإنس .

وماهى إلا أيام حتى تأيد الخبر .. [٣١] .

هذه الأخبار التى ذكرها صاحب الكتاب إن صحت فهى تدل على حقيقتين هامتين .

أولاهما أن الجن لاتخبر الا عن الأمور الماضية ، أما الأمور المستقبلية فلا تعلم عنها شيئا ..

والأخرى أن الشيطان يفر من عمر بن الخطاب تصديقا للحديث الشريف « ان الشيطان ليفر منك ياعمر » وفى رواية « لوسلك عمر طريقا لسلك الشيطان طريقا آخر » .

ويفهم من الخبرين السابقين أن هناك اتصالا يمكن أن يتم بين الإنس والجن ، وقد ذكرنا فى حديثنا عن الجن مايشير إلى ذلك ..

وإمكانية الاتصال بالجن واستخبارهم ليست مستحيلة .

وذكر صاحب الكتاب المذكور فيما يدل على أن الجن يعرفون الماضى ولايعرفون المستقبل ، وأنهم يعرفون من الماضى الأمور الدقيقة التى لاتخطر على بال وذلك عن طريق استخبار القرين أو الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس .

قال : أخبر ابن أبى داود قال : حدثنا يونس بن حبيب وأبو داود عن أبى الجوزاء قال : طلقت امرأتى يوم الجمعة ، وقلت فى نفسى سأراجعها يوم الجمعة

---

(٣١) حقيقة تحضير الأرواح ص ٤٦

القادمة ، ولم أخبر بذلك أحدا . . فقابلتنى امرأتى وقالت : أنت تريد أن تراجعنى فقلت لها : إن هذا شىء ماحدثت به أحدا قط .

ولكنه تذكر قول ابن عباس : إن وسواس الرجل يخبر بما يتحدث به ، وبهذا يفشو الحديث .

وأخبر ابن أبى داود أيضا كذلك قال : حدثنى أبى باسناد ذكره أن الحجاج بن يوسف الثقفى أتى برجل رماه الناس بالسحر .

فقال له : أساحر أنت ؟

فرد الرجل قائلا : لا

فأخذ الحجاج كفا من الحصى وعدها دون أن يراها الرجل ، ثم قال له : فى يدى كم من الحصيات فأجاب الرجل : كذا .

ولما وجد العدد صحيحا ، تناول الحجاج كفا أخرى من الحصيات ولم يعدها ، ثم قال له : كم فى يدى من الحصيات .

فأجاب الرجل : لا أدرى .

فسأله الحجاج : كيف عرفت عدد الحصيات الأولى ولم تعرف الثانية .

فأجاب الرجل : عرف وسواسك عدد الحصيات الأولى فأخبر وسواسى الذى نقل لى العدد ، أما الثانية فلم يعرفها وسواسك لأنك لم تعدها ، فلم يستطع وسواسى إخبارى بها [٣٢] .

---

(٣٢) المرجع السابق ص ٤٧

فلا يبعد أن تكون عملية تحضير الأرواح التى تتم فى بعض الأوساط إنما تتم بطريقة الاستعانة بالقرناء أو الخناسين الذين أشارت إليهم القصص المذكورة .

ونقول : إن هذا ميدان يكثر فيه الدجل ، وربما وقع فيه البسطاء والسذج تحت سيطرة من يستغلونهم استغلالا سيئا ، ولذلك فمن الأحسن والأفضل الابتعاد عن مثل هذه الأمور ، وصرف النفس عن الاشتغال بها وتحريك الهمة إلى ماهو أجدى للنفس وأقوى على جهادها ، وتعمير الوقت بصالح الأعمال بدلا من الاشتغال بسفاسف الأمور وحبائل الشيطان . .

الرقى :

الرقى جمع رقية : وهو العوذة التى يرقى بها المريض أو المصاب . قال الشاعر :

فما تركا من عوذة يعرفانها ولارقية الا بها رقيانى

وتجمع على رقى - بضم الراء .

وقد جاء فى بعض الأحاديث جوازها ، وفى بعضها النهى عنها .

قال ابن منظور : فمن الأحاديث التى أجازتها قوله - صلى الله عليه وسلم - (استرقوا لها فان بها النظرة) اى اطلبوا لها من يرقيها . .

ومن الأحاديث التى نهت عنها قوله : لايسترقون ولايكتوون .

والاحاديث فى القسمين كثيرة ، ووجه الجمع بينها أن الرقى يكره منها ماكان بغير اللسان العربى وبغير أسماء الله تعالى ـ وصفاته وكلامه فى كتبه المنزلة ، وبأن يعتقد أن الرقيا نافعة لامحالة فيتكل عليها ، وإياها أراد بقوله : ﴿ **ماتوكل من استرقى** ﴾ .

ولايكره منها ماكان بخلاف ذلك كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله ـ تعالى ـ والرقى المروية عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحبه . .

وقد اعتمد من جوز الرقية على أن جبريل ـ عليه السلام ـ رقى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقول : (**باسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك والله يشفيك**) .

وبأنه روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يعلمنا من الأوجاع كلها والحمى هذا الدعاء :

(**باسم الله الكريم ، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ـ فوار بالدم ـ من شر حر النار**) .

وبأن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال من دخل على مريض لم يحضره أجله فقال : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، سبع مرات شفى بإذن الله وإرادته . .

وبأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا زار مريضا قال : (**أذهب الباس رب الناس إشف أنت الشافى لاشافى إلا أنت** .

وقد رقى الحسن والحسين بقوله : (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ، وقال : كان أبي إبراهيم يُعَوذ بذلك ابنيه إسماعيل وإسحاق .

فمن هذه الأحاديث وغيرها جوَّز العلماء الرقى ، ولكنهم حذروا من الرقى المجهولة التي لاتعرف حقائقها كما مر . .

وما الرأى فى التعاليق ؟

وهى التمائم التى تعلق على المريض .

لقد منعها بعض العلماء اعتمادا على قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (من علق شيئا وكل إليه) .

وقد تكون التميمة خرزة أو شبهها تعلق على الصبى ، فقد جاء فى القاموس : هى خرزة رقطاء تنظم فى سير ثم تعلق فى العنق ، وكان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح . وفيها يقول الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظافرها ألفيت كل تميمة لاتنفع

وهذا عبث لاقيمة له .

أما إذا كانت التميمة تعويذة من كتاب الله أو أسماء الله الحسنى ، فقد سئل الباقر ـ عليه السلام ـ عن التعويذ يعلق على الصبيان فرخص فيه[٣٣] .

---

(٣٣) قصة السحر والسحرة ص ٢٠٥

مايبطل السحر :

يزعم بعض الجهلة أن اللجوء إلى الدجالين هو الذى يبطل السحر وكثيرا مايقع هؤلاء بين براثنهم فيستغلونهم أسوأ استغلال ، ويستنزفون مواردهم ، ويزينون لهم فعل أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن ذلك مايسمونه (الزار .

وتقام بسبب ذلك حفلات تنفق فيها أموال طائلة وتذبح فيها طيور أو حيوانات ذات ألوان خاصة ، وكل ذلك لاعلاقة له إلا بمصلحة من يزين ذلك . .

وفى هذا الحفل تدق الطبول ويتراقص حولها من يزعمون بأنهم مصابون من الجن أو السحر حتى انهم يتساقطون إعياء من الرقص . .

كل هذه معتقدات باطلة وأوهام شائعة ودجل يحاربه الدين أشد المحاربة ويأباه أشد الإباء .

وماينطبق على الزار ينطبق أيضا على هؤلاء الذين يزعمون أن بإمكانهم فك السحر وإبطال أثره عن طريق تكليف المصاب بأشياء ترهقه ، كارتداء ملابس خاصة أو تقديم أشياء عينية لها علامات مميزة لمن يزعم أن بإمكانه القدرة على فك « العمل » وإبطال السحر ، أو دفع مبالغ من المال فى نظير ذلك .

أما الذى يبطل السحر حقا فهو اللجوء إلى الله والاعتصام به ، والتحصن من شياطين الإنس والجن بالمداومة على قراءة القرآن والأدعية الواردة فى ذلك . . وقراءة المعوذتين حصن حصين ينجى من براثن السحر وأذى الجن .

وإذا داوم المؤمن على قراءة قل هو الله أحد ، والمعوذتين نجا بإذن الله من الأذى .

ومن الآيات التى يقرؤها الإنسان فى ذلك أيضا آية الكرسى . .

وقد ورد فى ذلك أثر عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« من قرأة آية الكرسى فى ليله لم يزل عليه من الله حافظ ولايقربه شيطان حتى يصبح » .

وصح عنه أنه قال :

« من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » .

ومن الأدعية الواردة فى ذلك ماقاله النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

« من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق ـ لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك » . ومن الأدعية التى يحسن أن يقولها المسلم فى أول النهار وأول الليل ثلاث مرات :

« باسم الله الذى لايضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم » [٣٤] .

« اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر والشر ولكنك احتفظت لذاتك بإذن الضر ، فأعوذ بك بما أقدرت عليه بعض خلقك بحق قولك : وماهم بضارين به من أحد بإذن الله » [٣٥] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه وسلم .

---

(٣٤) هذه الأدعية مقتبسة من كتاب السحر والسحرة فى القرآن الكريم تحقيق محمد ابراهيم سليم

(٣٥) الأدلة المادية على وجود الله ـ الشيخ محمد متولى الشعراوى ص ٤

بين السحر والحسد :

من الأمور المتعلقة بالسحر الحسد . من حيث ان كلا منهما له أثره الضار فى الغير ، وقد شملت سورة الفلق الاستعاذة من كليهما :

وقد وردت مادة الحسد فى القرآ الكريم فى أربعة مواضع .

فى سورة البقرة فى قوله تعالى :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ (٣٦) .

وفى صورة النساء فى قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (٣٧) .

وفى سورة الفتح فى قوله تعالى :

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ (٣٨) .

---

(٣٦) البقرة ١٠٩

(٣٧) النساء ٥٤

(٣٨) الفتح

وفى سورة الفلق ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥ ﴾[٣٩] .

وقد ورد الحسد بمعناه أو قريب منه فى قوله تعالى :

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۝٥١ ﴾[٤٠]

مفهـــوم الحسـد :

وفسر العلماء الحسد بأنه تمنى زوال النعمة عن صاحبها الذى يستحقها . وقد ظهر ذلك واضحا فى الكفار ، سواء أكانوا من أهل الكتاب أم من المشركين .

وحسد أهل الكتاب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان بسبب ما آتاه الله من نبوة وحكمة ، وقد كانوا يعتقدون أن ذلك خاص بهم ولايستحقه غيرهم ، فلما أعطيه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو ليس من بنى اسرائيل حسدوه على ذلك ، وتمنوا لوارتد المسلمون كفارا حتى لاينعموا بنعمة الإيمان التى منحوها بسبب هذا القرآن والنبى الذى أنزل عليه .

لقد كَبُرَ عليهم أن تسبقهم العرب إلى الإيمان وهم أهل بداوة وأمية . ولكن الله يمن بفضله على من يشاء.. ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . وروى العلماء فى سبب نزول هذه الآيات مايأتى :

---

(٣٩) الفلق ٥

(٤٠) القلم ٥١

ذكر صاحب تفسير المنار قال : إن بعض اليهود ككعب بن الأشرف وغيره لم يجدوا مطعنا يقولونه فى النبى - صلى الله عليه وسلم - الا تعدد أزواجه وحسدوه على ذلك ، فنزلت آية النساء ترد هذه الشبهة لأن بعض أنبيائهم كداود وسليمان - عليهما السلام كانت لهم كثرة من الأزواج ، كما رد على استبعادهم أن يكون الملك فى غير بنى اسرائيل بانه تعالى أعطى آل إبراهيم من ذرية إسحاق الكتاب والحكمة والنبوة فضلا منه من غير أن يكون لهم حق عليه تعالى ، فكذلك يعطى لآله من ذرية إسماعيل ولاحجر على فضله ، فإن كان ذلك الفضل الإلهى لايناله إلا من سلف من آل إبراهيم فللعرب هذا السلف .

فإيتاء الله - تعالى - بعض البشر الفضل إما أن يكون بمحض الاختصاص والاختيار وذلك موكول الى مشيئة الله عز وجل ، وإما أن يكون لمزايا وفضائل فيمن يعطيه ذلك ، وحينئذ يكون كل من يكتسب تلك المزايا مستحقا لهذا الفضل ، والنبوة ومقدماتها بمحض الاختصاص .

أما كثرة النساء لداود وسليمان - عليهما السلام - فهى ثابتة فقد نقل بعض المفسرين أنه كان لداود مائة امرأة ، وأنه كان لسليمان عليه السلام أكثر من ذلك ، فكيف يستنكر اتباعهما أن يكون للنبى - صلى الله عليه وسلم - تسع نسوة ، وقد تزوج أكثرهن لحكم وأسباب عامة أو خاصة .

وقد أقرت كتبهم التى بأيديهم بكثرة نساء سليمان . .

هذا سر حسد أهل الكتاب للنبى صلى الله عليه وسلم . . أما حسد المشركين

العرب فكان على ماوهبه الله للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من هذا الفضل العظيم والمنزلة الكبيرة التى اكتسبها فى نفوس من آمن به ، والتأثير القوى لبيانه وخصائصه ولهذا القرآن العظيم الذى اختصه الله بنزوله عليه حتى قال قائلهم :

فيما يحكيه القرآن الكريم :

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (٤١) .

وتشير إليه أيضا آية سورة القلم (٤٢)

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾

ومن شدة حسدهم زعموا كذبا وزورا أنه مجنون وقالوا عنه إنه ساحر .

ذم الحسد :

والحسد صفة مذمومة لاشك فى ذلك ، لأن تمنى زوال النعمة عن الغير جحود وحقد ، وربما جمع الحسود بين صفات مذمومة متعددة لاسبيل إلى مقاومتها إلا بالصبر كما يقول الشاعر :

اصبر على حسد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ماتأكله

---

(٤١) الزخرف ٣١ ، ٣٢
(٤٢) سورة القلم آية ٥١

قال الإمام علي ـ كرم الله وجهه ـ : الحاسد مغتاظ على من لاذنب له ، وقيل : الحسود غضبان على القدر وربما وصف الحسود بالكفر ومرد ذلك إلى

احتجاجه على القدر ، واتهامه الخالق ـ جل وعلا ـ بالجور والظلم وعدم الإنصاف لأنه لم يرض بما أنعم الله على عباده من خير وماوهبهم من فضل ، وقد ترجم بعضهم ذلك شعرا فقال :

ألا قل لمن بات لى حاسدا   أتدرى على من أسأت الأدب
فظنك فى خالقى سيىء   لأنك لم ترض لى ماوهب
فكان جزاؤك أن زادنى   وسد عليك بباب الطلب

إن الحاسد فى غم مقيم ويزداد غمه كلما زادت نعم الله على المحسود ، وقد يقتل هذا الغم صاحبه ، ولذلك يقول بعض الحكماء : الحسد داء منصف يفعل فى الحاسد أكثر من فعله فى المحسود ، وهذا مأخوذ من الأثر الكريم : قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله .

ونقل عن أبى الليث السمرقندى فى هذا المعنى قوله : يصل الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود .

أولاهما غم لاينقطع ، الثانية مصيبة لايؤجر عليها ، الثالثة مذمة لايحمد عليها ، الرابعة سخط الرب ، الخامسة يغلق عنه باب التوفيق [٤٣].

هل هناك حسد محمود :

الحسد المحمود هو مايسمى بالغبطة ، وهو الذى ورد فيه الأثر الشريف : (لاحسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها) [٤٤] .

---

(٤٣) المستطرف من كل فن مستظرف حـ ١ ص ٢١٣
(٤٤) فتح البارى حـ ١ ص ١٩٩ ـ كتاب العلم حديث رقم ٧٣

قال العلامة ابن حجر فى شرح هذا الحديث ، الحسد فى هذا الحديث هو الغبطة وأطلق عليها لفظ الحسد مجازا ، ومعنى الغبطة أن تتمنى أن يكون لك مثل مالغيرك من غير أن يزول عنه ، والحرص على هذا يسمى منافسه فان كان فى الطاعة فهو محمود ومنه قوله ـ تعالى ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦﴾[45] وإن كان فى المعصية فهو مذموم ومنه « ولاتنافسوا » وان كان فى الجائزات فهو مباح ، فكأنه قال فى الحديث لاغبطة أعظم أو أفضل من الغبطة فى هذين الأمرين ، ووجه الحصر أن الطاعات إما بدنية أو مالية أو كائنة عنهما وقد أشار إلى وقد أشار إلى البدنية بإتيان الحكمة والقضاء بها وتعليمها . .

ففى القيام بذلك تسخير للبدن فى أمر حسن يستوجب الثواب من الله ، وقد جاء هذا صريحا فى رواية أخرى للحديث أخرجه أحمد : « رجل آتاه الله القرآن فهويقوم به آناء الليل وآناء النهار » .

والطاعة المالية واضحة فى بذل المال فى سبيل الله ـ تعالى ـ واذهابه فى مرضاته ـ سبحانه ـ إن مثل هذين الرجلين يستحقان أن يغبطا وأن يقول المؤمن عنهما : ليتنى كنت مثلهما فأعمل بمثل مايعملان . .

الاصابة بالعين :

ويتصل بهذا الأمر الإصابة بالعين ، وهى مشاهدة ملموسة ، وقد ورد فى ذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « العين حق »[46] .

وقال ابن حجر فى شرحه : الإصابة بالعين شىء ثابت موجود أو هو من جملة ماتحقق كونه ، وإن كان طوائف المبتدعة قد أنكروه لغير معنى لأن كل شىء ليس محالا فى نفسه ولايؤدى إلى قلب الحقيقة ولا إفساد دليل فهو جائز عقلا ، فإذا أخذ الشرع بوقوعه لم يكن لإنكاره معنى .

---

(٤٥) سورة المطففين ٢٦

(٤٦) فتح البارى حـ ١٠ ص ٢١٣ ـ كتاب الطب حديث رقم ٥٧٤٠

ومن القصص الواردة فى ذلك ما رواه أحمد والنسائى وصححه ابن حبان من طريق الزهرى عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خرج وساروا معه نحو ماء ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف ـ وكان أبيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة فقال : مارأيت كاليوم ولاجلد مخبأة ، فَلُبِط ـ أى صُرِع ـ سهل ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال : هل تتهمون به من أحد قالوا : عامر بن ربيعة ، فدعا عامراً فتغيظ عليه فقال : علام يقتل أحدكم أخاه هلا إذا رأيت مايعجبك بَرَّكت أى قلت : تبارك الخلاق العظيم ، ثم قال : اغتسل له ، فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره فى قدح ، ثم يصب ذلك الماء على رجل من خلفه على رأسه وظهره ثم يكفأ القدح ، ففعل به ذلك ، فراح سهل مع الناس ليس به من بأس [٤٧] .

وسبب تأثير العين أن صاحب العين ينبعث من عينيه قوة سُمِّية تتصل بالمحسود فيهلك أو يفسد ، وهو كاصابة السم من نظر الأفاعى .

وكان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمر بالاسترقاء من العين ، وحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ فى ذلك : أمر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يسترقى من العين [٤٨] .

وقد ذكرنا فى صدر هذا الحديث آية القلم ﴿ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ﴾ .

---

(٤٧) فتح البارى ١٠ ٢١٤

(٤٨) المرجع السابق الحديث رقم ٥٧٣٨

وأشرنا إلى حسد الكفار للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لاختصاصه بالقرآن العظيم الذى نزل عليه ، ونضيف هنا ماذكره المفسرون حول سبب نزول هذه الآية .

ذكر القرطبى : كاد الكافرون لشدة عداوتهم للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يصيبوه بالعين ، فنظر إليه قوم من قريش وقالوا : مارأينا مثله ولامثل حججه .

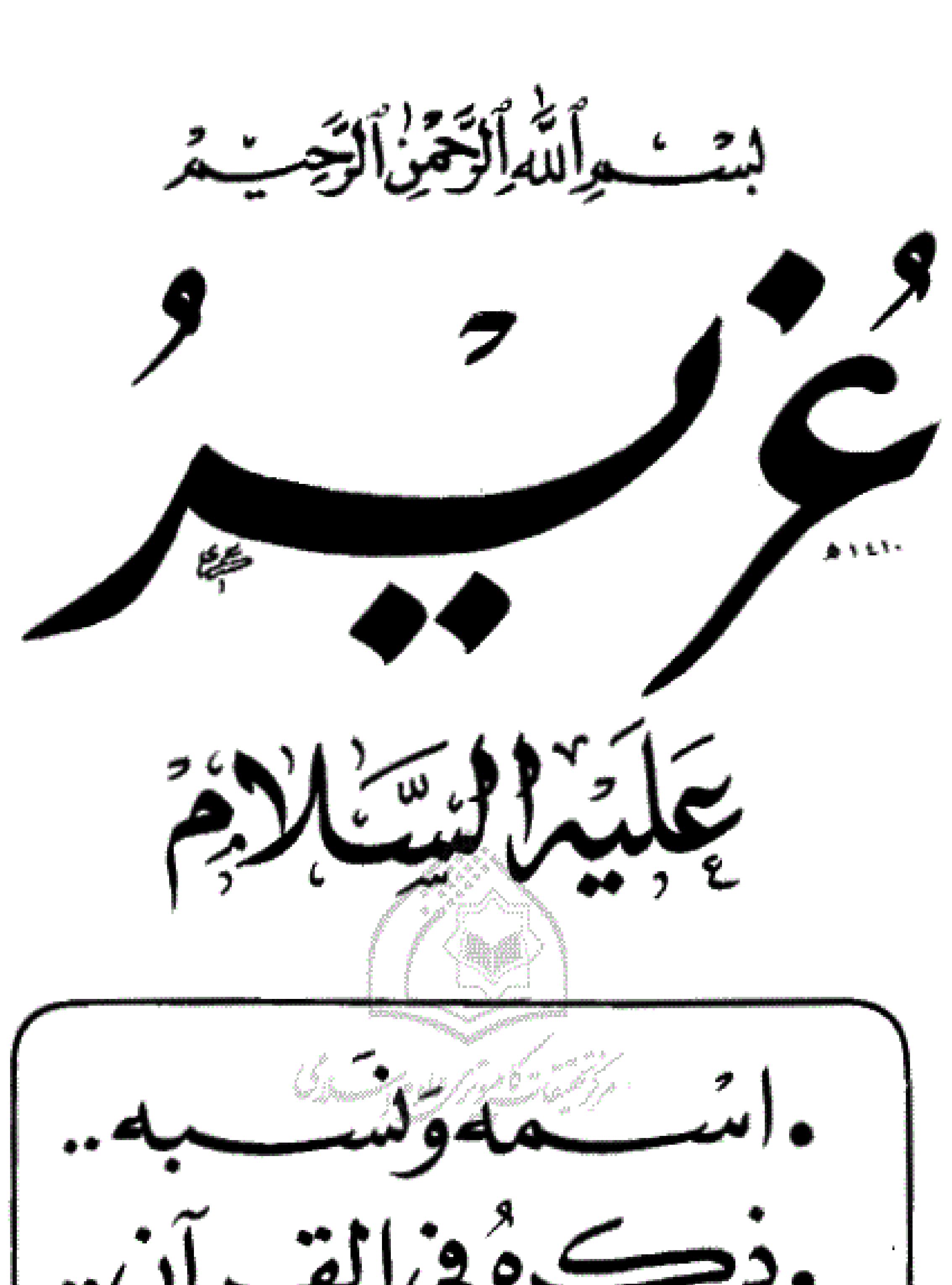
وقيل : كانت العين فى بنى أسد حتى إن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعاينها ، ثم يقول ياجارية خذى المكتل والدرهم فاتنا بلحم هذه الناقة ، فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر .

وقال الكلبى : كان رجل من العرب يمكث لايأكل شيئا يومين أو ثلاثة ، ثم يرفع جانب الخباء فتمر به الإبل أو الغنم فيقول : لم أر كاليوم إبلا ولاغنما أحسن من هذه ، فما تذهب إلا قليلا حتى تسقط منها طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالعين فأجابهم ، فلما مر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنشد :

قد كان قومك يحسبونك سيدا وأخاك أنك سيد معيون

فعصم الله نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية ..

والله اعلم .....



- اسمه ونسبه..
- ذِكرُه في القرآن..
- هَل هُوَ الذي مَر عَلى القرية؟
- إحياء التوراة...
- ضلال اليهود فيه...

بعد أن غزا بختنصر بيت المقدس وخربه ، واستولى على المدينة ، أسر أهلها ، وفيهم أشراف بنى إسرائيل وأنبياؤهم ، وكان منهم دانيال وعزير وغيرهما . .

وظل هؤلاء فى الأسر حتى مَنَّ الله على بنى إسرائيل ، فأُطلقوا من الأسر وعادوا إلى بيت المقدس مرة أخرى . وفى خلال ذلك جرت بعض الأحداث التى تناولها المؤرخون والرواة والمفسرون بأقلامهم ، ونعرض من ذلك مايتعلق بعزير الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم .

اسمه ونسبه :

ذكر ابن كثير فيما يرويه عن الحافظ ابن عساكر نسب عزير فقال :

هو عزير بن جروة ، ويقال : ابن سوريق بن عديار بن أيوب بن عرى بن تقى بن أسرع من سبط هارون بن عمران ـ عليه السلام .

ويقال : عزير بن سروخا وقال القرطبى : عزير بن شرخيا وكان من علماء بنى إسرائيل .

وقد عاصر عزير أحداث التخريب التى حدثت فى بيت المقدس ، وساءه ذلك كما ساء غيره من أنبياء بنى إسرائيل . . وكان أبوه من حفاظ التوراة وورث ذلك عنه .

وكان خراب بين المقدس بسبب بغى بنى إسرائيل وعدوانهم ، فسلط الله عليه عدوهم الذى استلب ملكهم وسباهم وعاقبهم الله إلى جانب ذلك باستلاب التوراة منهم ومَحْوِها من صدورهم ، حتى انه لم يظل على حفظها إلا نفر قليل جدا

كان من بينهم أبوعزير . . ويقال إنهم حين خشوا عليها من عدوان البابليين عمدوا إليها فدفنوها فى أماكن خفية .

ذكره فى القرآن :

لم يذكر عزير باسمه فى القرآن إلا مرة واحدة فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٤٩) .

وقد جاء ذلك فى صدد الجهاد للكفار الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر ولايدينون دين الحق . . وذكر العلماء أن القرآن الكريم أشار إلى عزير دون ذكر اسمه فى آية أخرى هى قوله تعالى :

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ (٥٠) .

---

(٤٩) التوبة ٣٠

(٥٠) البقرة ٢٥٩

هل عزيز هو الذى مر على القرية ؟

وقد اختلف العلماء حول ذلك الذى مر على هذه القرية .

فقال بعضهم : إنه أرمياء النبى .

وقال بعضهم : إنه عزير .

وقال بعضهم : إنه أرمياء وهو الخضر ، وقال بعضهم : إنه رجل من بنى إسرائيل غير مسمى .

كما اختلفوا فى اسم القرية فقال بعضهم : إنها إيلياء - بيت المقدس - .

وقال بعضهم : إنها دير هرقل .

وقال بعضهم : إنها القرية التى خرج منها الألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم .

ومادام القرآن لم يسمها فلنكتف بالقول بأنها قرية من تلك القرى التى تتعرض للتخريب والتدمير مع طول العهد وتقادم الزمن ، أو باجتياح الأعداء أو جوائح القدر .

قصـــة ذلك :

ذكر الرواة قصة تلك القرية فقالوا :

بعد أن غزا بختنصر بيت المقدس وخربه ، وقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ،

كان فيمن قتلهم أبوعزير وكان من أحفظ الناس للتوراة . .

ومَنَّ الله على من بقى فى الأسر من بنى إسرائيل ففك أسرهم ، بعد أن قضوا فى ذل الإسار سنين طوالا وانطلقوا إلى بيت المقدس فأقاموا هناك ماشاء الله لهم أن يقيموا قبل أن تخرب مدينتهم مرة أخرى .

كان عزير قد بلغ أربعين عاما فى ذلك الوقت .

وامتطى عزير يوما حماره ، وحمل غذاءه الذى يتكون من الفاكهة وعصير العنب أو اللبن وسار فى طريقه ، يتأمل فى نفسه أحوال الدنيا ، ويستعرض مامر به

وبقومه من أحداث ، حتى ظهرت له فى طريقه قرية دارسة ، كانت فى سابق عهدها ذات مجد وعمران ، وأهل وسكان . . إنها الآن خالية من أهلها وقد تداعت منازلها ، ودرست معاهدها ، وذهبت جدتها ، وقفرت طرقاتها ، وأتربت عرصاتها ، وفارقتها بهجتها . .

واستقر به المقام تحت شجرة على شاطىء نهر ، والقرية الدارسة أمام عينيه ، وأخذ يستحضر فى ذهنه جمالها القديم ويستعيد أنسها الذاهب . .

ونزل عن حماره ، ومهد لنفسه مكانا وجلس ، وأخرج طعامه وشرابه ووضعه بجانبه ،وقد ربط حماره قريبا منه . . وتناول من ثمار الفاكهة بعضها ، وشرب قليلا من العصير الذى معه ، وأسند ظهره إلى الجدار الذى وراءه وقال يخاطب نفسه متعجبا : أنَّى يحيى الله هذه القرية بعد موتها .

وذكر ابن كثير فى خبر رواه إسحاق بن بشر باسناد إلى وهب بن منبه أن عزيراً كان عبدا صالحا حكيما ، خرج ذات يوم الى ضيعة له يتعهدها ، فلما انصرف أتى إلى قرية خربة حين قامت الظهيرة وأصابه الحر ، ودخل القرية وهو على حماره ، فنزل ومعه سلة فيها تين وسلة فيها عنب ، وجلس فى ظل جدار وأخرج قصعة معه فاعتصر من العنب الذى كان معه فى القصعة ثم أخرج خبزا يابسا معه ألقاه فى تلك القصعة فى العصير ليبتل فيأكله ، ثم استلقى على قفاه وأسند رجله إلى الحائط فنظر إلى سقف تلك البيوت ورأى مافيها وهى خاوية على عروشها وقد باد أهلها ، ورأى عظاما بالية فقال : أنى يحيى هذه الله بعد موتها [٥١].

إنه ليس منكرا لقدرة الله ولكنها كلمة يقولها المتحسر على حال البلاد التى كانت عامرة فخربت .. والديار التى كانت آنسة فدرست .

وكأنه يسأل عن الوسيلة التى تعود بها القرية إلى حالتها الأولى ..
فكان سؤاله تعجبا لاإنكارا .. واستخبارا لا إلحادا ..

إن التعمير يحتاج إلى آماد طويلة ، وأسباب كثيرة ، وأيد عاملة ، وعقول مفكرة ، وأموال طائله ، وقد أقفرت القرية من ذلك كله .. فما الطريق إلى تعمير هذه القرية وكيف تعود إلى سابق عهدها وقديم مجدها .

إنه تحسر على ماآلت إليه وتلهف إلى رؤيتها كما يشتهى ..
ثم غلبه النوم فنام .

---

(٥١) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥٣٢

وضرب الله على أذنه حتى بلغ مائة عام فى نومته ..

وأعمى الله عنه كواسر الطير فى الفضاء ، وضوارى الوحش فى الأرض .

كان الوقت حين غلبه النوم ضحا ، ثم حين أذن الله له باليقظة كانت الشمس على وشك الغروب ..

وتمطى من نومته الطويلة ، ووجد بجواره مَلكا يسأله : كم لبثت فى نومتك هذه .

فقال : لبثت يوما أو بعض يوم ..

وقدأجاب بما يظنه الصدق . ألم يكن الوقت ضحاً حين نام ثم هاهو ذا يستيقظ قبل الغروب .. فهو إذن بعض يوم لا يوم كامل .. ولكن المَلَك أخبره بأنه نام مائة عام ..

وكان إخبار المَلَك له بذلك عجيبا يثير التساؤل والدهشة ، فنظر إلى المَلَك نظر منكر لما يسمع . ووقع بصره على طعامه وشرابه ممدودا أمامه فوجده على حاله .

فقال لمخاطبه : كيف تقول إنى نمت مائة عام ، وهاهوذا طعامى وشرابى بحاله لم يتغير هذه الفاكهة مازال غضة ،وهذا العصير مازال على حاله لم يتغير . إن هذه الفاكهة لو مر عليها أكثر من يوم لظهر فيها العطب ، وإذا مر عليها أكثر من ذلك أنفت منها النفس وألقاها صاحبها بعيدا . وعصير الفاكهة لايتناوله صاحبه إلا إذا كان طازَجا ، أما إذا مر عليه وقت طويل فإن رائحته تتغير ، وتمجه النفس وتعافه وتنصرف عنه .

وحين رأى المَلَك تعجبه ودهشته قال له :

هذه قدرة الله التى صنعت ذلك ، حفظت لك طعامك وشرابك طوال هذه السنين المائة فلم يفسد ولكى تعلم قدرة الله حقا ، انظر إلى حمارك .

وتذكر عزير حماره ، ونظر إلى المكان الذى ربطه فيه فلم يجده وربما ساوره وَهْم أن حماره قطع حبله ومضى بعيدا .

ولكنه دقق النظر فوجد مكان الحمار عظاما بالية لم تكن موجودة حين نزل فى هذا المكان .

وأراد الله أن يريه نموذجا من قدرته الخارقة فبعث ريحا جاءت بما تناثر من عظام الحمار من كل مكان ذهبت فيه .

فاجتمعت تلك العظام وركبت القدرة بعضها فى بعض ، وعزير ينظر إلى ذلك وهو مشدوه .. فصارت حمارا من عظم ليس عليه لحم وليس فيه دم .

ثم أمر الله العظام أن تكتسى لحما فاكتست ، وأن تسرى فى عروقها الدماء فسرت ..

ثم أمر الله ملكا أن ينفخ فى منخر الحمار فنفخ فقام الحمار ينفض أذنيه وينهق ..

وهنا خاطبه الله على لسان المَلَك قائلا له : انظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ..

أدرك عزير حينئذ أن الله أراد أن يطلعه على مظاهر قدرته الفائقة وأن يجعله يزداد يقينا واعتقادا وأن يشهده تمام رحمته وفضله فيوقن بذلك حق اليقين .

إنه كان يوقن بذلك إيقانا عن علم ، فأصبح يوقن بذلك عن معاينة ومشاهدة وهذه أعلى مراتب الإيمان . . وامتطى عزير حماره ، وسار فى طريقه ، وأدرك أن هذه القرية التى رثى لحالها وتحسر على مآلها لابد أنها ستصبح يوما ما كما كانت عليه غانية بالناس ، حافلة بالجَمال والأنس . .

عزير فى بيت المقدس :

وانطلق عزير فى طريقه إلى بيت المقدس ، ونفسه تجيش بالمشاعر ، لقد تبدلت فى داخله أمور كثيرة ، وانتابته خواطر مثيرة . . لقد نام مائة عام دون أن يحس ، وهاهو ذا قد تخطى رقاب الزمن ينظر بعيون شاب لم يتجاوز الأربعين إلى عالم تغيرت فيه معالم كثيرة فى حين إن عمره الحقيقى يتجاوز ثلاثة أضعاف هذا العمر الذى هو فيه ، وكيف يلقى أنداده فى السن وهل هم على قيد الحياة الآن أو طوتهم يد المنون،وأبناؤه هل هم باقون على مارآهم عليه قبل أن يغادرهم أو تغيرت أحوالهم وأشكالهم .

ودخل المدينة ، وسار فى طرقات المحلة التى كان يقيم فيها . . ووقف بحماره أمام بيته ، ووجد عجوزا مقعدة عمياء . . فقال لها :

أهذا منزل عزير ؟

فقالت نعم ، ولكنى أراك تسأل عن عزير ، وعزير لايسأل عنه أحد الآن .

فقال لها : ولم ؟

قالت : إن عزيرا قد مضى منذ مائة عام ولم يعد ، نسيه الناس ولم يعد أحد يذكره .

وتعجب عزير ، أهكذا شأن الدنيا ، ينسى الناس بعضهم بعضا ، ولا يسأل أحد عن أحد فقال لها : أنا عزير :

قالت له : أتسخر منى أن رأيتنى عجوزا عمياء مقعدة .

فقال لها : بل أنا عزير حقا ..

وتذكرت المرأة صوته وقالت فى نفسها : إن هذا الصوت ليس غريبا عنى إنه صوت سيدى عزير ، ولكن أنّى لى أن استوثق من ذلك وأنا عمياء مقعدة .

فقالت له : ياهذا ، إن عزيرا كان مستجاب الدعوة ، يدعو للمريض فيبرأ بإذن الله ، فادع الله أن يرد على عافيتى إن كنت عزيرا حقا ..

واتجه عزير إلى الله بالدعاء أن يعفو عن هذه المرأة ويشفيها ويرد عليها صحتها .

وما أن انتهى عزير من دعائه ، حتى وجدت العجوز نفسها مبصرة ودبت العافية فى بدنها ، فاستوت قائمة على قدميها ، وذهبت التجاعيد من وجهها ، وارتدت شابة كما كانت يوم فارقها عزير .

وتأملته جيدا وقالت : أجل أنت سيدى عزير حقا ..

وأسرعت المرأة إلى نادى قومها تبشر بقدوم عزير ، قائلة : لقد جاء سيدى عزير ، لقد جاء سيدى عزير فقال لها الناس ولم يروها قبل ذلك :

من أنت ؟ قالت أنا جاريتكم فلانة ، وقد دعا عزير لى ربه فأعادنى شابة صحيحة مبصرة كما ترون . . وكان الخبر غريبا عليهم ، أين عزير الذى خرج من مدينتهم منذ مائة عام من ذلك افذب تزعمه هذه المرأة هل يعود الميت إلى الحياة بهذه الصورة ؟ .

حقا إن هناك بعثا وآخرة ، ولكن البعث لايخص واحدا بعينه إن البعث يشمل كل الأموات الذين ماتوا من لدن آدم حتى الآن . فما بال عزير يبعث وحده كما تزعم هذه المرأة .

ما أحمق هذه المرأة ، بل ربما تكون قد مسها شيطان فهو يهذى على لسانها بما تدعى .

ومع ذلك فلغرابة الخبر والحاحها ساروا معها حيث يوجد عزير كما تزعم .

ورأى الناس رجلا لم يجلل الشيب فوديه . . إنه فى سن الأربعين من عمره تلك السن التى غادر فيها عزير مدينته يوم خرج منها فى رحلته ذات المائة عام . .

وزاد ذلك من عجبهم . . إنه لو كان عزير حقا لكان شيخا فانيا أكلته السنون فتساقطت أشفار عينيه ، وأبيض شعره ، وانحنى ظهره ، واعتمد على عصا تساعده على الحركة .

واجتمع حوله الناس ، ومن بينهم أبناؤه وأحفاده وقد شاخوا وهرموا . .

قال ابن من أبنائه قارب المائة والعشرين عاما :

أأنت عزير حقا ؟

قال له : نعم .

قال : إن أبي عزيرا بين كتفيه شامة سوداء على هيئة هلال فدعنى انظر إليها ، لأتثبت إن كنت هو حقا .

وألقى عزير رداءه ، وأدار ظهره ، ونظر الابن فإذا بالشامة السوداء التى كان يراها فى ظهر أبيه . .

فقال فى فرحة غامرة يمازجها العجب : أجل أنت أبى عزير . .

عزير يجدد التوراة :

وأقبل عليه الناس ، وهم مازالوا فى شك . .

وقال أحدهم إن عزيرا كان يحفظ التوراة ، فاذكر لنا ماتحفظه منها .

وأقبل عزير يسمعهم التوراة من حفظه . . كان ـ كما يقول ـ الزمخشرى فى الكشاف يهذها هذًا .(٥٢)

وجاء رجل منهم معه التوراة ونشرها فإذا بعزير لم يخرم منها حرفا واحدا .

فلما رأوا ذلك منه اعتبروا أن ذلك معجزة لاينبغى أن تكون إلا لنبى . .

كيف يموت إنسان مائة عام ثم يبعث وكيف يتمكن إنسان من حفظ التوراة بهذه الصورة الفريدة التى لايطيقها بشر .

فقالوا : إن الله ما أعطاه هذه المعجزلا إلا لأنه ابنه .

وهذا قول الله تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله » تعالى الله عن كفرهم هذا

---

(٥٢) يهذها هذا : يسرع فى تلاوتها إسراعاً

علوا كبيرا .. وأصبح عزير آية فى الناس ..

فهو شاب فى الأربعين وأبناؤه وأحفاده شيوخ يتساقطون كبرا وهرما .

قال الأعمش فيما يذكره القرطبى .

موضع كونه آية هو أنه جاء شابا على حاله يوم مات فوجد الأبناء والحفدة شيوخا ، وذكر القرطبى قول على : إن عزيراً خرج من أهله وخلّف امرأته حاملا وله خمسون سنة فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، فرجع إلى أهله وهو ابن خمسين سنة وأصغر أولاده له مائة سنة ، فكان ابنه الأصغر أكبر منه بخمسين سنة [٥٢] .

ولكن أكثر المفسرين على أن سنه كانت يوم حدث له ماحدث أربعين سنة ..

وهو مثل حى على قدرة الله الخارقة على إحياء الموتى بعد هلاكهم ..

لقد حيى عزير بعد موته مائة سنة ، فلماذا يكذّب الناس بالبعث بعد ذلك

وكأن الأعشى يعنى ذلك حين قال :

حتى يقول الناس مما رأوا ... ياعجبا للميت الناشر

وهو مثل أيضا على قدرته الفائقة على حفظ التوراة عن ظهر قلب ، وليس فى مقدور أحد منهم أن يفعل ذلك ..

قصة الثعلبى فى إحياء التوراة :

وذكر الثعلبى قصة إحياء عزير للتوراة قال :

روى عطية العوفى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال :

---

(٥٢) تفسير القرطبى حـ٣ ص ٢٩٥

حين أضاع أهل الكتاب العمل بالتوراة وعملوا بغيرها ، أنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم .. وطال عليهم ذلك ..

وكان فيهم عزير ، فأمر علماءهم أن يبتهلوا إلى الله أن يرد عليهم مانسخ من صدورهم وابتهل معهم .

فبينما كان عزير يصلى إذ نزل نور من السماء فدخل فى جوفه فعاد إليه الذى كان قد ذهب من صدره من التوراة .

فأذّن فى قومه وقال : ياقوم قد آتانى الله التوراة .. وأخذ يعلمهم إياها .. وذكر رواية أخرى فى ذلك أيضا قال :

ظهرت العمالقة على بنى إسرائيل وأخذت التوراة منهم ، وهرب العلماء الذين بقوا ، ودفنوا التوراة فى الجبال ..

ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد ولا يخالط الناس ، وأخذ يبكى ويقول يارب تركت بنى إسرائيل بغير عالم .. وظل يبكى حتى تساقطت أشفار عينيه ..

ونزل مرة يوم عيد ، فإذا بامرأة تمثلت له عند قبر تبكي وتقول : يامطعماه ، يامسقياه .

فقال لها عزير : ياهذه اتقى الله واصبرى واحتسبى ، أما علمت أن الموت سبيل الناس .

ثم قال لها : ويحك ، من كان يطعمك ويسقيك ويكسوك قبل هذا الرجل - يعنى زوجها الذى تندبه - فقالت : الله تعالى .

قال : فان الله - تعالى - حى لايموت أبدا .

فقالت له المرأة : ياعزير ، فمن كان يعلم العلماء قبل بنى إسرائيل .

قال : الله - تعالى .

قالت : فلم تبكى وقد علمت أن الموت حق وأن الله حى لايموت .

فلما علم عزير أنه قد خُصِم ولّى مدبرا . .

فنادته المرأة وقالت له : ياعزير ، إنى لست امرأة ولكنى الدنيا .

أما إنه سينبع لك فى مصلاك عين ، وتنبت لك شجرة ، فكل من تلك الشجرة ، واشرب من العين ، واغتسل ، وصل ركعتين ، فإنه سيأتيك شيخ ويعطيك شيئا ، فخذ منه مايعطيك .

فلما أصبح نبعت العين ونبتت الشجرة ، فأكل وشرب واغتسل وصلى .

فجاءه شيخ ، وقال له : افتح فاك ، ففتح فاه وألقى فيه شيئا كهيئة القوارير ثلاث مرات . ثم قال له : ادخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أملك .

فدخل العين وجعل لايرفع قدمه إلا زيد فى علمه ، حتى أصبح أعلم الناس بالتوراة .

وخرج إلى قومه ، وقال : ياقوم قد جئتكم بالتوراة .

فقالوا : ماعهدناك كذابا .

فربط على أصابعه أقلاما وظل يكتب حتى كتب التوراة كلها . فأحيا لهم التوراة والسنة .

فلما رجع العلماء إلى كتبهم التى دفنوها وقابلوها بتوراة عزير وجدوها مثلها . فقالوا : ما اعطى الله عزيراً ذلك إلا لأنه ابنه .

وقد أخذ على هذه القصة أن التى خاطبت عزيرا هى الدنيا ، والدنيا عادة لاتتكلم بلسان النصح .

ولو تمثلت لتمثلت فى ثوب فاتك طاغ ..
فلو أن الذى تمثل له كان ملكا لكان أبلغ فى الوعظ ..

وقد تمثل أحد الشعراء الدنيا تخاطب الناس فقال :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

فيم اتفق العلماء وفيم اختلفوا :

لم يختلف العلماء فى شأن الذى أحيا التوراة .. فقد اتفقوا جميعا على أنه عزير ..

ولكنهم اختلفوا فى شأن الذى مر على القرية كما ذكرنا ..
وقد ذكرنا قصة عزير فى ذلك لأن كثيرا من الرواة قالوا إنه عزير .

أما ماورد بشأن أرمياء ، وأنه تحسر على حال مدينة بيت المقدس ، وعجب من كيفية إحيائها وعودتها إلى ماكانت عليه فهذه رواية بعض العلماء ، وقد ذكروا أن الله أماته مائة عام ، وسخر قبل إحيائه بثلاثين عاما لبيت المقدس من يجدد بناءه فجدده فى ثلاثين عاما ، وبُعِث أرمياء من رقدته فوجد المدينة قد عادت إلى ماكانت عليه .

هذا ولايبعد أن يكون أرمياء هو الذى أماته الله ثم بعثه فقد كان متعلقا بالمدينة المقدسة ، حريصا عليها فلما حدث ماحدث فيها حزن عليها حزنا شديدا حتى قيل : إنه خالط الوحوش وهام على وجهه ..

فلا يبعد أن يكون فى احدى جولاته رآها وعاينها وتحسر عليها وتعجب كيف تعود إلى حالتها الأولى كما أُخْبِر بذلك فى رؤيا له ..

أما الذى أحيا التوراة فهو عزير .

وبذلك تكون آية البقرة نزلت فى شأن أرمياء وتكون آية التوراة نزلت فى شأن عزير ، وهى صريحة فى ذلك ..

هل عزير نبى :

لقد اختلف العلماء أيضا فى نبوة عزير ..

فقال بعضهم إنه نبى ، وقال بعضهم : إنه عالم من علماء بنى إسرائيل ، وقال بعضهم : إنه نبى حجبت عنه النبوة لأنه تكلم فى القدر ..

نقل ذلك ابن كثير فى كتابه « قصص الأنبياء » عن بعض الرواة . قال :

كان عزير قد سباه بختنصر وهو غلام حدث ، فلما بلغ أربعين سنة أعطاه الله الحكمة ، قال : ولم يكن أحد أحفظ ولا أعلم بالتوراة منه ، قال : وكان يذكر مع الأنبياء حتى محا الله اسمه من ذلك حين سأل ربه عن القدر ولكن ابن كثير ينكر ذلك ، ويصف هذا الخبر بالضعف .

أما الخبر الوارد فى ذلك فهومروى عن نوف البكالى . وهو : قال عزير فيما يناجى به ربه : يارب تخلق خلقا فتضل من تشاء وتهدى من تشاء فقيل له : أعرض عن هذا . فعاد وكرر هذا القول . . فقيل له : لتعرضن عن هذا أو ليمحون اسمك من الأنبياء ، إنى لاأسأل عما أفعل وهم يسألون . .

وهذا الخبر لايفيد محو اسمه ولكنه توعد بالمحو فقط .

والمشهور أن عزيرا نبى من أنبياء بنى اسرائيل . .

العبرة من القصة :

ما من قصة ورت فى القرآن الكريم إلا وفيها آيات وعبر كما قال الله تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾(٥٤) .

و فى هذه القصة دلائل ومواعظ عظيمة : أهمها :

- التذكير بقدرة الله تعالى ، وأن الله لايعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء .
- الإيمان بقضية البعث والنشور ، وأن الله يبعث من فى القبور . والإيمان بذلك

(٥٤) سورة يوسف آية ١١١

يقتضى الاستعداد له ، بالإيمان والعمل الصالح وطاعة الله تعالى .

ـ تنزيه الله عن الشريك والولد ، والاعتقاد الجازم بأن الله واحد لاشريك له فى ملكه ولاصاحبة له ، ولا ولد يرثه ، وهذه سورة الاخلاص تشهد بذلك :

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾ .

ـ الكفر كله ملة واحدة ، يتساوى فى ذلك من عبدوا الأوثان ، ومن جعلوا لله ولدا ـ تعالى الله عن ذلك كله علوا كبيرا .

ـ الكفر مهزوم لامحالة ، والباطل لايقوى على الصمود أمام الحق مهما كانت له من سلطة . .

ـ الدعوة إلى التأمل والتفكر فى خلق السموات والأرض ، وأن ذلك مما يكون سببا فى الاهتداء إلى الله وعبادته حق العبادة . .

ولعل من أفضل مايذكر فى ذلك ما أنشده أبوحاتم السجستانى ، وذكره ابن كثير فى قصصه ، يتحدث عما يثير التعجب من شأن عزير فى صغر سنه وشأن أبنائه من حوله فى كبر سنهم ، قال :

اسود رأس شاب من قبله ابنه	ومن قبله ابن ابنه فهو أكبر
يرى ابنه شيخا يدب على العصا	ولحيته سوداء والرأس أشقر
وما لابنه حول ولافضل قوة	يقوم كما يمشى الصبى فيعثر
يعد ابنه فى الناس تسعين حجة	وعشرين لايجرى ولايتبختر
وعمر أبيه أربعون أمرها	ولابن ابنه تسعون فى الناس غُبَّر
فما هو فى المعقول إن كنت داريا	وان كنت لاتدرى فبالجهل تعذر

والله أعلم

فهرس المجلد الرابع

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٢	يثوب	يتوب
٢٨	١٥	اعملوأْءَ	اعملوأْ
٢٨	١٦	ال داود	ءَاَل داود
١٢٠	١١	فَجَا	فَجَاسُوأْ
١٢٠	١٢	سوأْ	
١٢٣	١٥	فَجَا	فَجَاسُوأْ
١٢٣	١٦	سوأْ	
١٣٢	١٢	فقالته	فقاتله
١٣٤	٨	أنصنع	أصنع
١٥٧	١٩	عبد	بعيد
١٦٥	٨	نكاج	نكاح
١٦٦	٢	يجب	يحب
٢١١	الأول	بالشعودة	بالشعوذة
٢٣١	١٠	جِبَا	جِبَالُهم
٢٣١	١١	لُهم	
٢٣٩	١٣	وجاءَه	وجآءُو
٢٣٩	١٤	و	